كتاب الرد الجميل لإلهية عيسي عليه السلام

بصريح الإنجيل

لحجة الإسلام الإمام أبي حامد الغزالى ت ٥٠٥ هـ

دراسة تحليلية موضوعية

إعداد

الأستاذ الدكتور: مصطفي مراد صبحي محمد

الأستاذ بكلية الدعوة الإسلامية

قسم الأديان والمذاهب

دار مشكاة

للطبع والنشر والتوزيع

اسـم الكتـاب:	كتاب الرد الجميل لإلهية عيسي عليه السلام بصريح الإنجيل لحجة سلام الإمام أبي حامد الغزالى ت ٥٠٥ هـ دراسة تحليلية موضوع
المؤلـــــــف :	لأستاذ الدكتور مصطفى مراد
تنسـيق وتـدقيق:	محمود أبو نورالدين
مصمم الغلاف:	شركة دوام للخدمات التقنية
رقـم الايـداع :	
الترقيم الـدولي:	

==========

٣٤ شارع يحي إبراهيم – محمد مظهر – الزمالك - القاهرة

ت/ ٠١١١٤٣٩٨٩٩٤-٠١٠١٤٤٤٦٤٨-٠١٠٠٢٢٦٩٥٤٧

جميع الحقوق متاحة لكل مسلم

السادة للفكر والثقافة
www.sadah.net

كلمة المشرف العام لمؤسسة السادة للفكر والثقافة

الحمد لله رب العالمين،،، ونصلِّي ونسلِّم على المبعوث رحمة للعالمين سيدنا محمد ﷺ وعلى آله وصحبه أجمعين،،

وبعـــــــد

فلما كان للعلوم الشرعيَّة المنضبطة الأهمِّيَّة الكبرى في حياة كل مسلم، وصار العلم الشرعي والحاجة إليه من أساسيات الحياة، وخاصة في هذا الزمان الذي انتشرت فيه الفتن، والشُّبهات والمشكِّكين في ثوابت الدين من هنا وهناك، و حيث انتشر الجهل والبُعد عن طلب العلم والتَّفقُّه في دين الله تعالى، فكانت الحاجة للعلوم الشرعية ونشرها كالشمس للدنيا والصِّحة للأبدان.

ومن أجل هذا حملت على عاتقي تأسيس هذه المؤسسة العلميَّة وبمساعدة طيبة من بعض الإخوة المخلصين، والهدف منها نشر العلم الشرعي الصحيح المنضبط المعتدل على منهج أهل السُّنة والجماعة، حتى نقدم لأبناء الأمة الإسلامية مساهمة طيِّبة، ولو كانت بسيطة، عدةً لهم وتحصينًا أمام الشُّبهات والفتن بجميع أشكالها. ولقد تعمَّدنا السهولة واليسر، حتى تكون متاحة لعموم المسلمين ولمحبي دراسة العلوم الشرعيَّة، والتَّفقُّه في الدين.

و انطلاقا من حديث رسول الله ﷺ عن سيدنا معاوية بن أبي سفيان ﷺ، قال رسول الله: "ﷺ مَن يُرِدِ اللَّهُ به خَيْرًا يُفَقِّهْهُ في الدِّينِ". (صحيح البخاري)

وحديث ابن عمر -رضي الله عنهما- قال: "جاء رجل إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال : (يا رسول الله ! أيُّ الناس أحبُّ إلى الله؟ فقال: أحبُّ الناس إلى الله أنفعهم للناس، وأحبُّ

السادة للفكر والثقافة
www.sadah.net

الأعمال إلى الله عزوجل، سرور تدخله على مسلم، تكشف عنه كربة، أو تقضي عنه دينًا، أو تطرد عنه جوعًا، ولأن أمشي مع أخ في حاجة، أحبُّ إلي من أن أعتكف في هذا المسجد، يعني مسجد المدينة شهرًا...[١].

ولقد ذكر النبي صلى الله عليه وسلم أمورا سبعة يجري ثوابها على الإنسان في قبره وبعد موته ، وذلك فيما رواه البزار في مسنده من حديث أنس بن مالك رضي الله عنه أن النبي صلى الله عليه وسلم قال : « سبع يجري للعبد أجرهن وهو في قبره بعد موته :من علم علما، أو أجرى نهرا ، أو حفر بئرا ، أو غرس نخلا ، أو بنى مسجدا ، أو ورث مصحفا ، أو ترك ولدا يستغفر له بعد موته »[٢]

وفي رواية ابن ماجه من حديث أبي هريرة رضي الله عنه قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم « إن مما يلحق المؤمن من عمله وحسناته بعد موته علما علمه ونشره ، وولدا صالحا تركه ، ومصحفا ورثه أو مسجدا بناه ، أو بيتا لابن السبيل بناه ، أو نهرا أجراه ، أو صدقة أخرجها من ماله في صحته وحياته تلحقه من بعد موته »[٣] وروى أحمد والطبراني عن أبي أمامة رضي الله عنه قال : قال رسول صلى الله عليه وسلم « أربعة تجري عليهم أجورهم بعد الموت : من مات مرابطا في سبيل الله ، ومن علم علما أجرى له عمله ما عمل به ، ومن تصدق بصدقة فأجرها يجري له ما وجدت ، ورجل ترك ولدا صالحا فهو يدعو له »[٤] وفي صحيح مسلم من حديث أبي

---

(١) (رواه الطبراني في الأوسط والصغير)
(٢) [حسنه الألباني رحمه الله في صحيح الجامع برقم :٣٥٩٦].
(٣) [حسنه الألباني رحمه الله في صحيح ابن ماجه برقم ١٩٨]
(٤) [وانظر صحيح الجامع حديث رقم ٨٩٠]

السادة للفكر والثقافة
www.sadah.net

هريرة رضي الله عنه أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال : « إذا مات ابن آدم انقطع عمله إلا من ثلاث : صدقة جارية ، أو علم ينتفع به أو ولد صالح يدعو له.

وقد نظمها السيوطي في أبيات فقال :

إذا مات ابن آدم ليس يجري ... عليه من فعال غير عشر
علوم بثها ، ودعاء نجل ... وغرس النخل ، والصدقات تجري
وراثة مصحف ، ورباط ثغر ... وحفر البئر ، أو اجراء نهر
وبيت للغريب بناه يأوي ... إليه ، أو بناء محل ذكر

ونسأله تعالى بجميل فضله وكرمه أن يجعله عملًا صالحًا ولوجهه خالصًا، وأن يكون زخرًا لنا ولكل مسلم، ونورًا على الصراط، وأن يغفر لنا ولوالدينا ولعموم المسلمين...اللهم آمين يارب العالمين،،

المشرف العام

ناصر بن صالح بن حسين السادة

السادة للفكر والثقافة
www.sadah.net

مقدمة

الحمد لله الذي هدانا إلي الدين الحنيف، واصطفانا علي الأمم فجعلنا أمة إمام المرسلين محمد ﷺ، وأشهد أن لا إله إلا الله، وأشهد أن سيدنا محمداً رسول الله سيد خلقه وخاتم أنبيائه ورسله، وأشهد أن عيسي عبد الله ورسوله، وكلمته ألقاها إلي مريم العذراء، وروح منه، وصلاة وسلاماً علي نبينا وسيدنا محمد ﷺ وعلي إخوته النبيين، ومن تبعهم بإحسان إلي يوم الدين.

أما بعـد ؛

فإن الله . جل ذكره . أمرنا أن ندعوا أهل الكتاب إلي الإيمان به وحده، ونبذ ما يعبد من دونه، فقال . جل ثناؤه

﴿ قُلْ يَٰٓأَهْلَ ٱلْكِتَٰبِ تَعَالَوْا۟ إِلَىٰ كَلِمَةٍ سَوَآءٍۭ بَيْنَنَا وَبَيْنَكُمْ أَلَّا نَعْبُدَ إِلَّا ٱللَّهَ وَلَا نُشْرِكَ بِهِۦ شَيْـًٔا وَلَا يَتَّخِذَ بَعْضُنَا بَعْضًا أَرْبَابًا مِّن دُونِ ٱللَّهِ ۚ فَإِن تَوَلَّوْا۟ فَقُولُوا۟ ٱشْهَدُوا۟ بِأَنَّا مُسْلِمُونَ ٦٤ يَٰٓأَهْلَ ٱلْكِتَٰبِ لِمَ تُحَآجُّونَ فِىٓ إِبْرَٰهِيمَ وَمَآ أُنزِلَتِ ٱلتَّوْرَىٰةُ وَٱلْإِنجِيلُ إِلَّا مِنۢ بَعْدِهِۦٓ ۚ أَفَلَا تَعْقِلُونَ ٦٥ هَٰٓأَنتُمْ هَٰٓؤُلَآءِ حَٰجَجْتُمْ فِيمَا لَكُم بِهِۦ عِلْمٌ فَلِمَ تُحَآجُّونَ فِيمَا لَيْسَ لَكُم بِهِۦ عِلْمٌ ۚ وَٱللَّهُ يَعْلَمُ وَأَنتُمْ لَا تَعْلَمُونَ ٦٦ مَا كَانَ إِبْرَٰهِيمُ يَهُودِيًّا وَلَا نَصْرَانِيًّا وَلَٰكِن كَانَ حَنِيفًا مُّسْلِمًا وَمَا كَانَ مِنَ ٱلْمُشْرِكِينَ ٦٧ إِنَّ أَوْلَى ٱلنَّاسِ بِإِبْرَٰهِيمَ لَلَّذِينَ ٱتَّبَعُوهُ وَهَٰذَا ٱلنَّبِىُّ وَٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ ۗ وَٱللَّهُ وَلِىُّ ٱلْمُؤْمِنِينَ ﴾[آل عمران: ٦٤-٦٨] [(١)] .

ونهانا أن نجادلهم إلا بالتي هي أحسن إلا من ظلم وتعدي منهم، فقال . عز من قائل

﴿ ۞ وَلَا تُجَٰدِلُوٓا۟ أَهْلَ ٱلْكِتَٰبِ إِلَّا بِٱلَّتِى هِىَ أَحْسَنُ إِلَّا ٱلَّذِينَ ظَلَمُوا۟ مِنْهُمْ ۖ وَقُولُوٓا۟ ءَامَنَّا بِٱلَّذِىٓ أُنزِلَ إِلَيْنَا وَأُنزِلَ إِلَيْكُمْ وَإِلَٰهُنَا وَإِلَٰهُكُمْ وَٰحِدٌ وَنَحْنُ لَهُۥ مُسْلِمُونَ ﴾[العنكبوت: ٤٦] [(٢)] .

وقد اتبع هذا المنهاج رسولنا محمد ﷺ وصحابته ﷺ وتابعوهم " رضي الله عن الجميع " فبروهم وأقسطوا إليهم، وعرضوا عليهم دينهم بالحكمة والموعظة الحسنة، ولم يألوا جهداً في إرشادهم ومناقشتهم، وتصحيح معتقداتهم .

---

(١) سورة آل عمران، الآية (٦٤) .

(٢) سورة العنكبوت، الآية (٤٦) .

السادة للفكر والثقافة
www.sadah.net

وتأسي علماء المسلمين بسلفهم الصالح، فأخلصوا في دعوة غير المسلمين إلي الدين الذي ارتضاه الله .تعالي .للبشرية، وتحملوا في سبيل ذلك المكاره والمحن ابتغاء ما عند الله .سبحانه . .

ومن مشاهير العلماء والأئمة الذين ساروا على هذا الدرب:

- النوبختي المتوفى سنة ٢٠٢هـ الذي ألف كتابه " الآراء والديانات، "ويعتبر الباحثون هذا الكتاب أول مصنف في علم مقارنة الأديان .
- وأبي عثمان عمرو بن بحر الجاحظ المتوفى سنة ٢٥٥هـ، الذي ألف كتابه " المختار في الرد علي النصارى " .
- والمسعودى المتوفى سنة ٣٤٦هـ، الذي صنف كتابين في الأديان هما: " المسائل والعلل في المذاهب والملل، " وسر الحياة " .
- والكندي أبي يوسف يعقوب بن إسحاق، له رسالة مفقودة في الرد علي النصارى.
- وتلميذه أبي الحسن العامري المتوفى سنة ٣٨١هـ، الذي صنف: " الإعلام بمناقب الإسلام " .
- والمسبحى [١] المتوفى سنة ٤٢٠هـ، الذي ألف: " درك البغية في وصف الأديان والعبادات " وهو كتاب مطول يقع في حوالي ثلاث آلاف ورقة [٢] .
- وأبي الريحان البيروني المتوفى سنة ٤٢٥هـ، الذي ألف كتابه: " الآثار الباقية عن القرون الخالية"، كما ألف: " تحقيق ما للهند من مقولة مقبولة في العقل أو مرذولة "، وهو كتاب يخص أديان الهند .

---

(١) محمد بن عبد الله بن أحمد الحراني الأصل، المصري، المعروف بالمسبحى (٣٦٦هـ . ٤٢٠هـ) مؤرخ، أديب، كاتب، فقيه، فلكي من الأمراء، من تصانيفه: الأمثلة للدول المقبلة في الحساب والنجوم، وتاريخ مصر في اثني عشر مجلداً. ينظر: النجوم الزاهرة، ابن تغري بردى ٤/ ٢٧١، والوافى بالوفيات، للصفدى ٤/ ٧، ٨، معجم المؤلفين، لعمر رضا كحالة ٢/ ٢٢٢، ط مؤسسة الرسالة، بيروت، ط أولي، سنة ١٤١٤هـ . ١٩٩٣ م

(٢) اليهودية، د/ أحمد شلبي، ص ٣١، نشر مكتبة النهضة المصرية، ط١٠، سنة ١٩٩٢م .

السادة للفكر والثقافة
www.sadah.net

- وأبي منصور البغدادي المتوفى سنة ٤٢٩هـ، ألف كتاب " الملل والنحل " .
- وابن حزم الأندلسي المتوفى سنة ٤٥٦هـ، صنف: " الفصل في الملل والهواء والنحل " .
- والشهرستاني المتوفى سنة ٤٥٨هـ، ألف كتابه: " الملل والنحل " .
- والقاضي أبى الوليد الباجي سليمان بن خلف المتوفى سنة ٤٧٤هـ، صنف رسالة في الرد علي راهب فرنسا .
- وإمام الحرمين أبي المعالي الجويني المتوفى سنة ٤٧٨هـ، صنف :" شفاء الغليل في الرد علي من بدل التوراة والإنجيل " [١] .
- وأبي عبيدة الخزرجي المتوفى سنة ٥٨٢هـ، الذي ألف كتابه " مقامع هامات الصلبان ومراتع روضات أهل الإيمان في الرد علي عبدة الأوثان، والذي نشر باسم بين الإسلام والمسيحية .
- وأبي البقاء صالح بن الحسين الجعفري المتوفى سنة ٦٦٨هـ، صنف كتابه: " تخجيل من حرف التوراة والإنجيل "، والذي اختصره المسعودى المالكي سنة ٩٢٤هـ وأسماه: " المختصر الجليل من تخجيل من حرف التوراة والإنجيل " [٢] وصنف الجعفري أيضاً: الرد علي النصارى [*].
- والقرطبي المفسر المتوفى سنة ٦٧٢هـ، ألف: " الإعلام بما في دين النصارى من الأوهام وإظهار محاسن دين الإسلام وإثبات نبوة نبينا محمد ﷺ " .
- والسككى الحنبلي أبى الفضل عباس بن منصور، المتوفى سنة ٦٨٣هـ، صنف: البرهان في عقائد أهل الأديان.
- والقرافي أحمد بن إدريس المتوفى سنة ٦٨٤هـ، ألف: " الأجوبة الفاخرة في الرد علي

---

(١) نشر بالرئاسة العامة للبحوث العلمية بالرياض،سنة ١٤٠٤هـ،ومكتبة الكليات الأزهرية،ط أولي،سنة ١٣٩٨هـ / ١٩٧٨م .

(٢) ط مطبعة التمدن بالقاهرة، سنة ١٣٢٢هـ .

(*) نشر بتحقيق: د/ محمد محمد حسانين، مكتبة وهبة، القاهرة، ط أولي، سنة ١٤٠٩هـ .

السادة للفكر والثقافة
www.sadah.net

الأسئلة الفاجرة "، كما صنف: " أدلة الوحدانية في الرد علي النصرانية " .

- والصرصرى الحنبلي: سليمان بن عبد القوى الطوخى المتوفى سنة ٧١٦هـ، صنف كتابه: " الانتصارات الإسلامية في كشف شبه النصرانية " .

- وابن تيمية أحمد بن عبد الحليم، والمتوفى سنة ٧٢٨هـ، صنف: " الجواب الصحيح لمن بدل دين المسيح " .

- وابن قيم الجوزية المتوفى سنة ٧٥١هـ، ألف: " هداية الحيارى في أجوبة اليهود والنصارى " [١] .

ومن المهتدين الذين صنفوا في هذا الموضوع :

- علي بن سهل بن ربَّن الطبري المعاصر للجاحظ، والمتوفى سنة ٢٤٧هـ، صنف: " الدين والدولة في إثبات نبوة محمد ﷺ " [٢] .وصنف أيضاً: الرد على النصارى.

- نصر بن يحيي المتطبب، ألف: "النصيحة الإيمانية في فضيحة الملة النصرانية " .

- السموأل بن يحيي المغربي المتوفى سنة ٥٧٠هـ، الذي كان يهودياً فأسلم، وصنف:" إفحام اليهود " [٣] .

- ابن جزلة:يحيي بن عيسي بن جزلة، إمام الطب في عصره، والمتوفى سنة ٦٠٦هـ، ألف: إفحام النصارى [٤] .

- عبد الله الترجمان (القس أنسلم تورميدا سابقاً)، صنف: " تحفة الأريب في الرد علي أهل الصليب " .

- سعيد بن يحيي الإسكندراني، الذي كان يهودياً فأسلم، ألف: " مسالك النظر في نبوة

---

(١) أكثر الكتب السابقة في ثنايا البحث وفهرسه، وما ليس فيه أشرت إلي مكان وسنة نشره .

(٢) تحقيق: عادل نويهض، ط دار الآفاق، بيروت، ط٣ .

(٣) تحقيق: د/ محمد عبد الله الشرقاوي، نشر الرياض، سنة ١٤٠٥هـ .

(٤) ينظر في ترجمته: سير أعلام النبلاء ١٩/ ٤٩٠، والأعلام ٤/ ٤٠ .

السادة للفكر والثقافة
www.sadah.net

سيد البشر " .

- إسرائيل بن شموئيل الأورشليمى، أسلم وصنف الرسالة السبعينية بإبطال الديانة اليهودية .
- والحسن بن أيوب، كتب رسالة لأخيه في سبب إسلامه، نقلها ابن تيمية في الجواب الصحيح .
- والشيخ زيادة، المهتدى في القرن الحادي عشر الهجري، صنف كتاب النصرانية .

وصنف في العصر الحديث كثير من علماء الأديان والدعوة الإسلامية في الجامعة الأزهرية وغيرها، ومن أشهرهم: رحمت الله الهندي، صاحب كتاب " إظهار الحق "، والباجه جي زاده، صاحب " الفارق بين المخلوق والخالق "، ومحمد بن طاهر التنير، المتوفى سنة ١٩٣٣م، صاحب العقائد الوثنية في الديانة النصرانية، وابن الآلوسى المفسر، صاحب " الجواب الفسيح "، والشيخ/ أبو زهرة، صاحب " محاضرات في النصرانية " وغيرهم، ومن المهتدين: عبد الأحد داود " دافيد بنجامين سابقاً "، صاحب كتاب: " محمد ﷺ في الكتاب المقدس "، وكتاب: " الإنجيل والصليب "، وإبراهيم خليل أحمد " القس إبراهيم خليل فيلبس سابقاً "، صاحب كتاب: " محمد ﷺ في التوراة والإنجيل والقرآن "، وكتاب: " محاضرات في مقارنة الأديان "، وكتاب: " الغفران بين الإسلام والمسيحية "، ومحمد مجدي مرجان، صاحب كتاب: " الله واحد أم ثالوث " وغيرهم .

وأرى أن أفضل هؤلاء العلماء أسلوباً، وأقواهم حجة، وأقربهم إلي الحيدة والإنصاف، وأبعدهم عن الهجاء والذم، وأشدهم إقناعاً واستمالة، وأحسنهم في الأدب الجدلي ووجوه الاستدلال وملكة الاستنباط حجة الإسلام الإمام أبى حامد الغزالى المتوفى سنة ٥٠٥هـ الذي صنف كتاباً صغير الحجم كبير القدر أسماه " الرد الجميل لإلهية عيسي عليه السلام بصريح الإنجيل .

وقد منَّ عليَّ أستاذتي وشيوخي أصحاب الفضيلة أعضاء اللجنة العلمية الدائمة للدعوة بجامعة الأزهر الشريف، فطلبوا مني أن أعد بحثاً مرجعياً . كدراسة تحليلية موضوعية . عن الكتاب السابق، فشرعت في هذه الدراسة، فقسمت البحث إلي مقدمة وتمهيد ومبحثين وخاتمة

السادة للفكر والثقافة
www.sadah.net

في المقدمة: أومأت إلي أهمية البحث وسبب اختياره .

وفي التمهيد: عرفت بمؤلف الكتاب وكتابه .

وفي المبحث الأول: أبنت مناقشة كتاب الرد الجميل لإلهية عيسي عليه السلام .

وفي المبحث الثاني: أوضحت إثبات كتاب الرد الجميل للإنسانية المحضة لعيسي عليه السلام .

وفي الخاتمة: أشرت إلي أهم نتائج البحث ومراجعه .

وقد حاولت .بجهدي المقل .أن أقتدي بحجة الإسلام في إيراد الحجج ومناقشة الأدلة وأسلوب الجدل واتباع المنهج الافتراضي الذي وضعه في كتابه، لكنني اضطررت لتغيير ترتيب الكتاب ليناسب الدراسة الموضوعية .

وإذا كان الفضل ينسب إلي ذويه والحق أولي به أهله، فإنني مدين في هذا البحث لأهل السبق من الأئمة والعلماء الذين صنفوا في علم مقارنة الأديان .

وبعد شكر الله . تعالي . أقدم شكري إلي شيوخي حضرات العلماء أعضاء اللجنة العلمية الدائمة علي ما أولوني من خلق عال وأدب جم وعلم غزير .

وأهدي بحثي لأبي وأمي .رحمها الله .وزوجي وأولادي .

فإن كنت قد أصبت فالحمد لله الذي بنعمته تتم الصالحات، وإن كنت قد أخطأت، فأسأل الله .جل وعلا .أن يغفر لي مواضع الزلل، وأرجو من العارفين أن يصححوا مواضع الخطأ .

مصطفي مراد صبحي محمد

مدرس الأديان والمذاهب

كلية الدعوة الإسلامية بالقاهرة

السادة للفكر والثقافة
www.sadah.net

التمهيد

قبل الشروع في عرض ودراسة وتحليل مواضيع وقضايا كتاب الرد الجميل أشير إلي التعريف بمؤلف كتاب الرد الجميل وكتابه وصدر كتابه فأقول:

أولاً: نبذة عن حياة حجة الإسلام الغزالى (٤٥٠هـ.٥٠٥هـ = ١٠٥٨م.١١١١م):

حجة الإسلام وزين الدين الإمام المجدد أبو حامد الغزالى غني عن التعريف، فسبقه وريادته في كثير من العلوم الإسلامية جلي مستبين، لذا أورد ترجمة في غاية الإيجاز عن معالم حياته فأقول: هو محمد بن محمد بن محمد الغزالى الطوسى، أبو حامد، حجة الإسلام .

وُلد بالطابران إحدى قصبتي طوس، سنة خمسين وأربعمائة، نشأ في أسرة متوسطة الحال، وكان والده يطوف علي المتفقهة ويجالسهم ويتوفر علي خدمتهم ...، وكان إذا سمع كلامهم بكي وتضرع، وسأل الله أن يرزقه ابناً واعظاً، ويجعله فقيهاً، فاستجاب الله دعوتيه، فرزقه أبا حامد الذي كان أفقه أقرانه وإمام أهل زمانه، وأحمد الذي كان واعظاً فذاً .

قرأ شيئاً من الفقه على علي أحمد الراذكاني، ثمَّ سافر إلي جرجان إلي الإمام أبي نصر الإسماعيلي وأخذ عنه، ثمَّ رجع إلي طوس، ثمَّ قدم نيسابور، ولازم إمام الحرمين أبا المعالي الجويني، وبعد وفاته سنة ٤٧٨هـ خرج الغزالى إلي معسكر نظام الملك، فناظر العلماء وغلبهم .

وفي جمادى الأول من سنة ٤٨٤هـ توجه للتدريس بالمدرسة النظامية ببغداد بتكليف من نظام الملك .

وفي سنة ٤٨٨هـ بدأت أزمته الروحية التي استمرت ستة أشهر، ثمَّ ترك التدريس، وسلك طريق الزهد وانقطع للعبادة .

وفي سنة ٤٨٩هـ قدم دمشق وأقام بها مدة قصيرة ثمَّ رحل إلي بيت المقدس، وبدأ فيها تأليف كتاب الإحياء (ثمَّ أتمه في دمشق [*])، ثمَّ زار مصر، وأقام بالإسكندرية مدة، ثمَّ ذهب لأداء فريضة الحج .

---

[*] في المنقذ من الضلال (له) ص ١٣٠، أنه رحل إلي دمشق ثم بيت المقدس والخليل ثمَّ حج .

السادة للفكر والثقافة
www.sadah.net

وفي سنة ٤٩٠هـ مر ببغداد في طريقه إلي خراسان، ولم يطل المقام ببغداد، ولم يستأنف التدريس بالنظامية، إلا أنه التقي بالإمام أبي بكر بن العربي صاحب العواصم من القواصم (٤٦٨هـ.٥٤٣هـ) .

فلما بلغ خراسان درس مدة بطوس، ثمَّ ترك التدريس والمناظرة واشتغل بالعبادة، وآثر العزلة، ودام علي هذه الحال قرابة تسع سنين، وحدثت في هذه الفترة حوادث مهمة منها ثورة الباطنية، وانشغال فخر الملك بقتالهم، وكذلك حوادث الاغتيال المتتالية للأمراء في خراسان، أثرت هذه الحوادث. إلي جانب حاجات العيال وضرورات المعاش. في وجه مراده، وشوَّشت صفوه .

وفي سنة ٤٩٨هـ عين سنجر، فخر الملك علي بن نظام الملك وزيراً له في خراسان، فألح عليه أن يعود إلي التدريس، فعاد إلي التدريس في نظامية نيسابور، ثمَّ ترك التدريس، وعاد إلي بيته، واتخذ في جواره مدرسة للطلبة وخانقاه للصوفية ووزع أوقاته علي وظائف الحاضرين: من ختم القرآن، ومجالسة ذوي القلوب، والقعود للتدريس، وتصنيف الكتب [١] ...

---

(١) يُنظر: المنقذ من الضلال، للإمام الغزالى، ص ١ ـ ٤٥، تحقيق: الدكتور/ عبد الحليم محمود، نشر دار الكتب الحديثة، القاهرة، ط٤، سنة ١٩٧٢م، وتبيين كذب المفتري علي الإمام أبي الحسن الأشعري، ص ٢٩١ ـ ٣٠٦، لابن عساكر، ط دار المقدسى، القاهرة، سنة ١٣٧٤هـ، والمنتظم، لابن الجوزى ٩/ ١٦٩ ـ ١٧٠، وطبقات الشافعية الكبرى، لتاج الدين السبكى، ص ٤/ ١٠٢ ـ ١٠٩، ط الحلبي، القاهرة، ط أولي، بدون تاريخ، وسير أعلام النبلاء، للذهبي ١٢/ ٧٥ ـ ٨١، ط دار الرسالة، بيروت، ط١، سنة ١٤١٧هـ، والعبر في خبر من غبر، للذهبي ٥/ ٢٠٣، والبداية والنهاية، لابن كثير ١٢/ ١٧٣، ط دار الريان، القاهرة، ط أولي، سنة ١٤٠٨هـ، وفيات الأعيان، لابن خلكان ١/ ٥٨٠٦، تحقيق: د إحسان عباس، نشر دار الثقافة، بيروت، والنجوم الزاهرة في أخبار مصر والقاهرة، لابن تغرى بردى ٥/ ٢٠٣، ط مصورة عن ط دار الكتب، بدون تاريخ، وكشف الظنون، لحاجي خليفة ٣/ ٣٥٢، ٤/ ٥٨٤، وإتحاف السادة المتقين، للمرتضي ١/ ٣ ـ ١٠، ط الحلبي، وشذرات الذهب، لابن العماد الحنبلي ٤/ ١٠ ـ ١٣، نشر دار الكتب العلمية، بيروت، بدون تاريخ، والأعلام، للزركلي ٧/ ٢٢، ط دار العلم للملايين، سنة ١٩٨٤م، الوافي بالوفيات، للصفدي ١/ ٢٧٧، باعتناء ريتر، ط٢ ، سنة ١٣٨١هـ، ومؤلفات الغزالى، د/ عبد الرحمن بدوي، نشر دار القلم، الكويت، ط٢، والمجددون في الإسلام، لعبد المتعال الصعيدي، ص ١٨١ ـ ١٨٤، ومعجم المؤلفين، لعمر رضا كحالة ٣/ ٦٧١ ـ ٦٧٣،نشر مؤسسة الرسالة، بيروت،ط أولي، سنة ١٤١٤هـ ـ ١٩٩٣م، والإمام الغزالى، لصالح الشامي، نشر دار القلم، دمشق، ط٢، سنة ١٤٢٣هـ، وموقف الإمام الغزالى من الفرق الإسلامية، ص ١٣٣ ـ ١٨٤، رسالة ماجستير بكلية الدعوة، رقم (٣٣)، إعداد: د/ جوده عبد العلم، ومفتاح السعادة، لطاش كبري زاده، ص ١٨٠ ـ ١٩٠ .

السادة للفكر والثقافة
www.sadah.net

استمر علي هذه الحالة إلي أن جاءته المنية في يوم الاثنين١٤ جمادى الآخرة ١٨ ديسمبر ١١١١م بمدينة طوس، ودفن بظاهر قصبة الطابران، ولم يعقب إلا البنات .

ثانياً: التعريف بكتاب الرد الجميل لإلهية عيسي بصريح الإنجيل :

يعد كتاب الرد الجميل لإلهية عيسي عليه السلام بصريح الإنجيل، لحجة الإسلام الغزالى من المصنفات الرائدة في علم مقارنة الأديان، من أجل هذا يعرض البحث اسمه، وسبب تأليفه، ومنهاج مؤلفه فيه، وأسلوبه، وقيمته، ومحتواه، والملاحظات التي قد تلاحظ عليه.

أ .اسم الكتاب :

لا يعرف للإمام أبي حامد الغزالى كتاب في مناقشة عقائد النصارى [*]، بل في مقارنة الأديان غير كتاب الرد الجميل لإلهية عيسي عليه السلام بصريح الإنجيل، الذي نحن بصدد دراسة قضاياه، وقد اشتهر الكتاب بهذا الاسم السابق، لكنَّ المُعرِّفين بمؤلفات الإمام الغزالى اختلفوا في اسمه، فأكثرهم أسماه بالاسم السابق ، وبه سمي في طبعات الكتاب المنشورة والمحققة [١]، وبعضهم دعاه باسم (القول الجميل في الرد علي من غيَّر التوراة والإنجيل) كما صرح بذلك السيد محمد بن الحسين الزبيدى الشهير بمرتضي ت ١١٩٣م في كتابه إتحاف السادة المتقين بشرح أسرار إحياء علوم الدين [٢]، والشيخ/ عبد القادر بن شيه عبد الله بن شيخ العيدروس باعلوي، في

---

[*] آثرت التعبير بلفظ النصارى دون المسيحيين اتباعاً لطريقة القرآن الكريم، كما أن النصارى يطلقون هذا اللقب علي أنفسهم، انظر: التثليث والتوحيد، لفوزي جرجس، ص ١٢، نشر مكتبة المحبة بالقاهرة، سنة ١٩٤٨م .

وعن اشتقاق هذه الكلمة يمكن مراجعة: كتاب النصرانية، لأستاذنا أ.د/ محمد رجب الشتيوي، ص ٢٨، ٢٩، نشر دار الطباعة المحمدية، القاهرة، ط١، سنة ١٤١٣هـ - ١٩٩٢م، وقاموس الكتاب المقدس، ص ٩٤٦، والموسوعة الميسرة في الأديان والمذاهب المعاصرة، ص ٨١٧ .

(١) أشهرها نشرة الأب روبير شدياق، تحقيق : الأستاذ/ عبد العزيز عبد الحق، ط مجمع البحوث الإسلامية، سنة ١٣٩٣هـ، وقد وقع تلاعب في نصوص هذه النشرة، لذا رأيت الإعراض عن النقل عنها .

، ومن أهمها ط دار أمية بالرياض، ط أولي، سنة ١٤٠٣هـ، تحقيق: د/ محمد عبد الله الشرقاوي، ومنها أنقل برمز (ب)، وطبعة دار الجيل، بيروت، ط٣، سنة ١٤١٠هـ - ١٩٩٠م، ومنها أنقل برمز (جـ) .

(٢) يراجع: الكتب السابقة في ترجمة حجة الإسلام، وكتاب ابن حزم ومنهجه في دراسة الأديان، للدكتور/ محمود حماية، ص ١٤٦، ط دار المعارف، القاهرة، بدون تاريخ .

السادة للفكر والثقافة
www.sadah.net

كتابه:تعريف الأحياء بكتاب الإحياء،وكذلك ورد في صحيفة غلاف كتاب الرد الجميل، طبعة تركيا [١]، مع أن اسم الكتاب المدون في هذه الطبعة هو الرد الجميل لإلهية عيسي عليه السلام بصريح الإنجيل، ولعل ذلك عائد إلي قيام بعض الورَّاقين بنقل مؤلفات حجة الإسلام من أحد الكتابين السابقين، وقد ألمح الأستاذ الدكتور/ بكر زكي عوض، إلي اسميْ الكتاب، فذكرهما في مقدمة تحقيقه القيم لكتاب الأجوبة الفاخرة [٢].

والذي يصحح عندي أن اسمه (الرد الجميل لإلهية عيسي عليه السلام بصريح الإنجيل) أن الإمام الغزالى قد خصص مواضيع الكتاب لرد إلهية عيسي عليه السلام وما يتصل بها من معتقدات عند أهلها، ولو كان يرمي إلي تفصيل القول في عقائد النصارى عامة وتحريف التوراة والإنجيل خاصة لصح تسمية الكتاب بالاسم الآخر، ومعلوم انه دقيق للغاية في اختيار أسماء تصانيفه، ملتزم بالوقوف عند ما يتعلق بها من مسائل، بعيد عما هو خارج عن خطة بحثه، ولعله اكتفي بذلك لقيام أستاذه أبي المعالي الجويني بتصنيف كتاب أقرب إلي إثبات التحريف في التوراة والإنجيل هو (شفاء العليل في بيان ما وقع في التوراة والإنجيل من التبديل)، كما أنه أراد محق العقيدة الأولي والكبري عند النصارى ليدرأ العقائد التابعة لها .

ب. الدافع لتأليف الكتاب :

وتعد الحملات الصليبية [*] (١٠٩٦م . ١٢٩١م) وما سبقها من أحداث عاملاً رئيساً في تصنيف هذا الكتاب لا سيما وأن الإمام الغزالى قد صنفه سنة ٤٩٢هـ [٣] قبل سقوط القدس سنة ٤٩٣هـ، لذلك نظر في كتب القوم وعلم عقائدهم وشرائعهم وطوائفهم .

فقام بواجبه .كعلم بارز من أعلام المسلمين .في الدعوة إلي الله ملتزماً الجدال بالتي هي أحسن حريصاً علي النزاهة والموضوعية وأمانة النقل .

---

(١) ينظر: الرد الجميل، ط تركيا، الصحيفة الخلفية للغلاف .

(٢) الأجوبة الفاخرة، للقرافى، ص ٣٧، ٣٨، نشر مكتبة وهبة، القاهرة، ط٢، سنة ١٤٠٧هـ. ١٩٨٧م .

(*) الحملات الصليبية: حروب عسكرية قام بها نصارى الغرب في القرون الوسطي للاستيلاء علي الأرض المقدسة والمناطق القريبة منها، تقسم إلي ثماني حملات سبقتها حملة شعبية وانتهت بطرد الصليبيين .

(٣) يراجع مقدمة كتاب : مؤلفات الغزالى، للدكتور/ عبد الرحمن بدوى .

السادة للفكر والثقافة
www.sadah.net

يقول حجة الإسلام في بداية كتابه: إني رأيت مباحث النصارى المتعلقة بعقائدهم ضعيفة المباني، واهية القوي، وعرة المسالك ... معتذرين عن اعتقادها بما ورد من نصوص، يعتقدون أنها قاهرة للكفر، غير قابلة للتأويل، وأن صرفها عن ظواهرها عسير إلي أن يقول: وها أنا ذا أذكرها نصاً نصاً مبيناً فصولها المسطرة فيها حذراً من المناكرة، لأن كتبهم غير محفوظة في صدورهم .

ثم يختم كتابه بقوله: هذا آخر ما أردنا ..... قاصدين بذلك وجه الله .

جـ. منهاج حجة الإسلام في كتاب الرد الجميل :

وضع حجة الإسلام لكتابه الرد الجميل منهاجاً مبايناً للمناهج المشتهرة لدي علماء مقارنة الأديان، فلم يأخذ بالمنهج النقدي كما فعل ابن حزم والجعفري والقرافي وابن تيمية وابن القيم والقرطبي والصرصري وعبد الله الترجمان وابن يحيي المتطبب وغيرهم، ولم يسر علي طريقة المنهج الوصفي كما صنع الأشعري والشهرستاني والرازي وأبو زهرة وغيرهم .

بل كشف عن منهج جديد يقوم علي نقض العقائد من خلال النصوص الثابتة عند أصحابها، فأخذ يفترض أن مصادرهم سالمة من التحريف والتبديل والزيادة والنقصان والاختلاف والاضطراب، فكأنه يقول: هبوا أن أسانيد أسفاركم نقلها العدل الثقة الضابط عن مثله من مبدأ السند إلي منتهاه، وهبوا أن البراهين الداخلية والخارجية لصحة هذه المصادر يقينية ...، فإنني أدرأ ما تؤمنون به من نصوصكم الثابتة عندكم، وهذا ما يعرف بالمنهج الافتراضي أو مجاراة الخصم لدحض حجته، وهو متأس في هذا بإبراهيم الخليل عليه السلام عندما جادل عباد الكواكب والنجوم، يقول الكتاب العزيز: ﴿وَكَذَٰلِكَ نُرِيٓ إِبۡرَٰهِيمَ مَلَكُوتَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضِ وَلِيَكُونَ مِنَ ٱلۡمُوقِنِينَ ٧٥ فَلَمَّا جَنَّ عَلَيۡهِ ٱلَّيۡلُ رَءَا كَوۡكَبٗاۖ قَالَ هَٰذَا رَبِّيۖ فَلَمَّآ أَفَلَ قَالَ لَآ أُحِبُّ ٱلۡأٓفِلِينَ ٧٦ فَلَمَّا رَءَا ٱلۡقَمَرَ بَازِغٗا قَالَ هَٰذَا رَبِّيۖ فَلَمَّآ أَفَلَ قَالَ لَئِن لَّمۡ يَهۡدِنِي رَبِّي لَأَكُونَنَّ مِنَ ٱلۡقَوۡمِ ٱلضَّآلِّينَ ٧٧ فَلَمَّا رَءَا ٱلشَّمۡسَ بَازِغَةٗ قَالَ هَٰذَا رَبِّي هَٰذَآ أَكۡبَرُۖ فَلَمَّآ أَفَلَتۡ قَالَ يَٰقَوۡمِ إِنِّي بَرِيٓءٞ مِّمَّا تُشۡرِكُونَ ٧٨ إِنِّي وَجَّهۡتُ وَجۡهِيَ لِلَّذِي فَطَرَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضَ حَنِيفٗاۖ وَمَآ أَنَا۠ مِنَ ٱلۡمُشۡرِكِينَ ٧٩ وَحَآجَّهُۥ﴾ [الأنعام: ٧٥-٨٠][1] .

---

(1) سورة الأنعام، الآيات (٧٦ . ٧٩) .

السادة للفكر والثقافة
www.sadah.net

د. أسلوب حجة الإسلام في كتاب الرد الجميل :

يتسم أسلوب حجة الإسلام في هذا الكتاب بالوضوح ودقة التعبير وقوة الجدل، ورصانة الحجة، وعمق التناول وسعة المعرفة والأدب الجم والهدوء التام في الجدل، وهجر الهجاء والذم، والاهتمام بالفكرة المطروحة، والملكة الفذة في الاستنباط دون تطويل ممل أو إيجاز مخل .

ويبدو هذا جلياً من عنوان كتابه فإنه لم يعين اسم معتقدي إلهية عيسي عليه السلام مع معرفته لدى الخلق قاطبة، كما لم يحاجهم برأي أو نص لغيرهم، وإنما خاطبهم بنصوصهم التي يعتقدون صحتها، ودعاهم إلي الرجوع إليها وحسن فهمها .

وأسلوبه القائم علي الحيدة والإنصاف جعل بعض علماء النصارى وباحثيهم يثنون علي حجة الإسلام وعلي كتابه الرد الجميل ويطالبون علماء المسلمين وباحثيهم بالسير علي طريقته .

لكن بعضهم حمَّل الأدب الجدلي لدي حجة الإسلام أكثر من حقيقته فادعي عليه أنه شهد لهم بالتوحيد المطلق وأقر تثليثهم .

فيذكر أحد باحثي النصرانية ألا وهو الدكتور/ داود رياض، الحاصل علي دكتوراه الفلسفة من جامعة فولر في كتابه " من هو المسيح " أن الغزالى أنصف النصرانية في عقيدتها التثليثية، ثمَّ ينقل من الرد الجميل وصف حجة الإسلام لعقيدة التثليث، ابتداء من قوله: يعتقدون أن ذات الباري واحدة في الموضوع، ولها اعتبارات .. حتى قول حجة الإسلام: هذا اعتقادهم في هذه الأقانيم ...، وإذا صحت المعاني فلا مشاحة في الألفاظ ولا في اصطلاح المتكلمين .... [1]، ثم يقول. الدكتور . وقد أنصف الغزالى التثليث المسيحي في هذا الحكم ... ويعلق كاتب حكيم علي أقوال الغزالى فيقول: فالغزالى يشهد للمسيحيين بالتوحيد، ويشهد لهم بصحة اصطلاحهم في تفسير التثليث في التوحيد) [2] .

---

(1) نصها في كتاب الرد الجميل ولا فيما يصطلح عليه المصطلحون .

(2) من هو المسيح، ص ٥٧، ٥٨، نشر الكنيسة الإنجيلية بقصر الدوبارة، القاهرة، سنة ٢٠٠٣م .

السادة للفكر والثقافة
www.sadah.net

قلت: أما أن حجة الإسلام قد أنصف في عرض التثليث النصراني [١]، فنعم، وأما أنه شهد بصحته، فهذا ما يكذبه كتاب الرد الجميل من أول كلمة منه حتى آخرها، ولو أن الدكتور أكمل العبارة التي نقلها عن الإمام الغزالى لوجده يقول بعد ما نقله مباشرة: فقد وضح بما شرحوه أن أول هذا الفصل لا دلالة فيه علي الإلهية لعيسي عليه السلام ألبته ...أ. هـ

ثمَّ ألم يقرأ عنوان رسالة حجة الإسلام ؟

ثمَّ ألم يقرأ قوله: لا يوجد خزي أفحش من خزي قوم يعتقدون أن إله العالم قُبر [٢].

ومثل هذا يقال للقمص مرقس عزيز خليل، كاهن الكنيسة المعلقة الذي ألمح في كتابه" استحالة تحريف الكتاب المقدس " [٣] إلي معني ما ذُكر آنفاً عن الدكتور/ داود رياض .

هـ. قيمة كتاب الرد الجميل :

يظهر من الكتاب شدة ذكاء الإمام الغزالى وسداد نظره، وقوة حافظته، وبعد غوره، وغوصه في المعاني، وامتلاكه للحجج البالغة، وسبقه في علوم كثيرة كأصول الدين وأصول الفقه والفلسفة والمنطق والتصوف والتربية والأخلاق والأدب الجدلي ومقارنة الأديان والقراءات والدعوة الإسلامية، والمعرفة الواسعة بالنصرانية وعقائدها ومذاهبها ومقالاتها ومصادرها ورجالها وما هي عليه من زيغ وتجاوز [*] .

ويتجلى منه موقف حجة الإسلام من الصليبية التي هجمت علي العالم الإسلامي في هذه الآونة، واعتدت علي مقدساته، وسامت أهله سوء العذاب، وبذلك يعلم ابتعاد مدرسته الصوفية عن السلبية والتواكل، ويعلم أيضاً رأي الصوفية في النصرانية حينئذ .

ويبدو منه تميزه عن سابقيه ممَّن صنف في مقارنة الأديان حيث اعتني بدرء اعتقاد إلهية عيسي عليه السلام، وفصل هذه القضية، وفند براهينها، مخالفاً بذلك دأب سالفيه الذين نري في

---

(١) الرد الجميل (أ) ص ٤٣، ٤٤ (ب) ص ١٧٦، ١٧٧ (جـ) ص ١٤٨، ١٤٩ .

(٢) السابق عينه (أ) ص ٤٧ (ب) ص ١٧٩ (جـ) ص ١٥٢ .

(٣) ينظر: كتابه السابق، ص ٤٨٦، ٤٨٧، ص ٥٣٠ . ٥٣٨، نشر كنيسة العذراء والشهيدة الدميانة (المعلقة) .

(*) بل والمعرفة بالطب كما في تعريفه بالبرص، ص ٥ (أ)، ص ٧٨ (ب) ص ٩٦ (جـ) .

السادة للفكر والثقافة
www.sadah.net

تصانيفهم كثرة في المسائل وقلة في الردود والمناقشات، كما تأثر به لاحقوه، ومما يلمح إلي هذا المعني أن الإمام الجعفري صاحب التخجيل استخدم عبارة معضلة في رده علي الأسئلة التي وُجهت إليه حول بعض النصوص التي توهم اتحاد اللاهوت بالناسوت، وذكر فيها بعض النصوص التي ساقها حجة الإسلام ونعتها بالمعضلة [١]، وأيضاً مدحه بعض باحثي النصارى كما تقدم، وما يتجلى في الكتاب من قوة الحجة وجلاء البراهين،والتثبت في النقل، والتيقظ لكل مدلول الكلام مطابقة والتزاماً بكل صنوف الدلالات أعجز أحبار النصارى عن الرد علي قضية من قضاياه، لذا علل الأب اليسوعي روبير شدياق . رئيس الدار الشرقية للآباء اليسوعيين . إحجام النصارى عن الرد علي الكتاب المذكور بقوة حجته ونصاعتها وعمقها [٢] .

و . مضمون الكتاب :

خصص حجة الإسلام كتابه لمناقشة اعتقاد النصارى إلهية عيسي عليه السلام، لأنها العقيدة الأولي والكبرى والمميزة لهم عمَّن سواهم من أمم الأرض، من أجل هذا رام محقها بالحجج والبراهين من مصادرهم القانونية ومسلمات العقول وبدهيات المنطق .

فأشار في مقدمة كتابه إلي ضعف مباني عقائدهم وتعقيدها .

ثمَّ أومأ إلي ركونهم إلي التقليد المحض .

ثمَّ درأ تقليدهم للفلاسفة في دعواهم تعلق ذات الله . تعالي . بالمسيح عليه السلام كتعلق النفس بالبدن عن الفلاسفة .

ثمَّ ذكر الأصل الاستدلالي الذي يحاجهم به في كتابه، وقوامه علي أن صريح المعقول لا يعارض صحيح المنقول، وإمكان الجمع بين الأدلة المتباينة .

ثمَّ شرع يذكر لهم النصوص التي اعتمدوا عليها في اتحاد اللاهوت بالناسوت فناقشهم في ثلاثة نصوص تجمع في طياتها نصوصاً أخري ورد عليها ووجهها بما يجزم بالإنسانية المحضة

---

(١) تخجيل من حرف التوراة والإنجيل، ج١ ص ٤١٩ وما بعدها .

(٢) ينظر: مقدمة الأب شدياق، لكتاب الرد الجميل، ترجمة: الأستاذ/ عبد العزيز عبد الحق حلمي، نشر مجمع البحوث الإسلامية بمصر، سنة ١٩٧٤م .

السادة للفكر والثقافة
www.sadah.net

للمسيح عليه السلام، وأتبع هذه الثلاثة بثلاثة نصوص أخري تؤكد بشريته عليه السلام، ثمَّ أوضح فكر الطوائف الكبرى للنصرانية في طبيعته عليه السلام، وفي أثناء ذلك شرح فكرهم في التثليث والاتحاد .

ثمَّ بين من نصوصهم أن إظهار المعجزات علي يده عليه السلام لا يقتضي القول بألوهيته.

ثمَّ جمع بين ظاهر النصوص التي تطلق عليه نعت الإله والرب، وغيرها، كما جمع بين إطلاق الأبوة علي الله . جل وعلا . والبنوة علي عيسي عليه السلام . ثمَّ رجع إلي توجيه نصوص أخري ظاهرها اتحاد اللاهوت بالناسوت، فذكر نصين دعاهما بالمعضلتين، وذكر ثلاثة نصوص أسماها بالشبهات . وختم كتابه بشبهة لفظية استندوا إليها من آي الكتاب الحكيم .

ويمكن لنا أن نقسم من خلال هذه الدراسة معالجة حجة الإسلام للعقائد النصرانية في ثلاثة أقسام :

أولها: عقائد وصف مفهومها، وأبان أدلتها، ورد عليها رداً مستفيضاً، وهي عقائد إلهية عيسي عليه السلام والاتحاد بين اللاهوت والناسوت والتثليث ودعوي بنوته عليه السلام لله . جل وعلا . .

وثانيها: عقائد مرَّ عليها مروراً سريعاً، ولم يحدد مفهومها ولم يناقشها وهي: عقيدة الخطيئة الموروثة [١] وعقيدة الفداء [٢] وعقيدة الصلب وعقيدة الخلاص [٣] وعقيدة موت الإله وإقباره .

وثالثها: عقائد لم يذكر عنها كلمة واحدة وهي عقيدة نزول الابن من السماء، وعقيدة قيامته من بين الأموات، وعقيدة الظهور وعقيدة الرفع إلي السماء، وعقيدة الدينونة [٤] .

ويرجع اهتمام حجة الإسلام برد إلهية عيسي عليه السلام إلي أنها محور العقائد النصرانية وقاعدة دينها، فبنقضها تنقض العقائد الأخرى .

---

(١) يقول عنها كتاب الرد (أ) ص ٤٠ (ب) ص ١٢٧ (جـ) ص ١٤٣ : أجمعوا علي أن بني آدم أُخذوا بسبب عصيان أبيهم آدم، وأن الأنبياء والأولياء ألقوا في الجحيم .

(٢) يقول عنها في الموضع السابق: ثم إنَّ الإله وعدهم أن يفديهم، ففداهم فداء الكريم، والكريم إذا بالغ في الفداء، فدى بنفسه، وذاته مجردة لا ينالها ضيم ولا أذى، فاتحد بناسوت عيسي عليه السلام، ثمَّ إنَّ الناسوت الذي اتحد به صُلب .

(٣) يقول عنها في الموضع السابق نفسه: فكان صلبه سبباً لخلاص الأنبياء والأولياء وإخراجهم من الجحيم ! .

(٤) أي قيام الابن بمحاسبة الخلائق في الآخرة تنازلاً من الأب له، لأجل أنه كان الفادي المخلص المصلوب !! .

السادة للفكر والثقافة
www.sadah.net

ز. ملاحظات علي كتاب الرد الجميل :

هذا الكتاب العظيم الشأن الكبير المنزلة سالم من الملاحظة إلا في ثلاث مسائل أراها جديرة بالنظر، وللإمام عذر فيها .

أما الأولي، ففي ترتيب فصول الكتاب، فإنه ذكر النصوص التي استدلوا بها علي إلهيته عليه السلام ووجهها ثمَّ أتبعها بعرض النصوص المثبتة لإنسانيته المحضة، ثمَّ أعقبها ببيان فقرات أخري أسماها معضلات وشبهات تحقق غرضهم، ورد عليها .

وكان الأقرب أن يذكر النصوص التي استمسكوا بها لتحقيق غرضهم، ثمَّ يتبعها بالنصوص المثبتة لبشريته الخالصة .

كما أنه قال بأن في معضلة الكلمة الواردة في صدر إنجيل يوحنا [1] شبهتين، ثم ذكر ثلاث شبهات .

وأما الثانية، فإنه وعد بأن يذكر النصوص الدالة علي التجوز في إطلاقه عليه السلام ما يوهم الإلهية علي نفسه، والنصوص الدالة علي التجوز في مسألة الاتحاد ... والنصوص الدالة علي إنسانيته المحضة، ولم يذكر إلا القليل منها، فإن عني ذكر أهمها . عنده . فلا ملاحظة، وإلا فإن ما تركه أضعاف ما ذكره، وستذكر إن شاء الله [2] .

وأما الثالثة: فقطعه بأن كاتب إنجيل يوحنا هو يوحنا بن زبدى . أحد التلاميذ في رأيهم . وصحيح أن حجة الإسلام جاراهم في تدينهم بصحة أسفارهم ورسائلهم، وصدق نسبتها إلي من نسبت إليهم، لكن كان من الأولي ألا يجزم بأن إنجيل يوحنا ليوحنا بن زبدى . أحد الحواريين عندهم . وكان يكفيه أن يقول: صرح بهذا النص يوحنا أو صرح به يوحنا بن زبدى . أحد التلاميذ

---

(1) يوحنا: قالوا عنه، إنه ابن زبدى أحد التلاميذ، وصاحب إنجيل يوحنا، سفر الرؤيا، وثلاث رسائل من أعمال الرسل، شقيق يعقوب الكبير أحد التلاميذ، لُقِّب بالحبيب أي التلميذ الذي أحبه يسوع، قام بنشاطه التبشيري في أورشليم وما حولها، وقبض عليه في حكم دوميتان (٨١ . ٩٦)، ثم نجا من محاولة قتله، مات سنة مائة تقريباً، ينظر: الكنيسة المسيحية الأولي في عصر الرسل، للأنبا يوأنس، ص ٤١٧ . ٤٢١ باختصار، ط الأنبار روبس، القاهرة، ط٦، سنة ٢٠٠٦م، والاثنا عشر رسولاً لهربرت لوكير، ص ٥٢ . ٦٠، تعريب: صبحي مقار، نشر لجنة خلاص النفوس للنشر، القاهرة، سنة ١٩٨٥م .

(2) الرد الجميل (أ) ص ٧، ١٥ (ب) ص ٨٣، ٩٣ (جـ) ص ٩٩، ١٠٩ .

السادة للفكر والثقافة
www.sadah.net

عندهم . المنسوب إليه هذا الإنجيل كما هو دأبه في أكثر من موضع في كتابه، في هذه المسألة وغيرها [١]، إذ إن الباحثين المنصفين يشككون في نسبه في الإنجيل الرابع ليوحنا بن زبدى .

فتذكر دائرة المعارف الفرنسية المشهورة باسم لاروس القرن العشرين Larousse du xxe Siecl [٢] أنه يُنسب ليوحنا هذا الإنجيل ولكن البحوث الحديثة في مسائل الأديان لا تسلم بصحة هذه النسبة .

وتصرح دائرة المعارف البريطانية قائلة: (أما إنجيل يوحنا فإنه لا مرية ولا شك كتاب مزور أراد صاحبه مضادة اثنين من الحواريين بعضهما لبعض، وهما القديسان: يوحنا بن زبدى الصياد، ومتى، وقد ادعى هذا الكاتب المذكور في متن الكتاب أنه الحواري الذي يحبه المسيح، فأخذت الكنيسة هذه الجملة علي علاتها، وجزمت بأن الكاتب هو: يوحنا الحواري، ووضعت اسمه علي الكتاب نصاً، مع أن صاحبه غير يوحنا الحواري يقيناً، ولا يخرج هذا الكتاب عن كونه مثل بعض كتب التوراة، التي لا رابطة بينها وبين ما نسبت إليه .

وإنا لنشفق علي الذين يبذلون منتهى جهدهم ليربطوا، ولو بأوهى رابطة، ذلك الرجل الفلسفي . الذي ألف هذا الكتاب . في الجيل الثاني . بالحواري يوحنا الصياد الجليل، وأنَّ أعمالهم تضيع عليهم سدي لخبطهم علي غير هدي) [٣] .

ويسأل الدكتور موريس بوكاى [٤]:من هو المؤلف؟،ويجيب قائلاً: المسألة موضوع نقاش طويل، وقد طُرحت آراء شديدة الاختلاف في هذا الشأن .

وينقل عن (أ. كولمان) قوله: إن كل شيء يدفع إلي الاعتقاد بأن النص المنشور حالياً لإنجيل

---

(١) لعله رأي أن اللاحق من كلامه نسخ السابق أو نسي ذكر ذلك .

(٢) نقلاً عن: الأسفار المقدسة في الأديان السابقة للإسلام د/ علي عبد الواحد وافي، ص ٨٩، نشر دار نهضة مصر، القاهرة، بدون تاريخ .

(٣) Encyclopaedia Britannica, 1960 (John) نقلاً عن : مقدمة تحقيق كتاب: الرد الجميل، د/ محمد عبد الله الشرقاوي، ص ٥١، ٥٢، ط دار الجيل، و ص ٧٠، ط دار أمية، الرياض، ويراجع: تحقيق د/ محمد شامة، لمقامع هامات الصلبان (بين الإسلام والمسيحية)، ص ٦٧، ٦٨ .

(٤) في كتابه: الكتب المقدسة في ضوء المعارف الحديثة، ص ٩٠ . ٩١، نشر دار المعارف، القاهرة، سنة ١٩٧٨م .

السادة للفكر والثقافة
www.sadah.net

يوحنا ينتمي إلي أكثر من مؤلف واحد، فيحتمل أن الإنجيل بشكله الذي نملكه اليوم، قد نشر بواسطة تلامذة المؤلف، وانهم قد أضافوا إليه .

ويعلق الدكتور/ موريس قائلاً: ودون ذكر الافتراضات الأخرى التي قدمها المفسرون، فالملاحظات الصادرة عن أبرز الكتاب المسيحيين، والتي أوردناها هنا عن مشكلة مؤلف الإنجيل الرابع، تشير هي وحدها إلي أننا مغمورون بالغموض والخلط فيما يتعلق بأبُوة هذا الكتاب !! [*].

فلا يصح القطع بنسبة الإنجيل الرابع إلي يوحنا الحوارى .عندهم ..

ثالثاً: نظرات سريعة في مقدمة كتاب الرد الجميل :

يستفتح حجة الإسلام كتابه قائلاً: بسم الله الرحمن الرحيم، أما بعد حَمد الله، والصلاة علي محمد خير خلقه، وآله، فإني رأيت مباحث النصارى المتعلقة بعقائدهم، ضعيفة المباني، واهية القوي، وعِرة المسالك، يقضي المتأمل من عقول جنحت إليها غاية عجبه، ولا يقف .من تعقيدها .علي اليسير من أرَبه !! .

لا يعوّلون فيها إلا علي التقليد المحض، عاضين علي ظواهر أطلقها الأولون، ولم ينهض بإيضاح مشكلها لقصورهم . الآخرون، ظانين بأن ذلك هو الشرع الذي شرعه لهم عيسي عليه السلام معتذرين عن اعتقادها بما ورد من نصوص، يعتقدون أنها قاهرة للكفر، غير قابلة للتأويل، وأن صرفها عن ظواهرها عسيرة [١] .. أ.هـ

وبهذا فإن حجة الإسلام يبين أن عقائد النصارى ضعيفة المباني واهية القوى ورغم ذلك فإنها معقدة غامضة لا يدركها العقل ولا يبلغها الفهم، يسلم لها المرء تسليم المضطر، ويقرها

---

[*] ومن أراد المزيد في إثبات ذلك فليراجع John Marsh; Saint John, Penguin Books P,20, 1976، نقلاً عن المسيح في مصادر العقائد المسيحية، لأحمد عبد الوهاب، ص ٦٩ ـ ٧١، ط مكتبة وهبة، القاهرة، ط٢، سنة ١٤٠٨هـ ـ ١٩٨٨م. وينظر: محاضرات في النصرانية، للشيخ محمد أبو زهرة، ص ٤٦ ـ ٤٨، ط دار الفكر العربي، القاهرة، ط٣، والغفران بين الإسلام والمسيحية، للمهتدى إبراهيم خليل أحمد، ص ١٧،، ١٨، نشر دار المنار، القاهرة، ط أولي، سنة ١٤٠٩هـ ـ ١٩٨٩م. وإظهار الحق، لرحمت الله الهندي ١/ ١٥٤ ـ ١٥٧، تحقيق: د/ محمد ملكاوى، ط الرئاسة العامة للبحوث والإفتاء، الرياض، ط٢، سنة ١٤١٣هـ ـ ١٩٩٢م .

[١] الرد الجميل (أ) ص ٢٢١ (ب) ص ١٠٥ (جـ) ص ٩١، ٩٢ .

السادة للفكر والثقافة
www.sadah.net

الإنسان إقرار المجبور .

وإلا فأنى لعقل أن يفهم أن أشخاص أو صفات الثالوث الثلاث المتمايزة عبارة عن ١ + ١ + ١ = ٣، ومع هذا = ١ .

وقد أدرك علماء الكنيسة استحالة التوافق بين التثليث والتوحيد، واستحالة فهم التجسد الإلهي أو اتحاد اللاهوت بالناسوت، واستحالة وعي كيفية صدور الابن من الأب.

هذا وإن كانت هذه المسألة ستتضح أكثر داخل قضايا كتاب الرد الجميل [١] إلا أنه يكفينا أن نقتصر هنا علي ما كتبه القس جروت في كتابه " التعاليم الكاثوليكية " [٢]، إذ يقول: إنَّ الثالوث الأقدس هو سر غامض بمعني الإلزام بالكلمة، وللأسباب وحدها لا يمكن التدليل علي وجود الثالوث الإلهي نتعلمه من الكتب الموحي بها، وحتى بعد وجود السر الغامض قد كشف لنا بقاء استحالة العقل الإنساني إدراك كيف أن الثلاثة أشخاص إنما هي ذات طبيعة إلهية واحدة .

وينتقل حجة الإسلام ليبين موقف النصارى كافة في فهم عقائدهم والدوافع التي دفعتهم إلي التسليم بصحة ما يعتقدون .

فيرى أنهم في ذلك طائفتان :

- طائفة .وهم الأكثر .لم يمارسوا شيئاً من العلوم التي يقف بها الناظر علي استحالة المستحيل، فيحرم باستحالة وجوده، وإيجاب الواجب، فينفي عدم وقوعه، وإمكان الممكن، فلا يعتقد محالاً لازماً لطرفي وجوده وعدمه، بل ارتسمت في أذهانهم صور منذ صغرهم، واستمرت بهم البغوة [٣] إلي أن صار ذلك فيهم ملكة، فهذه الطائفة برؤها من دائها عسير.
- وطائفة لهم أدني معقول، وقد ألموا بيسير من العلوم، فنجدهم ناكصين عن هذا

---

(١) ينظر المبحث الأول، المطلب الأول .

(٢) Rev0 J0 F0 De Groot Catholic Teacbings0 P0 149 نقلاً عن: الغفران بين المسيحية والإسلام، للمهتدى إبراهيم خليل أحمد، ص ٩٤، نشر دار المنار، القاهرة، ط أولي، سنة ١٤٠٩هـ ت ١٩٨٩م .

(٣) البَغْوة: الثمرة قبل أن تنضج أو قبل أن يستحكم يبسها، لسان العرب، مادة: بغا، والصحيح أنها: الغباوة كما في المخطوطة، وينظر الرد الجميل (ب) ص ٣٩، (ج) ص ٣٩ .

السادة للفكر والثقافة
www.sadah.net

المعتقد، لا يسامحون أفكارهم بمقاربته يعوَّلون تارة عل تقليد الفيلسوف [١] في مسألة الاتحاد، لإعظامهم ما يؤدي إليه من هدم قواعد، تظافر[٢]علي ثبوتها صرائح المعقول، فارين من هذه المعضلة إلي التقليد المحض .

معتقدين أن الفيلسوف قد حاول [٣] العلوم، فأبانها جلية مبرهنة، ظانين بأن من هذا شأنه، جدير بأن يعول علي أقواله، ويقلد في المعتقدات، فلذلك ينفصلون عن مسألة الاتحاد بردها إلي مسألة تعلق النفس بالجسد، ولو راجع هؤلاء المساكين عقولهم، وتركوا الهوي والتعصب لعلموا أنهم قد نكبوا عن محجة الصواب، وأخطأوا سبيل الحق لوجوه:أحدها [٤] أنهم إن جعلوا ذلك من قبيل القياس فغلط، لأن القياس: رد فرع إلي أصل بعلة جامعة، هي مناط الحكم [٥] .

وأي علة عقلها هذا القائل، مقتضية لحقيقة التعلق الذي يقول به الفيلسوف، ثمَّ بعد ذلك يُعدِّيها إلي ذات الباري ليصح له القياس؟

وإن جعل ذلك من قبيل التشبيه والتمثيل فغلط أيضاً، لأن المشبه لابد أن يكون معلوماً متصوراً، حتى يكون العلم به مقتضياً للعلم بالمشابهة .

والقائل فيهم بهذه المسألة لو بذل جهده علي أن يأتي بأدنى شبهة تَقفه علي حقيقة النفس، وحقيقة التعلق القائل بهما الفيلسوف، لأقر بالعجز عن إدراك ذلك .

فكيف يصح له القياس والحقائق غير معلومة له؟ ثم إنَّ مثل هذا القياس لا يسامح الفروعى [٦] نفسه في استعماله، بل هو من الأقيسة المهجورة، المسمي بقياس التعقيد، وهو أن يحاول

---

(١) يقصد به أرسطو أو الفيلسوف مطلقاً .

(٢) تظافر القوم علي الأمر أي تظاهروا وتعاونوا، لسان العرب، مادة: ظفر .

(٣)كذا في أصل الكتاب والأولي أن يقال: حاز .

(٤) ذكر وجهاً واحداً ولم يذكر وجوهاً أخري .

(٥) انظر عن القياس: تعريفه وشروطه وأنواعه، المستصفي، للإمام/ الغزالى، ج٢ ، والمحصول، للإمام/ الرازى، القسم الثاني، ج٢، تحقيق: د/ جابر فياض العلواني، ط الرياض، سنة ١٤٠١هـ. ١٩٨٠م .

(٦) الفروعى: لقب يطلق علي المشتغل بالأحكام الفقهية، ويقابله الأصولي المشتغل بأصول الدين .

السادة للفكر والثقافة
www.sadah.net

إثبات حكم خفي، فيثبته بما هو أخفي منه، أو بما يُحتاج في إثباته إلي إعمال الفكر واستخراجه بالأدلة الغامضة، كالنفس القائل بها الفيلسوف التي لا يتخيل وجودها إلا بتعقيدات وغموض في المأخذ !! .

وإذا كان مهجوراً في الفروع المبنية علي أيسر ظن، فكيف يُعوَّل عليه في الأصول المتعلقة بذات واجب الوجود [*] .

وكيف يتم ادّعاء ذلك، ومناط الحكم لو عثر عليه، لاقتضي أن لا يكون للإله تعلق بذات أحد من البشر، علي حد تعلق النفس بالبدن، لأنهم يقولون: إن كل نفس تعلقت ببدن فشرط تعلقها به أن يكون بينها وبينه منسابة وملاءمة، لأجلها كان التعلق، والإله . جل اسمه . منزّه عن مثل ذلك ؟! .

ثم لو سُلِّم لهم ذلك، وأن التعلق الذي حاولوه متصور علي وفق الآراء الفلسفية، لم يحصل لهم به عناء، ولم ينهض ذلك بمقصودهم في إثبات الإلهية لعيسي عليه السلام، لأن الفيلسوف يقول: إن للنفس بالبدن تعلقاً تدبيرياً، وأن اللذة والألم يحصلان لها بواسطة تعلقها به، إذا انفعلت القوة الحساسة بالملائم والمنافي، ومحال أن يراد هذا التعلق بجملته مع ما ذكر، لأن حصول اللذات لذات الباري محال .

بقي أن تؤخذ هذه النسبة التدبيرية مجردة عن حصول اللذات، وهذا أيضاً غير مُجْدٍ، لأن الخالق مدبر لكل فرد من أفراد العالم، وله إلي كل مخلوق نسبة تدبيرية، فإن قيل: المراد نسبة ظهر أثرها في خرق العوائد [*]، كإحياء الميت، وغير ذلك، فيدل إذ ذاك علي المقصود .

فالجواب: أن مثل هذه النسبة التي يتمكن المتصف بها من الإتيان بخرق العوائد، ثابتة لغير

---

[*] أنكر الدكتور/ محمد عبد الله الشرقاوي في تحقيقه للرد الجميل، ص ٩٣ هامش (ط دار الجيل) علي حجة الإسلام وغيره إطلاقه لهذا المصطلح، وأقول: إنَّ باب الإخبار عن الله . تعالي . أوسع من باب الأسماء والصفات، فلا يدخل في قاعدة توقيفية الأسماء والصفات، وقد قال الإمام ابن القيم في بدائع الفوائد ١/ ١٨٠، ما يجري صفة أو خبراً علي الرب . تبارك وتعالي . أقسام: أحدها: ما يرجع إلي نفس الذات كقولك: ذات وموجود وشيء (انظر: السابق، ط دار الكتاب العربي، بيروت، بدون تاريخ) فذكر أن مما يطلق علي الله . تعالي ت موجود مع أنه ليس مذكوراً بالنص في الأسماء والصفات، فكذا واجب الوجود .

[*] أي المعجزات .

السادة للفكر والثقافة
www.sadah.net

عيسي عليه السلام، فإنهم معترفون بأن موسى عليه السلام قلب العصا ثعباناً .

وهل إحياء الميت إلا عبارة عن اتصاف الجماد بالحيوانية ؟! بل هذا أدل علي المعجز، لأن جعل ما لم يتصف بحياة . قط . حياً، أدل علي القدرة من إعادة الشيء إلي حالته الأولي .

ثم انشقاق البحر، وجعل كل فرق كالطود العظيم، من غرائب المعجزات [١]، وقد شهدت التوراة التي يصدقونها بأن موسى عليه السلام أخرج يده برصاء كالثلج، ثمَّ أعادها إلي لون جسده [٢] .

وفي أسفار الملوك والقضاة، وهو من جملة كتبهم العتيقة التي تقرأ في كنائسهم أن إيليا واليشع تلميذه أقاما الميت [٣]،وإحياء إيليا لابن الأرملة عندهم غير منكور [٤] .

ووقوف الشمس . أيضاً . ليوشع إلي أن أخذ المدينة . أريحا [٥] . من بدائع المعجزات، ثمَّ لما كان من الأنبياء أنبياء لم ترسل، فما المانع أن تكون هذه النسبة ثابتة لكل واحد منهم، لكنها لم تظهر، لعدم الرسالة المُحْوجة إلي البراهين الصادرة عنها ؟! .

دقيقة يجب التنبيه عليها :

لفظ الكتاب العزيز:

سمح وَٱضۡمُمۡ يَدَكَ إِلَىٰ جَنَاحِكَ تَخۡرُجۡ بَيۡضَآءَ مِنۡ غَيۡرِ سُوٓءٍ ءَايَةً أُخۡرَىٰ ٢٢ سجى [طه: ٢٢]

[٦] ولفظ التوراة: (وَهِنا يا ذو مصورا عث كالشولغْ)، وتفسير هذا اللفظ العبراني بالعربية: وهذه يدك برصاء كالثلج .

صرحت التوراة بالبرص، وصرَّح الكتاب العزيز بأن بياضها من غير سوء، وفي القلب حَسِكَة

---

(١) سفر الخروج (١٤: ١٥ . ٢٩) وفي التوراة السامرية (خروج الإصحاح الأول حتى الحادي عشر) ترجمة الكاهن السامري أبي إسحاق الصوري، نشر دار الأنصار، القاهرة، ط أولي، سنة ١٣٩٨هـ . ١٩٧٨م .

(٢) في ترجمة البروتستانت الحديثة، سفر الخروج (٤: ٦ . ٨) .

(٣) أحيا اليشع ابن المرأة الشونمية (الملوك الثاني ٤: ٣٢ . ٣٧) .

(٤) إحياء إيليا لابن الأرملة في الملوك الأول ١٧: ١٧ . ٢٤ .

(٥) في سفر يشوع ١٠: ١٢، ١٣ .

(٦) سورة طه، الآية (٢٢) .

السادة للفكر والثقافة
www.sadah.net

[1] من ذلك . في بادئ الرأي . لكن الجمع علي الممارس الفهم غير عسير، وبيانه: أن البرص عبارة عن عَرض ينشأ عن سوء مزاج يحصل بسبب تلزُّج بلغم تضعف القوة المُغيرة عن إحالته إلي لون الجسد .

ومعلوم أن بياض يد موسى عليه السلام ما نشأ عن سوء مزاج لأن كل أحد وإن ساء مزاجه . علي نهج ما وصفناه - حصل له ذلك، وإذا قويت القوة المغيرة أحالته، وحينئذ تذهب خصوصية الإعجاز !!

بل بياضها كان من قبيل المعجز الخارق، وشأن المعجز الخارق أن يكون مخالفاً للمعهود المألوف، وإلي هذا المعني إشارة الكتاب العزيز بقوله: ↓ ✍ ⇳ Ⅱ ⇲ ❷ ↗ ❸ ⃠ ↑ ☮ ↗ ☑ ❑ ← ⃠ أي: أن الله . تعالي . أقدر موسى علي أن يجعل يده برصاء من غير سوء، وأن يردها إلي لون جسده، من غير قوة مغيرة، ليحصل له بذلك خصوصية بإجراء المعجز الخارق المخالف للمعهود علي يده، وإنما يكون معجزاً مخالفاً للمعهود إذا أتي بالمُسبَّب منفكاً عن سببه العادي، الذي لا ينشأ إلا عنه، ثم عبَّر عنه بالبياض الذي هو من لوازمه، هذا جمع واضح .

ومما يوهي معتقدهم في هذه المسألة أن قاعدة الفيلسوف في النفس، وتعلقها إن كانوا جازمين بثبوتها، ومستند جزمهم حسن الظن بالقائلين بها، وهم غير قادرين علي الإتيان ببراهينها، ظناً منهم أن القائلين بها قد اخترعوا من العلوم الخفية ما يرجع الفكر ناكصاً عن إدراكها، لخفاء مأخذها، وصعوبة مبانيها .

وأن من هذا شأنه تكون أُحواله مبرأة من الخطأ، فيجب علي هذا القائل أن يقلد الفيلسوف في: أن النبوات مكتسبة، وأن العالم قديم لا يقبل الكون الفساد، وأن الباري لا يعلم الجزئيات [2]، وأن الواحد لا يصدر عنه إلا واحد، وأن إله الخلق وجود مجرد لم يقم بذاته علم ولا حياة

---

(1) أي: ضغن وعداوة وحقد، يقال في قلبه عليَّ حَسَكة وحُساكة أي ضغن وعداوة، والحَسَك والحَسَكة والحسِيكة: الحقد، ينظر: لسان العرب، مادة: حسك ٢/ ٨٧٤ .

(2) حكم الإمام الغزالي بكفر من قال بهذه المسائل الثلاث من الفلاسفة، ينظر: تهافت الفلاسفة، ص ٣٠٥ . ٣١٠، تحقيق: د/ سليمان دنيا، ط دار المعارف، القاهرة، ط ٧، سنة ١٣٩٢هـ . ١٩٧٢م .

السادة للفكر والثقافة
www.sadah.net

ولا قدرة، إلي غير ذلك، مما نقصوا به قواعد المتشرعين [١]، وصرحوا فيه بإكذاب المرسلين .

ومن العجب تقليدهم قوماً يمنعون تصور ما يثبت به خصوصية صاحب شرعهم[٢] لنصهم علي استحالة انعقاد الولد من محض مَنِيّ أمه من غير مشاركة منى رجل، إما عاقد [٣] علي رأي كبيرهم [*]، أو مشارك له في الجزئية علي رأي جالينوس [٤] .

فإنْ حمل . قائلاً . تعصبه وهواه المحرِّضان له علي عدم ترك ما ألفه، قائلاً: إن ما ذُكر قامت البراهين علي خطئهم فيه فنبقي فيما وراءه، علي مقتضى حسن ظننا بهم .

فالجواب: أن من ظهر تارة خطؤه، وتارة صوابه، كانت أقواله ممكنة الخطأ والصواب، ولا يصار إلي تقليد من هذا شأنه . مع عدم الوقوف علي مستند أقواله . ونبذ أقوال المتشرعين وراء ظهره، وعدم التفاته علي التعول علي ظاهر كتابه الدالة علي إنسانية صاحب شريعته، إلا لنصوص أبت التأويل، دالة علي ما يدعونه من الإلهية، مستعصية علي العقول استعصاءً بيناً !!

كيف وفي الإنجيل نصوص مصرحة بإنسانية عيسي عليه السلام المحضة، ونصوص شاهدة بأن إطلاق الإلهية عليه . علي ما يدعون . محال !!

وهذه النصوص في أصح الأناجيل عندهم، إنجيل يوحنا بن زبدى [٥].

أصول الاستدلال عند حجة الإسلام :

وقبل أن يدلف حجة الإسلام في إيضاح قضايا كتابه عرض قاعدتين في أصول الاستدلال وفهم النصوص مفادهما موافقة صريح المعقول لصحيح المنقول، وإمكان الجمع بين الدلائل

---

(١) المتشرعون متبعو شرائع الأنبياء . عليهم السلام . .

(٣) يعني أن الله . تعالي . خلق عيسي عليه السلام بلا أب .

(٤) أي أن أحدهما معقود بالآخر .

(*) يقصد أرسطو طاليس .

(٤) جالينوس: ولد بآسيا الصغرى سنة ١٢٩م، وتوفى سنة ١٩٩م، آخر أئمة الكتاب في الطب ببلاد الغريق، فيلسوف له أثر، نسب إليه نيف ومائة وعشرون كتاباً منها: ملخص طيماوس لأفلاطون، والبرهان، وأقوال في اليهود والنصارى. ينظر: دائرة المعارف الإسلامية لأئمة المستشرقين، ط الشعب، القاهرة، بدون تاريخ .

(٥) الرد الجميل (أ) ص (ب) ص ١٠٧ . ١١٤ (جـ) ص ٩٢ . ٩٧ .

السادة للفكر والثقافة
www.sadah.net

التي تبدو في ظاهرها متعارضة، وهذان الأصلان بمثابة شرط المناقشة والمجادلة، يقول الإمام الغزالى:

(وقبل الشروع في ذكرها، فلابد من تقديم أصلين متفق عليهما بين أهل العلم، أحدهما: أن النصوص إذا وردتن فإن وافقت المعقول تُركت ظواهرها، وإن خالفت صريح المعقول، وجب تأويلها، واعتقاد أن حقائقها ليست مراده، فيجب إذ ذاك ردها إلي المجاز.

الثاني: أن الدلائل إذا تعارضت، فدل بعضها علي إثبات حكم، وبعضها علي نفيه، فلا يتركها متعارضة إلا وقد أحسسنا من أنفسنا العجز، باستحالة إمكان الجمع، وامتناع جعلها متظافرة علي معني واحد) [1] .

وهذا يفسر لنا منهج الإمام الغزالى في الرد الجميل وتصانيفه الأخرى، المنهج القائم علي مؤازرة العقل للنقل، فما من مسألة من مسألة أو قضية يوردها في هذا الكتاب إلا ويحيطها برعاية العقل وكِلاءَتِه .

وممَّن تأثر بحجة الإسلام في الجمع بين العقل والنقل شيخ الإسلام ابن تيمية الذي صنف مصنفين جليلين في هذا الموضوع، أحدهما: درء تعارض العقل والنقل، والآخر: موافقة صريح المعقول لصحيح المنقول .

ورجال الكنيسة أنفسهم يقرون حجة الإسلام علي هاتين القاعدتين، فيقررون:

- بأن أول قاعدة من قواعد التفسير التي ينبغي أن يلتزم بها من يروم أن يكون أميناً في تفسيره للكتاب المقدس، هي أن لا يتشبث بنص واحد بعينه ويهمل سائر النصوص، فالكتاب المقدس يجب أن ينظر إليه ككل، ولابد من فهم كل جزء من اعتبار الكل، ولسنا في ذلك نقرر أمراً شاذاً، بل هذا هو المبدأ الذي يراعي في شتي العلوم والمعارف الإنسانية .
- والقاعدة الثانية أن كل نص في الكتاب المقدس يجب أن يؤخذ أولاً علي معناه الحرفي إلا إذا كانت هناك قرينة تمنع من قبول هذا المعني الحرفي، كأن يكون مضاداً للعقل أو

---

(1) ينظر: الرد الجميل (أ) ص ٨ (ب) ص ١١٧ (جـ) ص ١٠٠ .

السيادة للفكر والثقافة
www.sadah.net

مضاداً للواقع أو مضاداً لنصوص أخري واضحة في لفظها أو معناها [١] .

والذي يؤكد ثبوت هاتين القاعدتين: القطع بالمجاز في الأسفار الكتابية، والتنصيص علي التأويل في فقرات العهد الجديد نفسها .

ففي قصة المرأة المجدلية [٢] التي رأت المسيح عليه السلام قبل الصعود إلي السماء قال لها يسوع يا مريم فالتفتت تلك وقالت له: ربوني . الذي تفسيره: يا معلم . قال لها يسوع: لا تلمسيني لأنني لم أصعد بعد إلي أبي، وقولي لهم إنني أصعد إلي أبي وأبيكم وإلهي وإلهكم . (يوحنا ٢٠: ١٦ .١٨) .

وعندما كان المسيح مع تلميذين من تلاميذه التفت إليهما، وقال: ماذا تطلبان، فقالا له ربي، الذي تفسير يا معلم، أين تمكث ؟ (يوحنا ١: ٣٨) .

وعقائد القوم نفسها قائمة في تفسيرها علي تأويل ظاهرها .

فاعتقاد التثليث يؤولون ظاهره المستبين بأن الثلاثة واحد والواحد ثلاثة، وهذه الثلاثة عبارة عن ثلاث صفات في ذات واحدة، وينفون كون هذا الواحد ثلاث ذوات، ولهم في تعلقات هذه الصفات وأعمالها واختصاصاتها تأويلات أخري [*] .

وفي اعتقادهم باتحاد اللاهوت بالناسوت يرفضون الفهم الظاهري القائم علي الاتحاد باستحالة وامتزاج واختلاط وتغيير، فيؤمنون بان الاتحاد بدون اختلاط أو امتزاج أو تغيير أو تداخل ودون انفصال .

وفي اعتقادهم بنوة عيسي عليه السلام لله . سبحانه . " ينفون الظاهر وهو أن البنوة إذا أطلقت يقصد منها الابن المولود عن طريق مباشرة وقعت بين ذكر وأنثي كما ينفون المجاز، ويحملونه

---

(١) يراجع كتاب : أنت المسيح الله ابن الله الحي، للأنبا غريغوريوس، ص ١٠٢ . ١٠٣ باختصار، نشر الكلية الإكليريكية، ط الأنبا رويس، القاهرة، ط٢ ، سنة ١٩٩١م .

(٢) المجدلية:نسبة إلي المجدل (بلدة في فلسطين بين غزة ويافا قالوا: أخرج المسيح منها سبعة شياطين (متى٢٧: ٥٦) .

(*) ستأتي في المبحث الأول .

السادة للفكر والثقافة
www.sadah.net

علي أنه صدر منه وولد ولادة روحانية " [١] .

وفي اعتقادهم صعود عيسي عليه السلام، وجلوسه عن يمين الآب يحملون ظاهر الجلوس علي معني البر والقوة والعظمة .

ويشرح الأنبا شنوده مسألة جلوس الابن عن يمين الأب فيقول: فماذا يفهم من جلوس المسيح عن يمين الأب؟، الأب ليس له يمين ولا شمال، لأنه غير محدود، كما أنه مالئ الكل، لا يوجد فراغ عن يمينه لكي يجلس فيه أحد، فما معني الجلوس عن يمينه؟، إن كلمة يمين ترمز إلي القوة وإلي البر وإلي العظمة، كما قيل: "يمين الرب صنعت قوة .. " (مزمور ١١٧)، ويعني أن قوة الله صنعت هذا .

وهنا يمين الأب تعني قوة الأب وبر الأب وعظمته [٢] .

ويفصل المراد السابق الأنبا غريغوريوس [٣] في كتابهُ أنت المسيح الله ابن الله الحي [٤] فيقول: ليس له جسم، كما أنه ليس محدوداً في المكان حي تكون له يمين أو شمال، وحيث تكون قرينة تمنع من إرادة المعني الأصلي لكلمة اليمين، فلابد أن يكون اللفظ قد خرج عن معناه الحرفي إلي معني مجازي، فهنا استعارة مكنية، شبه الله فيها بإنسان، والإنسان له يمين ويسار وكم من مرة ترد في الكتب المقدسة أمثال هذه الاستعارات المكنية، والتشبيهات المجازية، فيقال: إنَّ لله وجهاً " وجهك يارب ألتمس، لا تحجب وجهك عني " (مزمور ٢٦: ٨، ٩) ...، والواقع أننا لا نستطيع لضيق المقام أن نسرد لك جميع الآيات التي تنسب لله يداً وعيناً وأذناً وفهماً ووجهاً وقدماً، فهي أكثر من أن تُحصي .....، وعلي ذلك فقول الكتاب المقدس عن السيد المسيح إنه جلس عن يمين الأب، لا يفهم علي معناه الظاهر، طالما أن الله روح وليس له مكان ولا حدود، بل يجب أن يحمل علي معناه المجازي والاستعاري، ليشير به إلي موضع الكرامة والمجد" .

---

(١) ينظر: حوار حول الثالوث، للقديس كيرلس الإسكندري (ت ٤٤٤م) ص ٥١، ٥٢، ترجمة ونشر مؤسسة القدس أنطونيوس، القاهرة، سنة ١٩٩٩م .

(٢) في كتابه: لاهوت المسيح، ص ٢٧، نشر الكلية الإكليريكية للأقباط الأرثوذكس .

(٣) أسقف عام الدراسات العليا اللاهوتية والثقافة القبطية والبحث العلمي .

(٤) الكتاب السابق، ص ٧٩ ـ ٨١ باختصار كبير، نشر لجنة النشر للثقافة القبطية، القاهرة، ط ٢، سنة ١٩٩٠م .

السادة للفكر والثقافة
www.sadah.net

وهذا عين ما قعده حجة الإسلام الغزالى في الرد الجميل وغيره .

ثمَّ شرع . رحمه الله . في موضوع كتابه بادئاً بذكر النصوص الموهمة لإلهيته عليه السلام بالغاً في إيضاحها، وكشف الغطاء عن مشكلاتها مبلغاً يرجع معه الحق باهر الرواء، ظاهر السناء .

السادة للفكر والثقافة
www.sadah.net

المبحث الأول

دفع كتاب الرد الجميل أدلة النصارى

في إلهية عيسي عليه السلام واتحاد اللاهوت به

قبل أن أدلف إلي بيان اعتقاد النصارى بألوهية عيسي عليه السلام، واتحاد اللاهوت به، وموقف كتاب الرد الجميل منه، أوضح ابتداء الركيزة الأساسية للعقيدة النصرانية التي تعتقدها الكنائس كلها، وتؤمن بها المذاهب المسيحية جميعها، ويعرف بها نصارى اليوم، إنها عقيدة تثليث الإله، ثمَّ أتبعها بالعقيدة الملازمة لها والمؤسسة لأركانها ألا وهي عقيدة التجسد أو الاتحاد .

المطلب الأول

وصف كتاب الرد الجميل لعقيدة التثليث والرد عليها

أولاً: مفهوم ونشأة عقيدة التثليث :

يقوم اعتقاد النصرانية علي عقيدة التثليث التي هي أساس الإيمان المسيحي وقطب رحاه ومركز دائرته وحقيقة جوهره، ومفهومها: أن الله جوهر [١] واحد ذو أقانيم [٢] ثلاثة: الأب [١]

([١]) الجوهر: ما قام بنفسه، فهو متقوم بذاته ومتعين بماهيته، وهو المقولة الأولي من مقولات أرسطو، وبه تقوم الأعراض والكيفيات ويقابل العرض. المعجم الفلسفي، ص ٦٤ .

وجاء علي لسان النصارى بمعني: الكائن بذاته. ينظر التثليث والتوحيد، لفوزي جرجس، ص ١٤، ط مكتبة المحبة، القاهرة، ١٩٤٨م، والمعنيان واحد .

([٢]) الأقنوم عند النصارى كلمة سريانية الأصل يقابلها باليونانية كلمة Hypostasis هيبوستاسيس، وهي تتكون من مقطعين: هيبو = تحت، ستاسيس = الكيان، وهي تعني حرفياً تحت الكيان أو ما يقوم عليه الكيان الإلهي، فكلمة أقنوم تعني خاصية أو صفة ذاتية في الله تقوم عليها الذات الإلهية وبدونها ينعدم قيامها. ينظر كتاب: إيماننا المسيحي صادق وأكيد، ص ٤٥، للشماس الإكليريكي د/ سامح حلمي، ط توب أرت، القاهرة، ط أولي، سنة ١٩٩٩، وتدل علي من له تمييز distinction، ينظر: ثلاث حقائق أساسية في الإيمان المسيحي، ليوسف رياض، ص ٤٣، ط٦، سنة ١٩٩٩م، بدون دار نشر، وذكر كيلس الكبير ت ٤٤٤م في كتابه: حوار حول الثالوث، ص ٦١، ترجمة ونشر المركز الأرثوذكسي للدراسات الآبائية، القاهرة، سنة ١٩٩٩م: أن معني الأقنوم صفة خاصة، وعبَّر عنها صاحب كتاب الثالوث، د/ الأنبا يوحنا قلته، ص ١٦، نشر دار الثقافة، القاهرة، سنة ١٩٩٧م: بأنها طاقات إلهية ... ويعبر عنها في كتب اللغة بالأصل (لسان العرب، والصحاح، للجوهري، والمعجم الوجيز) .

السادة للفكر والثقافة
www.sadah.net

والابن والروح القدس، وهؤلاء الثلاثة متفقون في الذات والصفات والأفعال مع التميز في الاختصاصات دون انفصال بل باتحاد .

وجاء في كتاب واحد أم ثلاثة [٢] : (الله واحد مثلث الأقانيم، الله الأب، والله الابن، والله الروح القدس، وهم ليسوا ثلاثة بل إله واحد) .

وقال صاحب كتاب: إيماننا المسيحي [٣] : (نحن المسيحيين نؤمن بأن الله واحد لا شريك له، ولكنه مثلث الصفات أو الخاصيات الذاتية، فالله واحد في جوهره، ولكن يوجد في هذا الجوهر الواحد ثلاث خاصيات ذاتية وهي الوجود والعقل والحياة) .

فهم يجمعون علي أنه واحد في ثلاثة وثلاثة في واحد، وحدة في ثالوث، وثالوث في وحدة، أو ثالوثه في وحدانيته، ووحدانيته في ثالوثه .

يقولون: أعلن لنا طبيعته في ثالوث قدوس هو الأب والابن والروح القدس، إله واحد أحد في ثلاثة أقانيم، إنهم ثلاثة في واحد، فنحن لا نقول ١ + ١ + ١ =١، كلا فهي خرافة، لكننا نقول ١ × ١ × ١ = ١ وهذه حقيقة صحيحة وأكيدة [٤] .

فالإله عندهم يمثله ثلاثة: الآب والابن والروح القدس، هذه الثلاثة صفات أو خواص أو طاقات إلهية لذات واحدة .

وهذا الذي يعلمونه لأطفالهم في المدارس، فيقولون: نؤمن نحن المسيحيين أن الأب والابن

وذكر ابن الآلوسى في كتابه: الجواب الفسيح ١/ ٢٣٧ ـ ٢٣٩، نشر دار البيان العربي، سنة ١٩٨٧م تسعة أقوال في معني الأقنوم، أكثرها يدور علي معني الصفة، وهي: أشخاص، وخواص، وصفات إيجابية، وصفات == == إيجابية جوهرية، وصفات لا بمفردها، وأوصاف لا بمفردها، والعقل والعاقل والمعقول، وجهات ذهنية، ورد علي هذه الأقوال .

(١) كلمة أب: كلمة يونانية تعني المصدر أو الأصل أو الوجود أو الكيان الإلهي، يراجع كتاب: إيماننا المسيحي، د/ سامح حلمي، ص ٤٦ .

(٢) تأليف: الفريد صموئيل، ص ٢١، نشر نادي الصداقة والفكر المسيحي، القاهرة، ط٢، سنة ١٩٩٩م .

(٣) كتاب إيماننا المسيحي صادق وأكيد، للشماس الإكليريكي د/ سامح حلمي، ص ٤٥ .

(٤) ينظر: ثلاث حقائق في الإيمان المسيحي، يوسف رياض، ص ٤٩، ط٦، سنة ١٩٩٩م، بدون دار نشر، وينظر: واحد أم ثلاثة، للفريد صموئيل، ص ٣٧ .

السادة للفكر والثقافة
www.sadah.net

والروح القدس إله واحد، الله الأب خالق السماء والأرض، الله الابن يسوع المسيح مخلص البشر، الله الروح القدس الرب المحيي .

وفي شرح هذه العقيدة يقولون: نحن النصارى نعتقد أن الله ثلاثة أقانيم الأب والابن والروح القدس [١]، "وأن هذه الأقانيم الثلاثة ليست آلهة بل إلهاً واحداً، لأن جوهرها واحد هو جوهر اللاهوت، فنعترف بوحدانية الله في ثلاثة أقانيم، والأقانيم الثلاثة تتميز بصفاتها، لكل منها صفة ذاتية مع جوهر اللاهوت، فالجوهر الإلهي واحد والأقانيم ثلاثة:

١ . أقنوم الأب هو جوهر اللاهوت مع صفة الأبوة " صفة ذاتية " .

٢ . أقنوم الابن (الكلمة) (النطق) هو جوهر اللاهوت مع صفة البنوة " صفة ذاتية " .

٣ . أقنوم الروح القدس هو جوهر اللاهوت مع صفة الحياة " صفة ذاتية " .

وهذه الأقانيم الثلاثة علي النحو الآتي :

(أ) الله الأب موجود بذاته، ناطق بابنه (أي كلمته)، حي بالروح القدس .

(ب) الله الابن ناطق بذاته، مولود من الأب، حي بالروح القدس .

(ج) الله الروح القدس حي بذاته، ناطق بالابن " منبثق من الأب " [*]) [٢] .

إذن هم يثبتون الإلهية للأب والابن والروح القدس، ويدعونها إلهاً واحداً متساوياً في الذات والصفات والأفعال متمايزا في الاختصاصات .

ومحور هذه العقيدة هو الكلمة (الابن)، لأنه لولا الكلمة ما تم الاتحاد بين اللاهوت والناسوت، وبالتالي لا إثبات لإلهية الابن والروح القدس ولا صلب ولا خلاص ولا دينونة .

---

(١) التربية الدينية المسيحية للمرحلة الإعدادية (بمصر) ص ٨، للقس لبيب مشرقي (ورفاقه) ط الهيئة المصرية العامة لشئون المطابع الأميرية، القاهرة، سنة ١٩٨٥م .

(*) هذا عند الأرثوذكس، وعند الكاثوليك منبثق من الأب والابن .

(٢) يراجع: التثليث والتوحيد، لفوزي جرجس، ص ١٢، ١٣، وأزلية الثالوث، لملاك يوحنا، ص ١٥، ٢٥، ٢٨، نشر مكتبة المحبة، القاهرة، سنة ١٩٩٠م، وبراهين ألوهية المسيح، د/ القس وديع ميخائيل، ص ١٣ . ١٥، ط٤ ، بدون دار نشر، بدون تاريخ، والثالوث، د/ الأنبا يوحنا قلته، ص ٣٧، ٣٨، ٣٩، نشر دار الثقافة بتصرف .

السادة للفكر والثقافة
www.sadah.net

وعقيدة الثالوث المقدس لم تنشأ دفعة واحدة، وإنما أخذت عدة أطوار حتى ظهرت في صورتها النهائية تحت اسم قانون الإيمان وأقرتها الكنائس النصرانية، فإن أصل هذا القانون وضع في مجمع نيقية [١] سنة ٣٢٥م [٢]، ثم وضعت تتمته في مجمع القسطنطينية سنة ٣٨١هـ [٣]، ثمَّ وُضِعت مقدمته في مجمع أفسس الأول سنة ٤٣١م [٤] ويعرف هذا القانون بقانون الإيمان، والأمانة، والتسبيحة، وأمانة الإيمان وقانون الإيمان النيقاوي، وإليك نص أصله [٥]:

(بالحقيقة نؤمن بإله واحد، الله الأب ضابط الكل، خالق السماء والأرض، ما يُري وما لا نري، نؤمن برب واحد، يسوع المسيح ابن الله الوحيد، المولود من الأب قبل كل الدهور، نور من نور، إله حق من إله حق مولد غير مخلوق، واحد مع الأب مساوٍ للأب في الجوهر، الذي به كان كل

---

(١) نيقية: مدينة قديمة بآسيا الصغرى اسمها اليوم (أزنيق)،وكانت عاصمة الإمبراطورية البيزنطية (١٢٠ ـ ١٢٦م)، ينظر: الموسوعة العربية الميسرة، محمد شفيق غربال، ص ١٨٦٧، دار نهضة لبنان، سنة ١٤٠٦هـ ـ ١٩٨٦م، والمنجد في اللغة والأعلام، ص ٧٢١، المكتبة الشرقية، بيروت .

(٢) مجمع نيقية: انعقد في مدينة نيقية سنة ٣٢٥م بأمر الملك قسطنطين ورئاسة البطريرك إسكندر الأول، وبحضور ٢٠٤٨ أسقفاً للرد علي مقالة آريوس (٢٥٦ ـ ٣٣٦م) بأن المسيح عليه السلام مخلوق، وانقسم المجمع إلي معسكرين: معسكر بقيادة آريوس ومعه ١٧٣٠ أسقفاً، ومعسكر بزعامة الشماس أثناسيوس ومعه ٣١٧ أسقفاً، نادوا بأن يسوع هو الإله المتجسد، وأقر قسطنطين هذا المعتقد، فوضع قانون الإيمان، وتقرر حرمان آريوس وأتباعه ونفيه من البلاد .

(٣) مجمع القسطنطينية سنة ٣٨١م حضره ١٥٠ أسقفاً، رداً علي مقالة مقدونيوس بأن الروح القدس مخلوق وانه الملك الموكل بالوحي، فقرر المجمع أنه أحد الأقانيم الثلاثة .

(٤) مجمع أفسس الأول سنة ٤٣١م حضره مائتا أسقف رداً على مقالة نسطور بأن مريم أم الإنسان يسوع عليه السلام، فقرر المجمع بأنها والدة الإله. ينظر عن هذه المجامع: تاريخ الكنيسة، لجون لوريمر ٣/ ٢١ ـ ٢٢١، نشر دار الثقافة، القاهرة، ط أولي، سنة ١٩٨٨م،وينظر: هداية الحيارى، لابن القيم، ص ٣٠٩ ـ ٣٣٦، نشر دار القرآن الكريم، بيروت، ط٤، سنة ١٩٨١م . ومحاضرات في مقارنة الأديان، للمهتدى إبراهيم خليل أحمد، ص ٢٤ ـ ٢٩، نشر دار المنار، القاهرة، ط٢، سنة ١٩٩٢م .

(٥) يوجد اختلاف يسير بين القدماء والمحدثين من علماء النصارى في نقل نص الأمانة أو قانون الإيمان، وبعض هذا الاختلاف يعود إلي تمسك الكنيسة اللاتينية بانبثاق الروح القدس من الأب والابن، وتمسك الكنيسة اليونانية والقبطية بانبثاقه من الأب وحده، ينظر: تاريخ الأقباط، لزكى شنودة ١/ ١٧٨، ١٧٩، ودائرة المعارف، البستاني ٦/ ٣٠٥ .

وقد اهتم علماء الإسلام بنقل قانون الإيمان ونقده، ينظر: تخجيل من حرف التوراة والإنجيل ٢/ ٤٩٩ ـ ٥٢٣، وهو من أفضل الكتب التي ردت عليه، والجواب الصحيح ٢/ ١١٩ ـ ١٢١، والفصل، لابن حزم ١/ ١١٨، والملل والنحل، للشهرستاني ١/ ٢٢٣، والنصيحة الإيمانية، ص ١٥ ـ ١٧، وهداية الحيارى، ص ٢٦٨، ٢٦٩، وتحفة الأريب، ص ١٧٤ ـ ١٨٤ .

السادة للفكر والثقافة
www.sadah.net

شيء، هذا الذي من أجلنا نحن البشر، ومن أجل خلاصنا نزل من السماء، وتجسد من الروح القدس ومن مريم العذراء تأنس، وصُلب عنا علي عهد بيلاطس البنطى [*]، وتألم وقُبر، وقام من بين الأموات في اليوم الثالث كما في الكتب، وصعد إلي السماوات، وجلس عن يمين أبيه، وأيضاً يأتي في مجده ليدين الأحياء والأموات، الذي ليس لملكه انقضاء) .

ثم وُضعت تتمة هذا القانون ونصها: (نعم نؤمن بالروح القدس، الرب المحيي المنبثق من الأب نسجد له ونمجده مع الأب والابن، الناطق في الأنبياء، وبكنيسة واحدة مقدسة جامعة رسولية ونعترف بمعمودية واحدة لغفران الخطايا، وننتظر قيامة الأموات، و حياة الدهر الآتي، آمين) .

ثم وُضعت مقدمة القانون ونصها: (نعظمك يا أم النور الحقيقي، ونمجدك أيتها العذراء القديسة والدة الإله، لأنك ولدت لنا مخلص العالم، أتي وخلص نفوسنا، المجد لك يا سيدنا وملكنا المسيح، فخر الرسل، إكليل الشهداء، تهليل الصديقين، ثبات الكنائس، غفران الخطايا، نبشر بالثالوث القدوس، لاهوت واحد، نسجد له ونمجده، يارب ارحم، يارب ارحم، يارب بارك آمين) [١] .

ولضمان فرض قانون الإيمان النيقاوي والعمل به وضع قانون آخر باسم قانون إيمان الآباء الرسل [*]، وهو القانون الموجز والمعروف بنسبته إلي الرسل في جميع الكنائس شرقاً وغرباً، ونصه: (أؤمن بالله العظيم الأب خالق السماوات والأرض، وبيسوع المسيح ابنه الوحيد ربنا، الذي حبل به من الروح القدس، وولد من العذراء مريم ... وأؤمن بالروح القدس) [٢] [**] .

---

[*] الحاكم الرومانى على منطقة اليهودية الذي حاكم يسوع كما يقولون .

([١]) ينظر: حوار حول الثالوث، لكيرلس الإسكندري ت ٤٤٤م، ص ١٨، ١٩، والثالوث، للأنبا د/ يوحنا قلته، ص ٨٨، ٨٩، والتثليث والتوحيد، لفوزي جرجس، ص ٧، وكتاب: المسيحي صادق وأكيد، ص ٢٤٢، ٢٤٣، واستحالة تحرف الكتاب المقدس، ص ٤٩٨ . ٥٠٥، وشخصية المسيح في الإنجيل والقرآن، للقس إسكندر جديد، ص ٦٤، ط٢، سنة ١٩٩٥م، بدون دار نشر .

[*] أي قانون إيمان رسل المسيحية في القرن الأول الميلادي، يراجع: الكنيسة المسيحية في عصر الرسل، للأنبا يوأنس، ص ٢٣، ط الأنبا رويس، القاهرة، ط٦، سنة ٢٠٠٦م .

([٢]) ينظر: عن لاهوت المسيح، للقس عبد المسيح بسيط أبو الخير، ص ٥١ . ٥٦، ط المصريين، القاهرة، سنة ٢٠٠٧م، وينظر: إيماننا المسيحي صادق وأكيد، ص ٢٣٥ .

[**] هناك أمانة ثالثة باسم أمانة القداس، انظر الدسقولية، ص ١٨٥ . ١٨٨، نشر مكتبة المحبة، سنة ١٩٧٩م .

السادة للفكر والثقافة
www.sadah.net

وتعود نشأة عقيدة التثليث إلي اعتقاد أن المسيح عليه السلام ليس إنساناً عادياً، بل هو إنسان سام فوق سائر البشر إنه ابن الله، وساعد علي ذلك التأثر بالثقافة اليونانية، فحملوا النصوص الواردة في العهد الجديد من كونه ابن الله علي الحقيقة لا علي المجاز من بنوة الرحمة والرأفة واللطف، ثم دفعهم هذا إلي ادعاء إلهيته .

يقول أحبارهم: (إن منشأ هذه العقيدة في تأليه المسيح يرجع إلي ما ذكر عنه بأنه ابن الله الوحيد، وأن المسيح حادثة غير عادية في تاريخ البشرية، ولم تكن هناك حاجة في الأصل لتأكيد غرابة هذه الحادثة سيما وان اليهودية السابقة للمسيحية قد مهدت لمجيء المسيح، وكان مجيئه البرهان علي الدعوى السابقة) [١] .

ومقالة بنوة المسيح لله . سبحانه . أدت إلي مقالة أكثر جدلاً إنها دعوى أن الله الكلمة الابن نزل من السماء ... واتحد بطبيعة الإنسان (الناسوت)، ولكن بغير اختلاط ولا امتزاج ولا تغيير مع دوام الاتحاد .

وعلة اتحاد اللاهوت بالناسوت أنهم يعتقدون أن آدم عليه السلام قد أخطأ، فحق عليه العذاب، وانتقل هذا الذنب إلي ذريته من بعده، ولما كان البشر في حاجة إلي الغفران، ولا غفران إلا بتقديم ضحية وفداء نزل الله الابن وتجسد من الناسوت وصلب وقتل ومات ثمَّ قام، (إذن فالكلمة " الابن " أخذ جسداً، لأجل تحرير كل البشر، ولإقامة الجميع من بين الأموات، ولكي يصنع فداءً من الخطايا) [٢] .

---

(١)

O0 Sydney Baer, From The Opostlis Father To The Apostlis Cread P076 Newyork Oxford Univercity Press 1964 0

نقلاً عن كتاب: النصرانية من التوحيد والتثليث، د/ محمد أحمد الحاج، ص ٢٣١، نشر دار القلم، دمشق، ط أولي، سنة ١٩٩٢م .

(٢) يراجع: المسيح في رسائل القديس، اثناسيوس، ص ٢٧، نشر المركز الأرثوذكسي للدراسات الآبائية، ط أولي، سنة ١٩٨١م، وتدبير الخلاص، للقس إنجليوس جرجس، ص ١٧٣، ط سيليكون بريس، القاهرة، سنة ١٩٩٦م، والخلاص في المفهوم الأرثوذكسي، للأنبا شنودة الثالث، ط الكلية الإكليريكية، القاهرة، سنة ١٩٦٧م، وقضية الصليب، د/ القس لبيب ميخائيل، نشر لوجوس برنت سنتر، القاهرة، ط٣، سنة ١٩٩٣م .

السادة للفكر والثقافة
www.sadah.net

فعقيدتا الخطيئة الأصلية والفداء هدف التثليث، فلولاهما ما كان التثليث وألوهية المسيح، والصلب الذي هو وسيلة الفداء غاية هذه العقائد، فإنه (إذا لم يقع الصلب حقيقة ما كان تثليث ولا فداء ولا ذبيحة) [١]، (ولأجل هذا يقولون: إننا نتمسك بأن المسيح هو الله، لأن هذا هو الدليل علي إتمام عملية الفداء) [٢].

ثانياً: مفهوم عقيدة التجسد أو اتحاد اللاهوت بالناسوت وغايتها:

أما عقيدة التجسد أو اتحاد اللاهوت بالناسوت أو الحلول الإلهي في الناسوت أو ظهور الله في الجسد أو Theophany ، فتعود أبعادها ومراميها إلي أنه (حين خالف آدم وصية الله جلب الموت علي نفسه وسائر ذريته، وطرد هو ذريته من الفردوس ....، لذلك دبرت الحكمة الإلهية واسطة بها يخلص الإنسان، ويستوفي العدل الإلهي حقه، وتلك هي ترقية طبيعة الإنسان إلي رتبة الألوهية باشتراكهما مع بيعة الله نفسه حتى يتسنى لها أن تكفر عن معاصيها، ولم يكن ذلك ممكناً إلا بتجسد ابن الله، وتأله طبيعته البشرية حتى تتم المصالحة بين الله والإنسان) [٣].

وواضح .كما هي العادة في العقائد النصرانية .أن الابن وحده هو الذي تجسد، (والأب والروح القدس شاركا في التجسد، بتكوين الطبيعة البشرية للمسيح من العذراء) [٤] .عليهما السلام .، فأما الله الآب(فأعد لنفسه جسداً وهيأه داخل رحم العذراء وحل فيه بملء لاهوته) [٥].

وأما روح القدس (فاتحد بالكلمة "الابن" في أحشاء العذراء لخلق جسد المسيح)[٦].

وهذا أول حلول وقع للروح القدس ولم يحصل له حلول مثله، ولم يوجد الناسوت لحظة

---

(١) ينظر: استحالة تحريف الكتاب المقدس، للقمص مرقس عزيز، ص ٥٠٠ .

(٢) ينظر: لاهوت المسيح، للأنبا شنودة الثالث، ص ٨٧، نشر الكلية الإكليريكية للأقباط الأرثوذكس، القاهرة، ط١١، سنة ٢٠٠٥م .

(٣) ينظر: تاريخ الأقباط، لزكى شنودة ١/ ٢٤٣، ٢٤٤ .

(٤) الروح القدس، للأب متي المسكين ١/ ١٤٧ .

(٥) إذا كان المسيح إلهاً فكيف حُبل به وولد؟، للقس عبد المسيح أبو الخير، ص ٣٣، نشر مطبعة المصريين، ط٣، سنة ٢٠٠٤م .

(٦) السابق، ص ١٨، ٢٧، وأنت المسيح الله ابن الله الحي، ص ٨٩ .

السادة للفكر والثقافة
www.sadah.net

واحدة ولا طرفة عين بدون اللاهوت أو بعيداً عنه،وإنما وُجد ونما متحداً باللاهوت.

ويلخص القديس أغناطيوس الأنطاكي [١] خط سير العقائد النصرانية وعلاقتها بالتجسد الإلهي فيقول: (يسوع المسيح الواحد الذي خرج من الأب الواحد، وما زال متحداً به، ثمَّ عاد إليه) [٢].

فالتجسد إذن يعني اتحاد الطبيعة اللاهوتية بالطبيعة الناسوتية في شخص المسيح، فيصير إلهاً متجسداً، وبذلك ظهر الله عياناً أمام الناس فرأوه وكلموه!، وبذلك أيضاً اجتمع في جسد المسيح اللاهوت والناسوت بدون امتزاج أو اختلاط أو استحالة أو تغيير أو تداخل ودون انفصال أو انقسام .

لكن كيفية الاتحاد بين اللاهوت والناسوت، وهيئة صيرورة اللاهوت في جسد وطبيعة العلاقة بينهما في مدة حبل مريم ... يعجز المؤمنون به عن فهمها أو إفهامها .

يقول القس عبد المسيح أبو الخير: (أما كيف تجسد الكلمة، وكيف صار جسداً، وكيف اتخذ صورة الله صورة العبد، كيف ظهر الله في الجسد، وكيف حل اللاهوت في الناسوت، وكيف حبلت به العذراء فهذه، فهذا ما لا يدركه عقل، لا عقل بشر ولا حتى أسمي وأرفع الملائكة رتبة، إنه سر يفوق إدراك جميع المخلوقات ولا يعلمه سوي الله وحده لأنه يختص به وحده، فهو الذي تجسد، وهو وحده الذي يعرف يكف تجسد ...) [٣] (وإذا كان آباء الكنيسة وعلماؤها قد عرفوا هذا السر . سر التجسد . ..... إلا أنهم وقفوا أمام كيفية هذا الاتحاد ... مشدوهين .... عاجزين عن وصفه أو إدراكه أو فهمه وقالوا عنه إنه: السر الذي لا تدركه الأفهام، والسر الذي لا ينطق

---

(١) أغناطيوس الأنطاكي: أحد الآباء الرسوليين يلقب بالثاؤفورس ومعناها (حامل الإله)، وتدعوه الكنيسة السريانية بالنوراني، كان ذا شخصية عظيمة وسط معاصريه، حوكم وقتل في سوريا سنة ١٠٧م، وترك سبع رسائل. ينظر: الكنيسة المسيحية في عصر الرسل، للأنبا يوأنس، ص ٤٦٤، ٤٦٥، نشر الأنبا رويس، القاهرة، ط ٦، سنة ١٠٠٦م، وكتاب: الخريدة النفسية في تاريخ الكنيسة، للأسقف إيسوذورس، ص ٧٢ . ٧٩، ط المحبة، القاهرة، سنة ٢٠٠٢م .

(٢) الكنيسة المسيحية في عصر الرسل، للأنبا يوأنس، ص ٢٨٧ .

(٣)،(٤) ينظر: إذا كان المسيح إلهاً فكيف حُبل به وولد؟، ص ٦٣ . ٦٥ باختصار شديد، وتجسد الكلمة، لاثناسيوس، ص ٥٠ .

السادة للفكر والثقافة
www.sadah.net

به، والسر الذي يفوق العقل، والاتحاد الذي يفوق العقل ولا يوصف ..) [١] .

وعلي هذا فهذه العقيدة . التي هي محور العقائد النصرانية . أمر يفوق كل فهم، ويعلو علي مدارك كل عقل، ويصعب تصوره، ولا يمكن التعبير عنه، فهي خفاء في خفاء، وسر يعلوه أسرار، وبديهيات العقول لا تصدق مثل هذا، ولا تستسيغه، لذا حاول علماء الكنيسة تقريب هذا الأمر العسير علي الأفهام، فشبهوه (باتحاد الروح والجسد في الإنسان، والحديد بالنار، والماء والنار، والنار والخشب ....) [٢] .

لكن أني لمثل هذا الاتحاد أن يماثل أو يقرب ذاك الاتحاد [*] ؟

ثالثاً: وصف حجة الإسلام لعقيدة التثليث عند النصارى :

ويصف حجة الإسلام الفكر النصراني في الثالوث المقدس مسترشداً بأقوال أحبارهم ورهبانهم، فيرى أنهم يصورون حقيقة الثالوث المسيحي علي ثلاثة اعتبارات :

١ . الاعتبار الأول: علي اعتبار أن الأقانيم الثلاثة متباينة في ذواتها وحقائقها ويوضح هذا الاعتبار فيقول: وقد سلكوا في تأويل الأقانيم مسلكاً ألزمهم القول بوجود ثلاثة آلهة في الذهن والخارج متباينة ذواتها وحقائقها أو نفي ذات الإله . جل اسمه . وذلك أنهم جعلوا :

. الأب عبارة عن الذات بقيد الأبوة .

. والابن عبارة عن الذات بقيد البنوة .

. وروح القدس عبارة عن الذات بقيد الانبثاق [٣] .

ثمَّ يقولون: إله واحد، فإذا ضُوِّيقوا في ذلك وتبينوا أن ذات الأب مختصة بصفة الأبوة غير

([٢]) كتبهم تكثر من هذه الأمثلة: إذا كان المسيح إلهاً، ص ٦٧ . ٧١، والتجسد الإلهي، لكيرلس الكبير، ص ٢٣ . ٢٧، والتجسد الإلهي هل له بديل؟، عمل كنيسة مارمرقس، ص ٤١ .

[*] سيأتي بيان أدلتهم علي هذا الاعتقاد، والرد عليه .

([٣]) ممن نقل عنه هذا الاعتبار غريغوريس الثيؤلوغوس كما في كتاب: إيماننا المسيحي، ص ٥٤ .

السيادة للفكر والثقافة
www.sadah.net

قابلة لوصفها بالبنوة، وكذلك القول في الابن وروح القدس [١]، وليست من الذوات المتضايفة، فتُقدِّر أباً لشخص وابناً لغيره، قالوا: إنَّ الذات واحدة ووصفها بجميع هذه الصفات ممكن، لكنا إذا وصفناها بصفة قدرنا نفي ما يباينها، وهذا مكان الجهل والغفلة!، لأنهم يقولون بقدم هذه الذوات أزلاً وبقدم صفاتها، فإذاً هي ملزومات لصفاتها، وصفاتها لازمة لها، ومتي وُجد الملزوم وُجد اللازم، ومتى انتفي اللازم انتفي الملزوم، فإذا قُدِّر نفي الصفة اللازمة للذات قُدِّر نفي الذات ...) [٢].

٢ . الاعتبار الثاني: علي اعتبار الأقانيم في الله صفات ذاتية في الذات الإلهية الواحدة، وعن هذا الاعتبار يقول: إنهم يعتقدون أن ذات الباري واحدة في الموضوع ولها اعتبارات :

. فإن اعتُبرت مقيدة بصفة لا يتوقف وجودها علي تقدم وجود صفة قبلها كالوجود، فذلك المسمي عندهم بأقنوم الأب .

. وإن اعتَبرت موصوفة بصفة يتوقف وجودها علي وجود صفة قبلها، كالعلم، فإن الذات يتوقف اتصافها بالوجود، فذلك المسمى عندهم بأقنوم الابن والكلمة .

.وإن اعتُبرت بقيد كون ذاتها معقولة لها فذلك المسمى عندهم بأقنوم الروح القدس .

- فيقوم إذن من الأب معني الوجود .
- ومن الكلمة والابن معني العلم .
- ومن روح القدس كون ذات الباري معقولة له [٣] .

هذا حاصل هذا الاصطلاح، فتكون ذات الإله واحدة في الموضوع، موصوفة بكل أقنوم من هذه الأقانيم [٤] .

---

(١) أي وصف الابن بالكلمة والعلم والنطق، والروح القدس بالحياة .

(٢) الرد الجميل (أ) ص ٥١، ٥٣، (ب) ص ١٨٧، ١٨٨ (جـ) ص ١٥٦، ١٥٧ .

(٣) لو قال المؤلف ـ رحمه الله ـ: ومن روح القدس معني المحيي، لكان أولي كما نقلت آنفاً في شرح عقيدة التثليث، وهذا الاعتبار هو المشهور في تصانيفهم .

(٤) مثل هذا الاعتبار في كتاب: استحالة تحريف الكتاب المقدس، ص ٤٨٢، ولاهوت المسيح، للأنبا شنودة، ص ٨، ٩ .

السادة للفكر والثقافة
www.sadah.net

٣ . الاعتبار الثالث اعتبار الأقانيم في الله أفعالاً ذاتية في الذات الإلهية الواحدة، ويحدد حجة الإسلام هذا الاعتبار قائلاً: ومنهم من يقول :

. إنَّ الذات، إن اعتبرت من حيث هي ذات لا باعتبار صفة ألبته، فهذا الاعتبار عندهم عبارة عن: العقل المجرد، وهي المسمي بأقنوم الأب .

. وإن اعتبرت من حيث هي عاقلة لذاتها، فهذا الاعتبار عندهم عبارة عن معني العاقل، وهو المسمى بأقنوم الابن والكلمة .

. وإن اعتُبرت بقيد كون ذاتها معقولة لها، فهذا الاعتبار عندهم، هو المسمى بأقنوم معنى المعقول وروح القدس .

فعلي هذا الاصطلاح يكون العقل عبارة عن ذات الإله فقط، والأب مرادفاً له، والعاقل عبارة عن ذاته بقيد كونها عاقلة لذاتها، والابن والكلمة مرادفين له، والمعقولية عبارة عن الإله الذي ذاته معقولة له، وروح القدس مرادفاً له [١] .

فثبت بهذين الاصطلاحين أن الإله عبارة عن الذات الموصوفة بالعلم والعقل، وكذلك الابن، فإذاً كل منهما أقنوم مدلوله: العالم أو العاقل) [٢] .

وقد أقر علماء النصارى بصحة ما عرضه الإمام الغزالى عن عقيدتهم في الثالوث، وأثنوا علي حسن فهمه لأركان إيمانهم، واعتبروه قد أنصف التثليث المسيحي في هذا الحكم .

بل إن بعض كبار القديسين منهم عرض عقائدهم في التثليث محاكياً لطريقة حجة الإسلام السابقة حتى ليظن المطالع لهذا أنه ينقل عقيدة قومه منه [٣] .

وهذا يؤكد مدى معرفة . حجة الإسلام . الواسعة بالنصرانية وعقائدها وطوائفها.

رابعاً: دفع أدلتهم في عقيدة التثليث :

---

(١) الرد الجميل (أ) ص ٤٣ . ٤٥ (ب) ص ١٧٥ . ١٧٧ (جـ) ص ١٤٧ . ١٤٩ .

(٢) ينظر: من هو المسيح، ص ٥٧، ٥٨، واستحالة تحريف الكتاب المقدس، ص ٤٨٦، ٤٨٧ .

(٣) ينظر: التثليث والتوحيد هل ضد العقل، إعداد: كنيسة مار مرقس، ص ٢٨، ٢٩، القاهرة، ط٦، سنة ١٩٩٦م، نقلاً عن: القديس غريغريوس الثيؤلوغوس .

السادة للفكر والثقافة
www.sadah.net

أما ما اعتمدوا عليه لإثبات عقيدة التثليث:

فقد استدلوا برموز وإشارات من العهد القديم، ونصوص ورموز في العهد الجديد، ودلالة التثليث من أشكال وأعداد المخلوقات [*] .

وأشبه هذه الأدلة لظاهر ما يدعون:

١ . ما جاء في متي ٢٨: ٢٩: (اذهبوا وتلمذوا جميع الأمم وعمّدوهم باسم الآب والابن والروح القدس) [١] .

قالوا: هذا أعظم دليل علي أن هذه الأقانيم الثلاثة هم واحد نعم إله واحد مثلث الأقانيم [٢] .

هذا العدد إن سلمنا به [٣] يُحمل علي أن المقصود به الإيمان بالله ونبيه عيسي عليه السلام وروح

---

[*] كاستدلالهم بأن الإنسان ثلاثة: نفس وروح وجسد، فيقال لهم: الأناجيل القانونية أربعة، فهل تقولون بحذف الإنجيل الرابع وهو أهمها عندكم، واستدلالهم بأن الزمان ثلاثة: ماض وحاضر ومستقبل، فيقال لهم المكان أربع جهات: شمال جنوب شرق غرب .... واستدلالهم برموز وإشارات العهد القديم لعقيدة التثليث يكفي في نقضه مخالفة اليهود لهم في فهم هذه النصوص .

(١) تصانيفهم المتخصصة وغير المتخصصة في هذه العقيدة كثيرة جداً منها: براهين ألوهية المسيح، د/ القس وديع ميخائيل، ص ٤٦ . ٤٩، ط٤، سنة ١٩٨٤م، تاريخ الأقباط، لزكى شنوده ١/ ٢٤٢ . ٢٤٣، وابن الله بشائر البشارة العشرة، للقمص/ سيداروس، ص ١٦٧ . ١٨٠، وأزلية الثالوث، لملاك يوحنا، ص ١١ . ١٣، واستحالة تحريف الكتاب المقدس، ص ٤٧٩ . ٥١١، والتثليث والتوحيد، لفوزي جرجس، ص ٢١ . ١٠٥، والثالوث، د/ الأنبا يوحنا قلته (كاثوليكي) ص ٨٤، ٨٥، وكتاب: إيماننا المسيحي صادق وأكيد، ص ٤٥ . ٦١ .

(٢) التثليث والتوحيد هل ضد العقل، ص ٤٩ . ٥١، واحد أم ثلاثة، ص ٢١، يهوه أم يسوع، اسبيروجبَّور، ص ٧٦ . ٨٨ ، ط المنشورات الأرثوذكسية، طرابلس، لبنان، ط٢، سنة ١٩٩٧م، وشهادة الكتاب المقدس عن ألوهية المسيح، للقمص/ يوحنا بشاي، الجزء الأول والثاني، نشر كنيسة العذراء، القاهرة، سنة ٢٠٠٣م، وينظر: لاهوت المسيح، للأنباء شنوده، ص ٢٠ .

(٣) يرجع أدولف هرنك في كتابه: Adolf Harnack: Gistory Of Dogma,Constable and Compnoy London, 1951 p0 97 السبب في ذلك الشك إلي الآتي: ١ . لم يرد إلا في الأطوار المتأخرة من التعاليم المسيحية ما يتكلم عن المسيح وهو يلقي مواعظ ويعطي تعليمات بعد أن أقيم من الأموات، وأن بولس لا يعلم شيئاً عن هذا . ٢ . إن صيغة التثليث هذه . التي تتكلم عن الآب والابن والروح القدس . غريب ذكرها علي لسان المسيح، ولم يكن لها نفوذ في عصر الرسل، وهو الشيء الذي كانت تبقي جديرة به لو أنها صدرت عن المسيح شخصياً، نقلاً عن حقيقية التبشير بين الماضي والحاضر، لأحمد عبد الوهاب، ص ١٨، نشر مكتبة وهبة، القاهرة، ط أولي، سنة ١٤٠١هـ . ١٩٨١م .

السادة للفكر والثقافة
www.sadah.net

القدس جبريل لأنه سفير الوحي .

والتعميد هو الدعوة إلي الإيمان بالله . تعالي ، والتبشير بالدين وقبول مغفرة الخطايا، ووسيلته: الاغتسال للتوبة من الكفر، فكأنه يقول: بشروهم بأن يؤمنوا بالله ورسوله وملائكته ..

ويؤكد هذا الفهم أن التعميد حدث بالله وحده كما ورد في سفر أعمال الرسل ١٠/ ٤٨ ونصه (وأصرَّ أن يعتمدوا باسم الرب) لأنه . تعالى . غاية التعميد وحصل باسم الرسول المسيح عليه السلام كما قال لوقا في إنجيله ٢٤: ٤٧ (وأن يكرز باسمه بالتوبة ومغفرة الخطايا لجميع الأمم)، وذلك لأن الإيمان بالمسيح عليه السلام ركن من أركان الإيمان، والشهادة برسالته تمثل أحد مطالب العقيدة، وكان بطرس يصنع ذلك، ففي أعمال الرسل ٢: ٣٨، فقال لهم (وتم التعميد باسم الروح القدس لأن التصديق به تصديق بالملائكة والكتب المنزلة من السماء) .

فقد أورد مرقس ١: ٨ قول يوحنا المعمدان عن المسيح عليه السلام: (أنا عمدتكم بالماء، وأما هو فسيعمدكم بالروح القدس) .

ويُثبِّت هذا أن الكتاب المقدس أورد التعميد باسم موسى عليه السلام كما أثبته باسم عيسي عليه السلام فقد قال بولس في رسالته الأولي إلي أهل كورنثوس ١٠: ٢ (وجميعهم اعتمدوا لموسى في السحابة وفي البحر) .

كما أن الفقرة آنفة الذكر تدل علي تفضيل الله . جل وعلا . علي المسيح عليه السلام، إذ ذكرته قبله في المعمودية .

٢ . ما ورد في الرسالة الأولي ليوحنا ٥: ٧: (فإن الذين يشهدون في السماء هم ثلاثة: الآب، والكلمة، والروح القدس، وهؤلاء الثلاثة هم واحد)، هذه الفقرة . إن قلنا بثبوتها [1] . تحمل علي

---

(١) جمهور علماء البروتستانت يقولون: إنَّ هذه الجملة (في السماء ثلاثة: الأب والكلمة والروح القدس وهؤلاء الثلاثة هم واحد والذين يشهدون في الأرض) ملحقة ومحرفة، ويشهد بذلك هورن العالم المسيحي المشهور بتعصبه، كما شهد بتحريفها جامعو تفسير هنري واسكات، وتفسير آدم كلارك، وكذلك إكستاين من أعظم علمائهم في القرن الرابع، وقد لخص صاحب إظهار الحق أدلتهم فيما يلي: ١ . أن هذه العبارة لا توجد في نسخة من النسخ اليونانية التي كتبت قبل القرن السادس عشر . ٢ . أنها لا توجد في النسخ المعتبرة قديماً والتي طبعت بعناية .

السادة للفكر والثقافة
www.sadah.net

عرض الأعمال، فكأنه يقول: إن أعمالكم تعرض علي ربكم وعلي نبيكم وعلي الملائكة التي تصعد بها إلي السماء، ولهذا نظير في الإسلام .

ويمكن أن تحمل علي شهادة الله ورسوله وملائكته علي أعمال العباد في الآخرة .

٣ . ما سموهُ بآية البركة الرسولية التي ذكرها بولس في رسالته الثانية إلي أهل كورنثوس ١٣: ١٤ (نعمة ربنا يسوع المسيح، ومحبة الله، وشركة الروح القدس مع جميعكم، آمين) .

هذا النص محمول علي المجاز، وكأنه يقول: محبته ومعيته تصحبكم، وإيمانكم بالمسيح عليه السلام يهديكم سبل الرشاد، وطاعتكم لله . تعالي . تدخلكم في زمرة القديسين الذين يمتلئون من الروح

---

٣ . أنها لا توجد في أي ترجمة من التراجم القديمة غير اللاتينية . ٤ . أنها لا توجد في معظم النسخ القديمة اللاتينية أيضاً . ٥ . أنها لم يتمسك بها أحد من القدماء ومؤرخي الكنيسة . ٦ . أن أئمة البروتستانت وعلماؤهم أسقطوها من كتبهم ووضع بعضهم عليها علامة الشك .

وهذه الفقرة لا نجدها في نسخة الإنجيل القياسية المنقحة BOSOV ولا في الإنجيل القياسي الجديد New Amerocan Standard Binle طبعة سنة ١٩٧٧، حيث يظهر نص هذه الآية ذاتها علي هذا النحو: والروح القدس هو الذي يشهد، لأن الروح القدس هو الحق. رسالة يوحنا الأولي ٥: ٧ .

ينظر: البحث عن الحقيقة، لمحمد عبد الحي، ص ٥٤، ط٢، سنة ١٩٩٣م (بنجلاديش)، ولنقف مع ترجمة هذه الفقرة من كتاب اختلافات في تراجم الكتاب المقدس، للأستاذ/ أحمد عبد الوهاب، ص ٤٠، نشر دار وهبة، == == == القاهرة، ط أولي، سنة ١٤٠٧هـ . ١٩٨٧م : تقول ترجمة الكتاب المقدس للكاثوليك (لأن الشهود في السماء ثلاثة: الأب والكلمة والروح القدس، وهؤلاء الثلاثة هم واحد، والشهود في الأرض ثلاثة: الروح والماء والدم وهؤلاء الثلاثة هم في واحدة) الرسالة الأولي ليوحنا ٥: ٧ . ٨ .

وتقول ترجمة الكتاب المقدس للبروتستانت: (فإن الذين يشهدون (في السماء) هم ثلاثة : الأب والكلمة والروح القدس، وهؤلاء الثلاثة هم واحد، والذين يشهدون في الأرض هم ثلاثة: الروح والماء والدمن والثلاثة هم في واحد) يوحنا ٥: ٧، ٨، وإذا رجعنا إلي التنبيه الذي وضعته هذه الترجمة في مطلعها نجده يقول في الكلمات التي توضع بين هلالين أو قوسين ما يلي: والهلالان ( ) يدلان علي أن الكلمات التي بينها ليس لها وجود في أقدم النسخ وأصحها أي أن نسخة التثليث هذه مزورة زورها كاتب مجهول (حذف الهلالان في أحدث طبعات الكتاب المقدس، ترجمة البروتستانت، المسيح والتثليث،د/ محمد وصفي، ص ١٠٦، ١٠٧، نشر دار الفضيلة، القاهرة، سنة ٢٠٠٣م) .

وذكر وليم باركلي في تفسير رسالة يوحنا من العهد الجديد ص ١٧٢ نقلاً عن بلمر أن هذه أعظم فقرة محيرة في جميع أسفار العهد الجديد. انظر: السابق، ط دار الثقافة، القاهرة، سنة ١٩٨٣م .

السادة للفكر والثقافة
www.sadah.net

القدس .

ويرجح هذا المراد أن بولس أخبرهم بهذا في ختام رسالته الثانية والآخرة، وبها انتهت هذه الرسالة كما في الطبعات الموجودة اليوم، فإنه بعد أن بشرهم بالإيمان بالمسيح دعا الله لهم أن يرزقهم محبته، ويتمم عليهم نعمته، وهي مجيء رسالة المسيح عليه السلام إليهم، وأن يشاركوا القديسيين في طهارة الذنب والنقاء من الذنوب .

وصدر هذه الرسالة يومئ إلي هذا، إذ يقول لهم (١: ١،٢) : إلي كنيسة الله التي في كورنثوس، مع القديسيين أجمعين ...، نعمة لكم وسلام من الله أبينا والرب يسوع المسيح [١] .

وعبارة (نعمة ربنا [*] يسوع) شرحها بولس بإيمان تيطس [٢] بالمسيح (٢ كورنثوس ٨: ١٦ . ٢٣)، فإيمانه بالمسيح صار نعمة لهم، وقوله ربنا يسوع أي: معلمنا أو سيدنا كما في يوحنا (١: ٣٨) (فالتفت يسوع ونظرهما يتبعان فقال لهما: ماذا تطلبان؟ فقالا: ربي . الذي تفسيره يا معلم . أين نمكث) .

وشركة الروح القدس قد أوضحها بولس قبل ذلك في الرسالة نفسها (٨: ٤) فقال: ملتمسين منا بطلبة كثيرة أن نقبل النعمة وشركة الخدمة التي للقديسيين، ويقول (٢ كورنثوس ٩: ١٢، ١٣): لأن افتعال هذه الخدمة ليس يسد إعواز القديسيين فقط، بل يزيد بشكر كثير لله، إذ هم باختبار هذه الخدمة يمجدون الله علي طاعة اعترافكم لإنجيل المسيح.

ولو حمل هذا اللفظ علي الظاهر لكان معناه: وكنتم أجمعون شركاء في الامتلاء من الروح القدس الذي يراد به حينئذ تسديدهم وتأييدهم به كما امتلأ منه التلاميذ (أعمال الرسل ١٣: ٥٢)، وبولس (أعمال الرسل ١٣: ٩)،وبرنابا (أعمال الرسل ١٣: ٥٢)، واليصابات أم يحيي عليه السلام

---

(١) يراجع: براهين ألوهية المسيح، د/ القس وديع ميخائيل، ص ٤٦، والكنيسة المسيحية الأولي في صعر الرسل، ص ٢٨٩ .

(*) سيأتي إيضاح هذا اللفظ في الألقاب التي استدلوا بها علي إلهية عيسي عليه السلام .

(٢) تيطس: يوناني آمن علي يد بولس، ثمَّ سار صديقاً ورفيقاً له في بعض رحلاته التبشيرية، وقد أرسل له بولس رسالة، ينظر: العهد الجديد بالخلفيات، ص ٣١ (الملحق) .

السادة للفكر والثقافة
www.sadah.net

(لوقا ١: ٤١)، وامتلأ الجميع منه يوم الخمسين [١] (أعمال الرسل ٢: ٤)، وغيرهم [٢] .

لكن المقصود من شركة الروح القدس نيل الموهبة القدسية بمعني الطهارة والنزاهة ففي المزامير (٥١: ١١) (لا تطرحني من قدام وجهك، وروحك القدوس لا تنزعه مني)، وقال الله . تعالي . عن بني إسرائيل (أشعياء ١١: ١٩) (وأعطيهم قلباً واحداً، وأجعل في داخلكم روحاً جديدة)، وقال عنهم أيضاً ليعقوب عليه السلام (أسكب روحي علي نسلك وبركتي علي ذريتك) (أشعياء ٤٤: ٣)، بل وقال لهم أيضاً (أسكب روحي علي كل بشر) (يوئيل ٢/ ٢٨) .

كما أنه ليس في هذا النص ذكر للثالوث، أو أمر بالإيمان به، وليس في النصوص الواردة قبله تصريح أو تلميح بهذا الاعتقاد، بل إن الرسالتين الأولي والآخرة تؤكدان أن الله واحد لا شريك له .

ففي رسالته الأولي إليهم (٨: ٤) قال: (ليس إله آخر إلا واحداً) وفيها(٨: ٦) (لكن لنا إله واحد)، وفيها أيضاً (١٢: ٦) (الله واحد الذي يعمل الكل في الكل) .

وهذا النص وحده كفيل بإبطال عقائد التثليث والتجسد الإلهي ولاهوت المسيح وبنوته وإلهية الروح القدس والفداء والصلب والدينونة، إذ إنه يؤكد ثبوت الوحدانية والفردانية لله . جل شأنه . .

وينفي عنه . جل ثناؤه . الشريك والكفء والسمي .

كما يبرهن علي أن الله . جل وعلا . له الكمال المطلق في ذاته وأسمائه، وصفاته وأفعاله، وأنه المستحق للنعت بكونه كلي القدرة وكلي العظمة وكلي العلم وكلي الوجود، والجدير بكونه الأول (السرمدى) الخالق المحيي الحافظ الديان الغفار [*] لا المسيح ولا الروح القدس ولا غيرهما لأنه الكل في الكل .

---

(١) يوم الخمسين: في اليوم السادس من شهر سيوان (٢٠ مايو تقريباً)، ويحتفل اليهود بعيد الخمسين (عيد الجمع) (خروج ٢٣: ١٦، ٣٤: ٢٢ ولاويين ٢٣: ١٥، ٢١ وتثنية ١٦: ١٩ . ١٢) وهو أحد الأعياد الثلاثة الكبرى في إسرائيل، ويحتفل به بعد الفصح بخمسين يوماً، العهد الجديد بالخلفيات، ص ١٣٨ .

(٢) يراجع للمزيد: مادة ملأ ومشتقاتها في فهرس الكتاب المقدس، د/ جورج بوست، ص ٥٥٥، ٥٥٦، دار الثقافة، القاهرة، ط٢، سنة ١٩٩٤م، وكذا مادة روح، ص ٢٥٣، ٢٥٤، وينظر كتاب: الروح القدس، للأب متي المسكين ١/ ١٣٩ . ١٤٦ .

(*) اصطفيت هذه الصفات لأنها تذكر دائماً في كتب اللاهوت المسيحي علي أنها الألقاب والأعمال الإلهية للمسيح.

السادة للفكر والثقافة
www.sadah.net

ويتوجه علي إيمانهم بالثالوث عدة حجج :

الأولي: هم أنفسهم يقرون بأن العقل لا يقبل عقيدة الثالوث، ولا يستطيع إدراكها وفهمها لأنها فوق مدركاته، ومن ثَمّ يجب التسليم بها والإذعان لها دون استفسار أو مناقشة أو تعمق في معرفة كنهها .

يقول الأنبا د/ يوحنا قلته: (أشعر كأن المسيحي يخجل من عقيدة الثالوث، ظلال كثيفة تحيط بعقله ووجدانه إذا أثيرت من حوله كلمات الثالوث،ابن الله، التجسد،الفداء) [١].

وقال القس وهيب عطا الله معبراً عن هذا المعني: (إن التجسد قضية فيها تناقض مع العقل والمنطق والحس والمادة والمصطلحات الفلسفية ولكننا نصدق ونؤمن أن هذا ممكن حتى ولو لم يكن معقولاً) [٢].

وذكر القمص مرقس عزيز (أن هذه الحقائق . فكرة الثالوث . أعلي من العقل، ومع ذلك نقبلها بثقة وفرح) [٣].

ويقول الأستاذ/ عوض سمعان: (لقد حاول كثيرون من رجال الفلسفة توضيح إعلانات الكتاب المقدس عن ذات الله، أو بالأحرى عن ثالوث وحدانيته، فلم يستطيعوا إلي ذلك سبيلاً) [٤].

وإذا عجز أصحاب هذه العقول الكبيرة عن فهم عقيدة الثالوث فكيف بأواسط الناس وعامتهم .

بل إنهم يربون أولادهم في مراحل التعليم على تعقيدها، فمؤلفو كتاب الدين المسيحي للثانوي التجاري يقولون: (إن بنوة الابن للأب ليست بنوة جسدية طبيعية بالمعني الذي يتسرب إلي الأذهان لدى سمعها بل هي نسبة روحية، سرية، أزلية، تفوق مستوى مداركنا المحدودة ..

---

(١) الثالوث، للأنبا د/، يوحنا قلته، ص ١٥ .

(٢) طبيعة السيد المسيح، ص ١٨، نقلاً عن: المسيحية، د/ أحمد شلبي، ص ١٣٩ .

(٣) في كتابه استحالة تحريف الكتاب المقدس، ص ٥٠٩ .

(٤) الله واحد أم ثالوث، لمحمد مجدي مرجان، ص ٧٠، ٧١، نقلاً عن كتاب : الله ونوع وحدانيته، لعوض سمعان .

السيادة للفكر والثقافة
www.sadah.net

ومع اعترافنا بأن عقيدة الوحدانية والثالوث تعلو علي أفهامنا وعقولنا إلا أنها ليست مستحيلة الفهم) [١] .

وقد ذكر صاحب إظهار الحق أنه تنصر ثلاثة من المجوس ثلاثة أشخاص، وعلمهم بعض القسيسين [*] العقائد الضرورية ولا سيما عقيدة التثليث أيضاً، وكانوا عنده، فجاءه صديق له وسأله عمَّن تنصر، فقال له: قد تنصّر ثلاثة أشخاص، فسأله: هل تعلموا من العقائد الضرورية شيئاً؟، فقال: نعم، ثمَّ إنه طلب واحداً منهم فسأله عن عقيدة التثليث، فقال له: إنك علمتني أن الآلهة ثلاثة: أحدهم الذي هو في السماء، والثاني: تولد من بطن مريم العذراء، والثالث: الذي نزل في صورة الحمام علي الإله الثاني بعدما صار ابن ثلاثين سنة، فغضب القسيس وطرده، وقال: هذا مجهول، ثمَّ طلب الآخر منهم وسأله: فقال: إنك علمتني أن الآلهة كانوا ثلاثة وصُلب واحد منهم، فالباقي إلهان، فغضب عليه أيضاً وطرده، ثمَّ طلب الثالث وكان ذكياً بالنسبة إلي رفيقيه، وحريصاً علي حفظ العقائد، فسأله، فقال: يا مولاي حفظت ما علمتني حفظاً جيداً، وفهمته فهماً كاملاً بفضل الرب المسيح، وعلمت أن الواحد ثلاثة، والثلاثة واحد، وصلب واحد منهم ومات، "فمات الكل لأجل الاتحاد، ولا إله الآن وإلا يلزم نفي الاتحاد") [٢] .

وصدق ابن القيم إذ يقول: وأما خبر ما عندكم أنتم فلا نعلم أمة أشد اختلافاً في معبودها ونبيها ودينها منكم، فلو سألت الرجل وامرأته وابنته وأمه وأباه عن دينهم لأجابك كل منهم بغير جواب الآخر، ولو اجتمع عشرة منهم يتذاكرون الدين لتفرقوا عن أحد عشر مذهباً [٣] .

---

(١) الكتاب السابق، للأب يؤانس والأب روبير شدياق ورفاقهما، ص ٤٠٣، نشر الهيئة الهامة لشئون المطابع الأميرية، القاهرة، سنة ١٣٨٢هـ. ١٩٦٢م .

(*) القسيسون: جمع قسيس وهو درجة من درجات الكهنوت الكنسي وتعني الشيخ والشفيع ووظيفته: تقديم القرابين وعماد المعتمدين وتزويج المتزوجين وتأدية خدمة الأسرار وتوزيعها علي الشعب وتعليمهم ووعظهم، ينظر: أسرار الكنيسة السبعة، ص ٨٧، حبيب جرجس، ط٦، مطبعة هارموني، سنة ١٩٧٩م .

(٢) يراجع: إظهار الحق، لرحمت الله الهندي ٣/ ٧٣١، ٧٣٢، ط السعودية، والجواب الفسيح لما لفقه عبد المسيح، لابن الآلوسي ١/ ١٩٥ .

(٣) هداية الحيارى، ص ٣٠١، ٣٠٢ .

السادة للفكر والثقافة
www.sadah.net

ومظاهر الرفض العقلي لهذه العقيدة كثيرة منها :

١ .لا يمكن الجمع بين التثليث والتوحيد في آن واحد .

٢ .لا يقبل العقل الثالوث إلا إذا كان منفصلاً في الذات والصفات .

٣ .إعطاء الصفة خصائص الذات والذات خصائص الصفة يرفضه صريح المعقول.

٤ .حلول اللاهوت في الناسوت يستلزم استحالة أحدهما أو تغييره وهم يقولون بمقابل ذلك .

٥ .البنوة لا تكون حقيقة إلا بين المخلوقات المتوالدة .

٦ . النزول والصعود والحركة والسكون من صفات الأجسام، ويستحيل أن تكون من صفات الله .سبحانه..

٧ .وصف كل أقنوم بالألوهية يستلزم تحويله إلي ذات خاصة .

٨ .دعوى بنوة المسيح لله تعالي روحانية لا حقيقة ولا مجازاً، مستحيلة علي العقل واللغة.

الثانية : هذه العقيدة لم تعرف في الجيل الأول للمسيحية :

جاء في كتاب الثالوث: لفظ الثالوث: (لم يأت به المسيح) [١] .

وكتبت دائرة المعارف لاروس الفرنسية (أنسكلوبيديه) للقرن التاسع عشر في عقيدة التثليث ما نصه: (عقيدة التثليث وإن لم تكن موجودة في كتب العهد الجديد، ولا في أعمال الآباء الرسوليين، ولا عند تلاميذهم الأقربين إلا أن الكنيسة الكاثوليكية والمذهب البروتستانتي التقليدي، يدعيان أن عقيدة التثليث كانت مقبولة عند المسيحيين في كل زمان رغماً عن أدلة التاريخ الذي يرينا كيف ظهرت هذه العقيدة، وكيف تمت، وكيف علقت بها الكنيسة بعد ذلك؟ .

نعم إنَّ العادة في التعميد كانت أن يذكر علي الشخص المعمَّد اسم الآب والابن والروح القدس، ولكن لهذه الكلمات مدلولات غير ما يُفهم منها نصارى اليوم، وان تلاميذ المسيح الأولين الذين عرفوا شخصه وسمعوا قوله، كانوا أبعد الناس عن الاعتقاد بأنه أحد الأركان الثلاثة

---

(١) للدكتور الأنبا يوحنا قتله ، ص ٨٤ .

السادة للفكر والثقافة
www.sadah.net

المكونة لذلك الخلق .

وما كان بطرس تلميذ المسيح يعتبر المسيح أكثر من رجل يوحي إليه من عند الله ....) [١] .

وكتب صاحب دائرة معارف البستاني ما نصه: (ومع أن لفظة " ثالوث " لا توجد في الكتاب المقدس، ولا يمكن أن يؤتي بآية من العهد القديم تصرح بتعليم الثالوث، فقد اقتبس المؤلفون المسيحيون آيات كثيرة تشير إلي وجود صورة جمعية في اللاهوت) [٢] .

ويؤكد هذا المعني الدكتور الأنبا يوحنا قتله، فيقول: (لم يعطنا المسيح لفظاً يحدد العقيدة الإيمانية التي كشفها لكنيسته عن الثالوث) [٣] .

ويثبت ما سبق أنهم أقروا بأن أول من استخدم لفظ الثالوث ومشتقاته هو ثاوفيلس الأنطاكي سنة ١٨١م [٤]، وترتليان (١٦٠ . ٢٤٠م) [٥] أشهر آباء الكنيسة اللاتينية [٦]

يقول البستاني في دائرة معارفه [٧]: (وقد نشأ علي الأكثر عن تعاليم الفلاسفة الهيلانيين [١]

---

(١) ينظر: دائرة معارف لاروس الفرنسية للقرن التاسع عشر، نقلاً عن : دائرة معارف القرن العشرين، محمد فريد وجدي ١/ ٢٠٢، ط مطبعة دائرة معارف القرن العشرين، ط٢، سنة ١٣٤٣هـ، وينظر: قاموس الكتاب المقدس، ص ٢٣٢، لنخبة من الأساتذة واللاهوتيين .

(٢) دائرة معارف، المعلم بطرس البستاني ٦/ ٣٠٥، ط مؤسسة مطبوعاتي إسماعيليان، طهران، سنة ١٨٨٢م .

(٣) الثالوث . له . ص ٢٣ .

(٤) ثاوفيلس أوثيوفيلس الأنطاكي (ت ١٨١م)، قيل إنه أول من قال بالثالوث، رأى أن إلهام الأنبياء عمل الأقنوم الثاني، رسم أسقفاً لأنطاكية، وألف ثلاثة كتب في عدة موضوعات، ينظر: الخريدة النفسية في تاريخ الكنيسة، ص ٩٨، والروح القدس، للأب متي المسكين ١/ ٢٢٩، ٢٢١ .

(٥) ترتليان (١٦٠ . ١٤٠م) أحد أبرز الشخصيات في الكنيسة المسيحية الأولين، وأول قائد لها في شمال أفريقيا، أبو الفكر اللاهوتي اللاتيني، نادى بالثالوث لكنه جعل الروح خاضعاً للأب والابن، قلت بذلك ألغى الثالوث، أعتقد أن المسيح سيظهر سريعاً، ينظر: تاريخ الكنيسة، لجون لوريمر، ج٢ ص ٣١ . ٣٨ .

(٦) الروح القدس، للأب متي المسكين ١/ ٢٢٣ . ٢٢٩، ط دير القديس أنبا مقار، وادي النطرون، مصر ن ط٣، سنة ٢٠٠٦م، واستحالة تحريف الكتاب المقدس، ص ٥٠٨ .

(٧) دائرة المعارف، البستاني، للمعلم بطرس البستاني، ج٦ ص ٣٠٥ .

السادة للفكر والثقافة
www.sadah.net

والغنوسيين [٢]، فإن (تيوفيلوس) أسقف أنطاكيا في القرن الثاني استعمل كلمة ترياس باليونانية ثم (ترتليانوس) [٣]، أول من استعمل كلمة (ترينيتاس) المرادفة لها ومعناه الثالوث) .

وكذا عقيدة تجسد الكلمة (الابن) لم تعرف عند النصارى الأوائل، وإنما نقلت إلي دينهم من العقائد الوثنية [٤] .

لذا كان اليهود واليونانيون يسخرون منها .

يقول بطل الأرثوذكسية القديس أثناسيوس الرسولي [٥]: لتظهر كل ما يتعلق بتأنس (الكلمة) وظهوره الإلهي بيننا الأمر الذي يسخر منه اليهود، ويهزأ به اليونانيون، وأما نحن فنعظمه ونبجله [٦] .

---

(١) نسبة إلي هيلنية وهي حضارة الإغريق، ومثلهم، وطرق معيشتهم في العصور الكلاسيكية، وتعطينا أثينا في عير بركليس أكمل صورة لكل ذلكن ويعد موت الإسكندر سنة ٣٢٣ ق.م خاتمة حاضرتها، وتوصف بالهيلنية كل محاولة حديثة لإحياء المثل الإغريقية القديمة، الموسوعة العربية الميسرة، ص١٩٣١، نشر دار الجيل، سنة ١٩٩٥م .

(٢) الغنوسية (Gnosticism) فلسفة تركيبية من الفكر الفارسي والمصري والأفلاطوني، وديانة ثنائية تقول: إن الإله لم يرض بوحدانيته فخلق كائنين إلهين هما العقل وهو ذكر والحق وهي أنثي، يقسمون طبيعة المسيح فيسوع مات والمسيح مات، أو أن المسيح لم يمت بل مات بدله سمعان القيرواني، تاريخ الكنيسة ١/ ١٠٣ ـ ١١٢ .

(٣) ترتليانوس: قس كنيسة قرطاجنة (تونس) نحو سنة ١٥٠م واعتنق المسيحية سنة ١٩٠م، ثمَّ صار قسيساً، وألف عدة رسائل جدلية، توفي سنة ٢٤٠م، ينظر: الخريدة النفيسة، ص ٩٥، ٩٦ .

(٤) تكلمت بحوث وتصانيف إسلامية كثيرة عن تأثر النصرانية بالأديان الوثنية منها: العقائد الوثنية في الديانة النصرانية، لمحمد بن طاهر البيروتى، تحقيق: د/ محمد عبد الله الشرقاوى، نشر دار الصحوة، القاهرة، ط أولي، سنة ١٤١٠هـ ـ ١٩٨٩م، وقصة الحضارة، لول ديورانت ١١/ ٣٠٠٤، ترجمة: محمد بدان، نشر لجنة التأليف والنشر، القاهرة، ط٢، سنة ١٩٥٦م، ومقارنات الأديان، للشيخ/ محمد أبو زهرة، ص ٢٥ ـ ٣٧، ٤٨ ـ ٥٧، نشر دار الفكر العربي، القاهرة، سنة ١٩٧٤م، وينظر: الغفران بين الإسلام والمسيحية، للمهتدي إبراهيم خليل أحمد، ص ٦٧ ـ ٨٧، نشر دار المنار، القاهرة، ط أولي، سنة ١٤٠٩هـ ـ ١٩٨٩م، وينظر: هامش الأجوبة الفاخرة، ص ٨٦ ـ ٨٩، لأستاذي الأستاذ الدكتور/ بكر زكي، وماذا خسر العامل بانحطاط المسلمين، لأبي الحسن الندوى، ص ٢٣٧ .

(٥) أثناسيوس الرسولى (٢٩٦ ـ ٣٧٣م) ولد بالإسكندرية في مصر، ومات أبوه وهو صغير فأرسلته أمه إلي البابا الكسندروس، وعمل عنده حتى تولي منصب رئيس الشمامسة، وأيد مجمع نيقيه آراءه في أزلية الابن، ثم خلف البابا في منصبه، وهو يمثل بطل الأرثوذكس، ينظر: الخريدة النفيسة، ص ١٨٤، ١٨٥ .

(٦) ينظر: تجسد الكلمة ـ له ـ ص ١٠٩، تعريب القمص مرقس داود، نشر دار النشر الأسقفية، القاهرة، ط٩، سنة ١٩٨٧م .

السادة للفكر والثقافة
www.sadah.net

الثالثة: أن الأناجيل والرسائل . بل والعهد القديم . لم تقل: إن الله ثلاثة أقانيم، بل ولم تذكر كلمة أقنوم في الكتاب المقدس أصلاً .

(وإن المسيح عليه السلام لم يقل إن الله هو الأب والابن والروح القدس، ولا إنَّ له أقنوماً هو الابن، وأقنوماً هو الروح القدس، ولا قال: إنَّ الابن كلمته أو علمهٌ أو حكمته أو نطقه، وإنَّ روح القدس حياته، ولا سمَّي شيئاً من صفاته ابناً ولا ولداً، ولا قال عن شيء من صفات الرب: إنه مولود، ولا إنه جعل القديم الأزلي مولوداً، ولا قال: لا عن قديم ولا مخلوق، إنه إله حق من إله حق، ولا قال عن صفات الله إنها آلهة، وإنَّ الكلمة إله والروح إله، ولا قال: إنَّ الله اتحد لا بذاته ولا بصفاته بشيء من البشر) [1] .

ولا قال: اعبدوا الأب والابن والروح القدس، ولا قال: أقيموا الصلاة للأب والابن والروح القدس، وتقول دائرة المعارف الفرنسية: (قد جاء في الأناجيل ذكر الأب والابن والروح القدس، ولكنه لا يوجد فيها إشارة ما إلي التثليث، ولا إلي ما يشير إليه العلم اللاهوتي اليوم، فالإله الذي كان يتكلم عن عيسي عليه السلام وحوارييه هو الله الواحد رب الأنبياء والأولياء الذي تجب له العبادة وحده وكان عيسي عليه السلام يدعو هذا الإله بالأب ولا يدعو رباً سواه) [2] .

الرابعة: هذه العقيدة التي قررتها المجامع الثلاثة تحت اسم قانون الإيمان أنكرها المسيح عليه السلام بشهادته بأنه عبد الله ورسوله،ودعوته بني إسرائيل إلي عبادة الله .تعالي .وحده .، ثم أنبأ عن وضع عقيدة الثالوث عن طريق الأساقفة وفتنة الموحدين بسببها، وإنزال عقوبات القتل والحرمان لكفرهم بها، ودعوي القائمين بذلك أنهم يقدمون ذلك حسبة لله . جل وعلا .، ففي إنجيل يوحنا ١٦: ٢، ٣ علي لسان المسيح عليه السلام قوله: (سيخرجونكم من المجامع، بل تأتي ساعة فيها يظن كل من يقتلكم أنه يقدم خدمة لله، وسيفعلون هذا بكم لأنهم لم يعرفوا الأب ولا عرفوني)، وهذا الذي وقع في المجامع بإجماع النصارى وإقرار كتب تاريخ الكنيسة وغيرها بحدوث ذلك .

---

(١) الجواب الصحيح لمن بدل دين المسيح، لابن تيميه ٣/ ١٦١، ومقامع هامات الصلبان (بين الإسلام والمسيحية) ص ١٣٠ .

(٢) نقلاً عن: دائرة معارف القرن العشرين، محمد فريد وجدي ١٠/ ١٩٩ .

السادة للفكر والثقافة
www.sadah.net

ويدلل علي هذا الوقائع أن آباء مجمع القسطنطينية ذيلوا قانون الإيمان بالحرم الآتي: (إن جميع الذين يقولون عن الابن إنه جاء عليه حين من الدهر لم يكن موجوداً فيه، أو أنه لم يكن له أثر في الوجود قبل أن يولد، أو أنه وُلد من العدم، أو أنه من غير جوهر الأب، أو أنه مخلوق ومعرض للتحول والتبدل، فالكنيسة الجامعة الرسولية المقدسة تعلن وقوعه تحت طائلة الحرم) [1].

الخامسة: بأن هذه العقيدة يدحضها ما أورده الكتاب المقدس . عندهم . من أعداد [*] تثبت الوحدانية لله . تعالي . وحده، وتخصه بنعوت الجلال والكمال والجمال دون غيره .

ففي العهد القديم :

- الرب هو الإله ليس آخر سواه (تثنية ٤: ٣٥) .
- الرب هو الإله في السماء من فوق، وعلي الأرض من أسفل، ليس سواه (تثنية ٤: ٣٩) .
- الرب إلهنا رب واحد (تثنية ٦: ٤) .
- الرب وحده .. وليس معه إله (تثنية ٣٢: ١٢) .
- لأنه من هو إله غير الرب (صموئيل الثاني ٢٢: ٢٢) .
- الرب هو الله وليس آخر (الملوك الأول ٨: ٦٠) .
- أنت الرب الإله وحدك (الملوك الثاني ١٩: ١٩) .
- يارب ليس مثلك ولا إله غيرك (الأيام الأول ١٧: ٢٠) .
- أنت هو الرب وحدك أنت صنعت السماوات وسماء السماوات وكل جندها والأرض وكل ما عليها والبحار وكل ما فيها (نحمي ٩: ٦) .

---

(١) يراجع كتاب: إيماننا المسيحي صادق وأكيد، ص ٢٤٣ .

(*) يعبر بعض الباحثين عن نصوص الكتاب المقدس بلفظ آيات، والأولي أن يقال: أعداد أو فقرات .

السادة للفكر والثقافة
www.sadah.net

- عظيم أنت .. أنت الإله وحدك (مزمور ٨٦: ١٠) .
- يارب الجنود .. أنت هو الإله وحدك (إشعياء ٣٧: ١٦) .
- أنك أنت الرب وحدك (إشعياء ٣٧: ٢٠) .
- أنا الرب هذا اسمي، ومجدي لا أعطيه لآخر (إشعياء ٤٢: ٨) .
- أني أنا هو، قبلي لم يصور إله، وبعدي لا يكون (إشعياء ٤٣: ١٠) .
- أنا أنا الرب، وليس غيري مخلص (إشعياء ٤٣: ١١) .
- أنا الأول وأنا الآخر ولا إله غيري (إشعياء ٤٤: ٦) .
- هل يوجد إله غيري (إشعياء ٤٤: ٨) .
- أنا الرب صانع كل شيء،ناشر السماوات وحدي،باسط الأرض، من معي (إشعياء ٤٤: ٢٤) .
- أنا الرب وليس آخر، لا إله سواي (إشعياء ٤٥ : ٥) .
- لكي يعلموا أن ليس غيري، أنا الرب وليس آخر (إشعياء ٤٥: ٦) .
- قائلين فيك وحدك الله، وليس آخر (إشعياء ٤٥: ١٤) .
- أنا الرب ولا إله آخر غيري .. ليس سواي (إشعياء ٤٥: ٢١) .
- لأني أنا الله وليس آخر الإله، وليس مثلي (إشعياء ٤٦: ٩) .
- أليس إله واحد خلقنا (ملاخي ٢: ١٠) .

وفي العهد الجديد :

- للرب إلهك تسجد، وإياه وحده تعبد (متي ٤: ١٠) .
- من يقدر أن يغفر خطايا إلا الله وحده (مرقس ٢: ٧) .

السادة للفكر والثقافة
www.sadah.net

- ليس أحد صالحاً إلا واحد وهو الله (مرقس ١٠: ١٨) .
- الرب إلهنا رب واحد (مرقس ١٢: ٢٩) .
- لأن الله واحد وليس آخر سواه (مرقس ١٢: ٣٢) .
- وكيف تقدرون أن تؤمنوا وأنتم تقبلون مجداً بعضكم من بعض والمجد الذي من الإله الواحد لستم تطلبونه (يوحنا ٥: ٤٤) .
- وهذه هي الحياة الأبدية أن يعرفوا أنت الإله الحقيقي وحدك (يوحنا ١٧: ٣) .
- لأن الله واحد (رومية ٣: ٣٠) .
- لأن رباً واحداً للجميع (رومية ١٠: ١٢) .
- ليس إله آخر إلا واحداً (١ كورنثوس ٨: ٤) .
- لكن لنا إله واحد (١ كورنثوس ٨: ٦) .
- الله واحد الذي يعمل الكل في الكل (١ كورنثوس ١٢: ٦) .
- ولكن الله واحد (غلاطية ٣: ٢٠) .
- إله وأب واحد للكل الذي علي الكل (أفسس ٤: ٦) .
- ملك الدهور الذي لا ي في ولا يُري، الإله الحكيم وحده (١ تيموثاوس ١: ١٧) .
- لأنه يوجد إله واحد (١ تيموثاوس ٢: ٥) .
- أنت تؤمن أن الله واحد حسناً تفعل (يعقوب ٢: ١٩) .
- واحد هو واضع الناموس القادر أن يُخلص ويُهْلك (يعقوب ٤: ١٢) .
- الإله الحكيم الوحيد مخلصنا له المجد والعظمة والقدرة (يهوذا: ٢٥) .

هذه النصوص تثبت بيقين لا شك فيه أن الله . جل شأنه . واحد أحد، ليس له سمي ولا كفء ولا نظير ولا شريك في ذاته وصفاته وأفعاله، وأنه خالق الخلق ومُدبر الأمر وباسط الرزق

السيادة للفكر والثقافة
www.sadah.net

ومالك كل شيء، له الكمال المطلق، والعظمة الباهرة، والنزاهة من العيوب والنقص .

والمسيح عليه السلام ابن امرأة هي مريم . عليها السلام . التي يسمونها أم الإله . ويقررون أن " الله أرسل ابنه مولوداً منها " [1]، بينما يقرر العهد القديم أن مولود المرأة لن يرقي فوق إنسانيته، ولن يسلم من الأخطاء والزلات والعيوب .

ففي سفر أيوب ٢٥: ٤: (كيف يتبَّرر [*] الإنسان عند الله، وكيف يزكو مولود المرأة) .

السادسة: أنهم إن أرادوا أن الأقانيم أسماء لله . تعالي . فأسماؤه تزيد علي ثلاثة عندهم وعندنا، وإن أرادوا أنها صفات لله . سبحانه . فصفاته تربو علي ذلك، وإن أرادوا أنها أفعال الله . جل شأنه ،. فأفعاله لا تحصي .

السابعة: قولهم بأنه ذات واحدة له ثلاث صفات قائمة بالجوهر يصير الذات معدومة ، أو يصير الذات ذاتين ذات هي الجوهر، وذات هي الأقنوم، لأنهم وضعوا للأب لقب الذات، فإما أن تكون الذات ذاتين أو الأقانيم أقنومين أو تنعدم الذات، ثمَّ كيف تصير الصفة ذاتاً والذات صفة .

يقول القرافي: (وأما قولهم: إنَّ النطق موجد فغلط، إنما المُوجد القدرة، لأن كل صفة من صفات الله عز وجل . لها خاصية لا توجد لغيرها، والعلم يكشف الواجبات والممكنات والمستحيلات علي ما هي عليه، والسمع إدراك يختص بالكلام النفساني والصوت اللساني، والبصر إدراك يختص بالموجود دون المعدوم بخلاف العلم فإنه يعمها، والكلام النفسي الذي هو النطق يكون منه الأمر والنهي والخبر والاستخبار دون التأثير، ولا يجوز أن يعتقد الإيجاد إلا للقدرة ليس إلا) [2].

الثامنة: أن الأب هو الجوهر وليس صفة (أو أقنوماً)، فلا يكون له صفة إلا الحياة والعلم، فيكون جوهراً واحداً له أقنومان، وأنتم جعلتم ثلاثة أقانيم .

---

(1) ينظر: المسيح في رسائل القديس أثناسيوس، ص ٢٧ .

(*) برَّر عمله: زكاه، وتبرر من كذا: انصرف وترك .

(2) راجع: الأجوبة الفاخرة، ص ١٤٠، وانظر: الجواب الفسيح لما لفقه عبد المسيح ١/ ١٥٨ .

السادة للفكر والثقافة
www.sadah.net

أن صفات الله . جل شأنه . لا تنحصر في الوجود والكلام والحياة، بل هو موصوف بالقدرة والإرادة ... وغيرها .

التاسعة: إذا كان لكل أقنوم أو صفة كل الألقاب والأعمال والأمجاد الإلهية التي للأقنوم الآخر، فهذا يدل علي استواء كل صفة مع الجوهر، وهو بدوره يجعل كل صفة ذاتاً من الذوات، لأن لكل أقنوم ما للذات، فكيف تقوم الصفة بعمل الذات، وكيف يتولى كل أقنوم خواص الذات .

وما ادعوه من استواء هذه الأقانيم في الربوبية والمجد وسائر الكمالات الإلهية مناقض لما ذكروه من نسبة بعض الأعمال والاختصاصات لأقنوم دون آخر، فالأب ينسب إليه الإيجاد، والابن ينسب إليه الفداء، والروح الذي يقدس، والآب تنازل للابن عن حساب الخلق في الآخرة فجعل له دينونة الخلائق .

وأن الأب موجود بذاته، والابن مولود منه حي بالروح القدس، ومناقضة أيضاً للنصوص الكثيرة القاطعة بتفضيل الأب علي الابن وخضوع الابن له نحو قول بولس في رسالته الأولي إلي أهل كورنثوس ١٥: ٢٨ (فحينئذ الابن نفسه أيضاً سيخضع للذي أخضع له الكل، كي يكون الله الكل في الكل) .

وأعجب منه أن تتحول الصفة إلهاً لصفة أخري فهم يقولون: (وإذا كنا نؤمن أن ربنا يسوع المسيح ذو ناسوتية كاملة، فبصفة الناسوتية يُعد الله الأب إذن إلهاً له بهذه الصفة) [١] .

وعلي هذا سيقال: صفة الوجود إلهة لصفة الكلام أو العلم وصفة الكلام إلهة لصفة الحياة، فصارت كل صفة رباً مستقلاً، ويؤكد أنهم في صلواتهم يقولون: الله الرحوم، أبا ربنا وإلهنا ومخلصنا يسوع المسيح) [٢] وعليه فإن الأب إله ورب للابن أو الكلمة، فيصير الأقنوم الأول رباً للأقنوم الثاني فلا يصح دعواهم بالمساواة بينهما .

العاشرة: قولهم: إن الله . جل شأنه . ذات وكلمة وروح، وأن الذات سُمِّي أباً، والكلمة تجسد

---

(١) ينظر: أنت المسيح الله ابن الله الحي، للأنبا غريغوريوس، ص ١٠٩، ١١٠ .

(٢) ينظر: الدين المسيحي، للأنبا يؤانس والأب روبير شدياق ورفاقهما،ص ٤ (هامش) .

السيادة للفكر والثقافة
www.sadah.net

ودُعي ابناً لأنه صادر عن الأب، ثمَّ الروح سُمِّي الروح القدس لطهارته، فهؤلاء ثلاثة أقانيم لله الواحد، ولكن كيف تُدعي ذات الله ذاتاً إذا لم تكن ناطقة أو حية، أي ذات روح؟ وكيف تجرد ذات الله عن النطق والحياة ثمَّ تُدعي بعد ذلك ذاتاً، ولو قلنا: إن الذات تُدعي ذاتاً بالكلمة والروح لما كان من داع لتكرار أقنومية الكلمة والروح، حينئذ يصير الله أقنوماً واحداً !! .

ثمَّ كيف تُدعي الكلمة أقنوماً وهو مُجرد عن الذات؟ أليس له وجود؟ وهل هو مجرد عن الروح؟، أليس له روح؟، فيتحتم أن يكون للكلمة ذات وروح، وكذلك الروح القدس يتحتم أن يكون له ذات وكلمة، ومن ثم يستنتج بأن كل أقنوم ذات وكلمة وروح، وهذا يقتضي وجود تسعة أقانيم ...؟ .

وإذا قلنا: إن ذات الله واحدة في ثلاثة الأقانيم، لأنها غير محدودة ولا منفصلة، فيتحتم أن تندمج الكلمة أيضاً في الذات، وكذلك الروح، ولكننا نري السيد المسيح عليه السلام يخاطب الأب، والأب يرد عليه، وفي هذا التخاطب إثبات لوجود ذاتين، أو بعبارة أوضح إثبات لوجود إلهين كاملي الصفات لكل منهما ذات وكلمة وروح، وحينئذ تتعدد الذات والكلمة والروح .

ويؤكد أنهم صيروا الأقانيم الثلاثة ذوات ثلاثة أنهم إذا سُئلوا: من الذي قام بخلق العالم؟ الأب فقط أم الأقانيم الثلاثة معاً؟ (قالوا: إذا كان الأب قد أراد خلق العالم، فإن الابن قام بعملية الخلق، والروح القدس هو الذي بث الحياة في المادة) [١] .

وعليه فإنهم جعلوا الذات الإلهية صفة أو ألغوها أصلاً كما في قولهم السابق .

ثمَّ لماذا جعلوا الصفات الإلهية الذاتية ثلاثة فقط مع أن الذات الإلهية لا تقوم بهذه الثلاثة فقط،بل تقوم بغيرها كالقدرة،والإرادة،والسمع والبصر،ويستحيل في حقه .تعالي .عدم أحدها .

وبخاصة وأنهم مقرون بصفات أخري لله .تعالي .سموها بالصفات النسبية [*] وذكروا منها (السمع والبصر والقدرة والأبدية والقداسة والقيومية والمساواة للأب بالحضور في كل زمان و

---

(١) يراجع: أنت المسيح الله ابن الله الحي، ص ٧٤ . .

(*) هذا التعبير في كتاب : أنت المسيح الله ابن الله الحي، ص ٩٥ .

السادة للفكر والثقافة
www.sadah.net

مكان والمحبة) [١] .

الحادية عشرة: إن قلتم: المسيح هو الله الظاهر في الجسد، قيل: الروح القدس الله الظاهر في الجسد، وإن قلتم: الكلمة هو الذي تجسد، قيل: الثالوث المقدس تجسد .

وإن قلتم في الكلمة: إنه ابن الله، والمولود منه، قيل: وإن روح القدس هو ابن الله المولود منه، وإن قلتم في الروح القدس: إنه الحياة، قيل في الابن: إنه الحياة، وإذا قلتم: الابن ناطق بذاته، قيل في الروح القدس: إنه ناطق بذاته، وإن قلتم: الأب موجود بذاته، قيل: الابن موجود بذاته، وإن قلتم: الروح القدس منبثق من الأب، أو الأب والابن، قيل: الابن منبثق من الروح القدس، وإن قلتم: الابن هو الكلمة المتجسد، قيل: الروح هو الكلمة المتجسد، فتبطل عقائدكم كلها، إذ لا يمنع هذا ذاك ولا ذاك هذا، فإذا جوزتم ذاك جوزنا هذا، وإلا لبطل الجميع .

وإذا كان الابن الأزلي قد نزل من السماء، وتجسد من الروح القدس ومريم العذراء التي حبلت به ... فلمَ لا تكون مريم إلهه كما نال الروح القدس الألوهية، وما الفرق بينها وبين ولدها في ذلك وقد (حلّ فيها روح القدس وقوة العلي) [٢] كما يصفون، فلئن استحق ولدها الألوهية بحلول الكلمة والروح فيه، فقد حلت فيها الكلمة والروح .

الثانية عشرة: دعواكم بأن هذه الأقانيم الثلاثة متساوية في الصفات والأعمال يبطله ما ورد في الأناجيل من تفضيل أقنوم الروح القدس علي الابن، ففي لوقا من قول المسيح كل من قال كلمة علي ابن الإنسان يغفر له، وأما من جدَّف [*] علي الروح القدس فلا يغفر له، ومتي قدموكم إلي المجامع والرؤساء والسلاطين فلا تهتموا كيف أو بِمَ تحتجون أو بِمَ تقولون لأن روح القدس يعلمكم في هذه الساعة ما يجب أن تقولوه) (لوقا ١٢: ١٠. ١٢) .

---

(١) ينظر: ألوهية المسيح من يخفي الشمس، إعداد كنيسة مار مرقس، ص ١١ . ٢٧، ط ١٩٩٦م، بدون دار نشر، وأزلية الثالوث، لملاك يوحنا، ص ٤٨ .

(٢) يراجع: ميلاد يسوع المسيح ابن الله، للأب متي المسكين، ص ١٦، نشر دير القديس أنبار مقار، وادي النطرون، مصر، سنة ١٩٩٦م .

(*) التجديف معناه: رفض نعمة الله وتوجيه الإهانة إليه، يراجع: المعجم الملحق بالعهد الجديد، ص ٥، نشر دار الكتاب المقدس، القاهرة، ط٧، سنة ١٩٩٤م .

السادة للفكر والثقافة
www.sadah.net

فهذا النص صريح في تفضيل الروح القدس علي الابن، لأنه أجاز توجيه الإهانة إلي الابن، ولم يجز توجيهها إلي الروح القدس، كما أنه يدل علي نفي إلهية الابن إذ لو كان ما أجاز توجيه إليه وما رضيها .

الثالثة عشرة: إطلاقهم علي الابن لقب الواحد في الجوهر (هومو أوسيوس) مناقض لقولهم: إن في جوهره ثلاثة أقانيم .

الرابعة عشرة: لا يوجد دليل واحد يوهم بأن الروح القدس إله، فلم يرد عنه في العهد الجديد أنه الله أو ابن الله .

ولم يذكر أنه قام بمعجزات .. وعلي ذلك تعود الأقانيم الثلاثة إلي أقنومين، ثمَّ كيف يجوز أن يكون الروح القدس والابن منبثقين من الأب، ولا يجوز أن يكونا مخلوقين بأمره .

الخامسة عشرة: دعواكم بأن هذه الأقانيم الثلاثة صفات لجوهر واحد مجانبة للصواب وإلا لو كانت هذه الأقانيم مجرد صفات لذات واحدة لماذا حرمت الكنيسة آريوس وطائفته، وسابليوس الذي أنكر التثليث وقال بأن الله أقنوم واحد سُمِي بالأب لأنه الخالق، وسُمِي بالابن لأنه الفادي، وسُمِي بالروح القدس لأنه المعزى والمقدَّس، فهذا يعني أنكم ترون أنها أكثر من صفات وأسماء، وهذا يلغي تصوركم لاعتقادكم [1] .

فهذه العقيدة يغني بطلانها عن إبطالها وفسادها عن إفسادها، فإنها لم تكن عقيدة النصارى الأولين، ولم يدن بها جمهورهم حتى سنة ٣٢٥م، ولم يرد لها ذكر صريح في العهدين

([1]) من أراد التفصيل في ذكر البراهين الداحضة للتثليث فليراجع: النصيحة الإيمانية في فضيحة الملة النصرانية، للمهتدى نصر بن يحيي المتطبب، ص ١٥ ـ ٣٢، نشر مكتبة الكليات الأزهرية، سنة ١٤٠٠هـ ـ ١٩٨٠م، الجواب الصحيح، لابن تيميه، الجزء الثالث، ط المطابع المجد، القاهرة، بدون تاريخ، تحجيل من حرف التوراة والإنجيل ١/ ٤٦٠، ٤٧٢ وما بعدها، الفصل، لابن حزم ١/ ٧٠ ـ ٨٤، نشر مكتبة التوفيقية، القاهرة، بدون تاريخ، ومقامع هامات الصلبان، ص ١٢٧ ـ ١٧٨، والإعلام، للقرطبي ١/ ٦٣ ـ ٨٨، وهداية الحيارى، ص ٢٥٨ ـ ٢٩٢، وتحفة الأريب في الرد علي أهل الصليب، للمهتدى عبد الله الترجمان، ص ٧٨، إظهار الحق ٣/ ٦٨١ ـ ٧٧٢، والجواب الفسيح، لابن الآلوسي ١/ ٧٩ وما بعدها، الفارق == == بين المخلوق والخالق، لعبد الرحمن الباجه جي زاده، ص ٣٤٦ ـ ٣٧٠، ط دبي، بدون تاريخ، ذيل الفارق، ص ٦، ٧، ٥٥، والنصرانية من التوحيد إلى التثليث، د/ محمد أحمد الحاج، ص ١٩٣ ـ ٢٥٧، نشر دار القلم، دمشق، ط أولي، سنة ١٩٩٢م .

السادة للفكر والثقافة
www.sadah.net

ولم تقل بها المجامع دفعة واحدة، ولم تفهمها عقولهم، ولم يجمعوا علي العقائد المستخرجة منها .

ناهيك عن مخالفتها لبداهة العقول، والقواعد المنطقية، ومناقضتها لصريح الأناجيل والرسائل في الاعتراف بالإنسانية المحضة للمسيح عليه السلام، ووحدانية الله .سبحانه ،. ونفي الشركاء عنه، ونفي رؤيته، وستأتي أدلة ذلك .

السيادة للفكر والثقافة
www.sadah.net

المطلب الثاني

مناقشة كتاب الرد الجميل

لآراء الفرق النصرانية الكبرى في اتحاد اللاهوت بالناسوت

لطالما افترقت النصارى بسبب تحديد طبيعة المسيح، ويصعب حصر آراء هذه الفرق التي تربو علي العشرات، لذا يقتصر حجة الإسلام في كتابه الرد الجميل علي إيضاح آراء الفرق النصرانية الكبرى في اتحاد اللاهوت بالناسوت باعتباره محور وركيزة العقائد النصرانية .

أولاً: مناقشة رأي اليعقوبية [1] في اتحاد اللاهوت بالناسوت :

([1]) اليعقوبية أتباع يعقوب البرادعي الذي ظهر في القرن السادس الميلادي يري أصحاب هذا المذهب أن المسيح طبيعة واحد . من طبيعتين لاهوتية وناسوتية . ومشيئة واحدة (المونوفيزتية **Monophsies**)،وأول من قال به أوطاخى (أوتيكيس **Eutyches**) وهو رئيس دير بالقرب من القسطنطينية، وقد أنكر هذا القول فلافيان بطريرك القسطنطينية،وعقد مجمعاً محلياً لإنكار هذا القول،وحرمان قائلها من الكنيسة إلا أن الراهب لجأ إلي بطريق الإسكندرية ديسقورس الذي أقنع الإمبراطور ثودوسيوس الصغير بعقد مجمع أفسس الثاني سنة ٤٤٩م،وصدر قرار المجمع بإعلان مذهب الطبيعة الواحدة ولعن من يخالفه إلا أن هذا القرار أغضب البابا (ليو الأول) الذي أطلق علي المجمع السابق اسم مجمع اللصوص،ودعا إمبراطور الروم مقيانوس إلي عقد مجمع آخر ينقض السابق، فوافقه علي عقد مجمع خاقيدونية سنة ٤٥١م،تقرر فيه تأييد ازدواج طبيعة المسيح ... ولعن ديسقورس ومن شايعه،ومن هذا المجمع افترق النصارى إلي ملكية (كاثوليك) علي مذهب الطبيعتين،ويعقوبية (أرثوذكس)،وقد نُسب أتباع هذا المذهب إلي يعقوب البرادعي،وقيل:إلي ديسقورس الذي كان اسمه قبل بطريكيته يعقوب،فكان يكتب . وهو في منفاه . إلي أصحابه أن يثبتوا علي أمانة المسكين المنفي يعقوب،وقد أخذت بهذا المذهب الكنائس الأرثوذكسية **Ortodoxe** . وهي كلمة يونانية معناها الرأي الصحيح المستقيم،وقد استخدم القساوسة اليونانيون هذا الاصطلاح في القرن الرابع الميلادي .،والكنائس الأرثوذكسية ثلاث ١ . الكنيسة الأرثوذكسية في مصر والحبشة ٢ . الأرثوذكسية السريانية ويتبعها كثير من مسيحي آسيا، ٣ . الكنيسة الأرثوذكسية الأرمينية في أرمنيا من بلاد روسيا. ينظر: قصة الحضارة، لول ديورانت ١٢/ ٩٦، ١٠٢، ١٠٣، ٢٣٣، طبيعة المسيح،للأنبا شنودة الثالث،ص ٧ . ١٧،الملل والنحل ٢/ ٦٦، ٦٧، والفصل،لابن حزم ١: ٦٨، ٦٩،ومقامع هامات الصلبان "بين الإسلام والمسيحية"،لأبي عبيده الخزرجى،ص ١٨٠، ١٨١، واعتقادات فرق المسلمين والمشركين، للرازي،ص ٨٤،والخطط،للمقريزى ٢/ ٥٠٠،والجواب الصحيح ٤/ ٨٣،وهداية الحيارى،لابن القيم،ص ٢٠٢،والإعلام بما في دين النصارى،للقرطبي،ص ٢٧،والأجوبة الفاخرة،ص ١٥٦،وتخجيل من حرف التوراة والإنجيل ٤٧٦/١ . ٤٨٦،محاضرات في النصرانية،للشيخ/محمد أبو زهرة،ص ١٨٨،والنصيحة الإيمانية،ص ٨،٩، الجواب الفسيح لما لفقه المسيح،لابن الألوسي،نعمان بن محمد ٨٠/١، ٨١،ط دار البيان العربي،القاهرة،ط أولي،سنة ١٤٠٨هـ

السادة للفكر والثقافة
www.sadah.net

فرقة اليعقوبية (الأرثوذكس) تؤمن بأن الله هو المسيح ابن مريم . عليهما السلام . وأنه نزل من السماء وتجسد في بطن مريم، وهذا الإله له طبيعة واحدة ليست هي طبيعة لاهوتية وحدها ولا طبيعة ناسوتية وحدها، وإنما طبيعة نتجت من اتحاد هاتين الطبيعتين في طبيعة واحدة هي طبيعة الله الكلمة المتجسد، وحصل هذا الاتحاد بغير اختلاط ولا امتزاج ولا تغيير ولا استحالة ولا تداخل ودون انفصال أو افتراق أو انقسام ! .

ولاهوته لم ينفصل عن ناسوته لحظة واحدة، كما أن له مشيئة واحدة، وقد انبثق روحه (روح القدس) عن الأب [*] إذن هم قائلون بطبيعتين قبل الاتحاد وبطبيعة واحدة بعد الاتحاد .

عرض حجة الإسلام لفكر اليعقوبية في الاتحاد :

ويبين حجة الإسلام الفكر اليعقوبي في اتحاد اللاهوت بالناسوت فيقول: هم يعتقدون أن الإله خلق ناسوت عيسي عليه السلام، ثمَّ ظهر فيه متحداً به، ويعنون بالاتحاد: أنه صار له به تعلق علي حد تعلق النفس بالبدن، ثمَّ مع هذا التعلق حدثت حقيقة ثالثة [**] مغايرة لكل واحد من الحقيقتين، مركبة من لاهوت وناسوت، موصوفة بجميع ما يجب لكل واحد منهما، من حيث هو إله وإنسان !! .

وقد ارتكبوا في إثبات هذه الحقيقة فضائح كان، الأخلق بهم سترها ...، لأنهم أثبتوا لها جميع ذاتيات الإنسان، ولوازمه وملزوماته، وصفاته وجميع ما يجب للإله وما يستحيل عليه، من حيث هو إله، وقضوا بأنها مغايرة لكل واحد منهما مع الاشتراك في جميع ما ذُكر !!! هذه مقالة من لا عقل له !! وهذه الحقيقة هي المعبر عنها . عندهم . بالمسيح !! وهذا خبط عظيم وعدول عن الحق الواضح !! ... لأنهم حاولوا أن يثبتوا تعلقاً بين ذات الإله وذات عيسي عليه السلام علي حد تعلق النفس

---

[*] يطلقون عليها: الله الظاهر في الجسد والإله المتجسد والإله المتأنس وأقنوم الكلمة المتجسد أو الواحد مع الأب في الجوهر Homoosios أو ابن الله المتجسد .

[**] ليس المقصود به الطبيعة اللاهوتية وحدها ولا الطبيعة البشرية وحدها وإنما الطبيعة الناتجة من اتحاد هاتين الطبيعيتن في طبيعة واحدة هي طبيعة الله الكلمة المتجسد، وسائر تصانيفهم تذكر ذلك .

انظر مثلاً: أنت المسيح الله ابن الله الحين للأنبا غريغوريس .

السادة للفكر والثقافة
www.sadah.net

بالبدن، فلم يقدروا علي تحقيق ذلك، بل ادعوا إثباته بمجرد الإمكان، من غير الإتيان بحجة محركة للظن فكيف يدعون إثبات ما هو مستحيل الإمكان متعذر الوجود " [١] .

وحيال هذا القول يري حجة الإسلام: أن قول اليعقوبية بالطبيعة الواحدة لاتحاد اللاهوت بالناسوت مستحيل الإمكان متعذر الوجود [٢]، لذلك يناقشهم قائلاً: وبيان تعذر ذلك أن وجود كل حقيقة مركبة موقوف علي وجود أجزائها وتركيبها تركيباً خاصاً، فحينئذ تكون مفتقرة في وجودها إلي وجود أجزائها ويكون كل جزء من أجزائها مفتقراً في جزئيته وتركيبه الخاص إلي انضمام غيره .

والتقدير: أن أحد جزئي هذه الحقيقة اللاهوت وجُزؤها الآخر الإنسان .وهو المحصل للاهوت .صفة الجزئية .

وتركيبه الخاص بانضمامه إليه جزءاً، إذ بذلك حصل مجموع ما ذُكر، فيكون اللاهوت مفتقراً إلي الإنسان، وذلك محال بيّن بطلانه !! .

هذا إذا لم يرد بالتركيب تركيب امتزاج واتحاد أو مجاورة [*] .

فإن أريد به شيء من ذلك كان الخطب أعظم في الفساد .

٢ .ثم نقول أيضاً .من الراسي [٣] .: إنَّ الإله إذا كان خالقاً للناسوت، ثمءظهر فيه متحداً به، فقد حدثت له صفة بعد خلقهن وهي اتحاده به، وظهوره فيه، فنقول إذن: هذه الصفة إذا كانت واجبة الوجود استحال اتصافها بالحدوث، وإن كانت ممكنة الوجود استحال اتصاف الباري بها، لأن صفات الباري كلها واجبة الوجود، لأن كل ما يلزم من عدم وجوده محال فهو واجب الوجود، وصفات الإله يلزم من عدم وجودها محال بيَّن .

---

(١) ينظر: المسيح في رسائل القديس أثناسيوس، ت ٣٧٣م، ص ١٠، ٢١، ٢٣، ترجمة عن اليونانية: صموئيل كامل ونصحي عبد الشهيد، إصدار بيت التكريس لخدمة الكرازة، ط٢، سنة ٢٠٠٠م، رسائل اثناسيوس الرسولي عن الروح القدس، ص ١٥ وما بعدها، تعريب: القمص مرقص، نشر مكتبة المحبة، القاهرة، بدون تاريخ .

(٢) نحو هذا في: تخجيل من حرف التوراة والإنجيل ١/ ٤٨٦، لكنه يرد به علي الملكية .

(*) كما يري أوطاخي الذي يقول باندماج اللاهوت في الناسوت واختلاطه به. ينظر: أنت المسيح الله ابن الله الحي، ص ٩٢ .

(٣) أي الثابت المتيقن .

السادة للفكر والثقافة
www.sadah.net

فإن قيل: إن كان هذا لازماً استحال خلق العالم، بل استحال خلق مخلوق واحد، لأن الله ﷻ إذا خلق مخلوقاً واحداً حدثت له صفة، وهي اتصافه بخلقه، فيلزم المحال المذكور !! .

فالجواب: أن هذا غير لازم البتة، لأن المعني من كون الله خالقاً تقديره الخلق في الأزل، وهذه الصفة ثابتة له أزلاً، فإذا خلق مخلوقاً، فعلمه بوجوده في زمن خلقه والقدرة علي إيجاده في ذلك الزمن أيضاً، كلاهما ثابت أزلاً، فلم يبق حادث سوي وجوده، ووجوده ليس صفة قائمة بذات الإله . جل اسمه . بل بذات المخلوق .

وأما نسبة الوجود إلي تأثير القدرة فيه . زمن إيجاده . فذلك من باب النِّسب والإضافات، والنسب والإضافات ليست أمراً وجودياً، كالفوقية والتحتية والأبوه والبنوة، وهذا معني بيِّن الظهور، بخلاف ما تقدم .

فإنه إذا اتحد بالناسوت كان اتحاده به صفة قائمة بذاته . تعالي الله عن ذلك . .

ثمَّ لو فرض وجود هذه الحقيقة، فالقول بأنها حقيقة ثالثة مغايرة لكل واحد من: اللاهوت والناسوت موصوفة بكل ما يجب لكل واحد منهما من لوازم الإنسان وملزوماته وصفاته من حيث هو إنسان، وما يجب للإله .

ويستحيل عليه من حيث هو إله كلام متهافت! لا مطمع لأحد في تحقيقه ! وبيانه: أن الشيء إنما يوصف بصفة إذا كان وصفه بها ممكناً، وإذا ثبت ذلك امتنع ان تجرى علي هذه الحقيقة أحكام اللاهوت وأحكام الناسوت، لأن جميع ما يجب للاهوت من الصفات وغيرها المختصة به من حيث هو لاهوت، المميزة له عن غيره، إن كانت ثابتة للحقيقة الثالثة لزم أن تكون عين اللاهوت !! .

وكذلك القول في الناسوت، لاشتراكهما معهما في جميع لوازم كل واحد منهما، وجميع ملزوماته وصفاته الثابتة له . من حيث هو إله . ومن حيث هو إنسان . علي حد ما ذكر . إذ لو ثبتت المغايرة، والحالة هذه للزم أن تُبت لشيء جميع ذاتيات الإنسان المقوِّمة لحقيقته، وجميع عوارضه اللازمة والمفارقة، ونفرض مع ذلك حقيقة مغايرة لحقيقة الإنسان، هذا من المحال البيِّن !، لأن جميع ذاتيات الإنسان المقوِّمة له وجميع عوارضه الثابتة له . من حيث هو إنسان .

السادة للفكر والثقافة
www.sadah.net

متي وُجدت في شيء. أوجبت لذلك الشيء حقيقة الإنسانية،ونفت عنه صدق ما يغايرها،وإلا لم تكن ثابتة له. من حيث هو إنسان. وقد فرضناها كذلك، هذا خُلف ! .

ثمَّ لو كانت إلهاً كاملاً لثبت لها أوصاف الإله الكامل، ومن أوصاف الإله الكامل أن لا يكون مركباً منه ومن الإنسان، لأنه يلزم أن تكون ذات الإله محتاجة إلي الإنسان في الوجود، ومسبوقة بها وبنفسها أيضاً !! .

إن طائفة لم تتفطن لهذا فصوابهم عنقاء مُغْرِب !!! [١] .

فإن قيل: إنما يلزم ذلك إذا جعلناها موصوفة بجميع ما يجب للإله من الصفات وغيرها، وكذلك القول في الناسوت. من حيث هو حقيقة. أما إذا أجرينا علي كل من اللاهوت والناسوت جميع أحكامه وصفاته التي كانت ثابتة له قبل التركيب، فلمّ قلتم: إنَّ ذلك ممتنع ؟

فالجواب: أن اعتبار أحكام جميع ما يجب لكل واحد منهما من حيث هو إله وإنسان إن اعتبرت لا بقيد التركيب استحال أن يكون للحقيقة الثالثة اعتباران [*]، إذ يكون ذلك حكماً علي المفرد بقيد كونه مفرداً .

وإن اعتبرت بقيد التركيب استحال بقاء جميعها بعد التركيب، إذ لو بقي جميع ما يجب لكل واحد منهما من المفردين من حيث هو كذلك بعد التركيب ثابتاً لهما، للزم أن يكون ثابتاً للحقيقة المفردة، وحينئذ يلزم المحال المذكور وهو : أن تكون الحقيقة الثالثة، نفس اللاهوت ونفس الناسوت، لاشتراكها معهما في جميع ما يجب لك واحد منهما من الصفات وغيرها هو إله ومن حيث هو إنسان، فثبت حينئذ ما ذكرناه :

أن وصفها بكل ما يجب لكل واحد من اللاهوت والناسوت ممتنع، سواء اعتبرنا كل واحد مهما بعيد التركيب أو منفكاً عنه !! .

هذه " مباحثة " من دقيق النظر، فلتفهم !! .

وجاهلهم المركب يعتقد أن الخلاص من هذه الفادحة هيّن فيظن أنه ينجو من هذه المضايق،

---

(١) أي أنهم بعيدون عن الصواب، وصوابهم لا وجود له كعنقاء مغرب التي لا وجود لها .

(*) باعتبار كونه إلهاً كاملاً وإنساناً كاملاً في آن واحد .

السادة للفكر والثقافة
www.sadah.net

بأمثلة لا تفيد عين المسألة، فيقول: قد ثبت وصف الإنسان بالجسمية والإحساس والنمو والتغير والفناء، وأنه ذو حيز، وثبت أيضاً اتصافه بالنطق وإدراك الكليات والجزئيات والفهم وغير ذلك مما يجب رده إلي النفس .

وهذه الأحكام إنما يتم اعتقادها، إذا نظر إلي الجسم الحيواني من حيث هو كذلك، وإلي النفس أيضاً من حيث هي كذلك، وهذا الهذيان متقاعد عما نحن بصدده تقاعداً بيّناً، لأنهم يعتقدون في الحقيقة. الثالثة: أنها إنسان كامل وإله كامل، وأن جميع ما هو ثابت للإنسان ثابت لها .

وكذلك القول في الإله فلابد من مثال يفيد عين هذا الاعتقاد، وإنما يتم ذلك إذا ثبت أن الإنسان يصدق عليه أنه مجرد، ليس بجسم ولا حال في جسم، ولا متحيز، وأنه باق، غير فان، لأنهم فلاسفة في هذه المسألة، فيثبتون له ما هو ثابت للنفس، من حيث هي نفس، ثمَّ يصفونه . أيضاً . بنقيض ذلك، مما هو ثابت للجسم الحيواني، من حيث هو جسم، فيقال: إنه جنس طبيعي يوجد مثله في أشخاص مختلفة بالحد [1] والحقيقة، وأنه حصة من الجنس، وأنه متحيز متحرك قابل للفساد .

وظني أن من تواقح وأثبت للحقيقة الثالثة ما أثبته من المحال، غير بعيد منه أن يجحد الضرورة، ويلتزم عين ما ذكر، وإلا فأيُّ فرق ؟! .

والعجب من الغفلة عن مثل هذه الأمور الواضحة !! وإن اعتقدت مع العلم بفسادها، فأعظم في الجهالة !! .

فإن قيل: إنما يلزم ذلك كله، إذا كان التركيب الذي نقول به تركيب امتزاج واختلاط، ونحن لا نقول بذلك، وإنما نعني بتركيب هذه الحقيقة تركيباً معنوياً يرجع حاصلة إلي تعلق معنوي بين اللاهوت والناسوت !! .

فالجواب: أن هذا التعلق قد سلف منا بيان عدم جدواه، فيما يحاولونه، سواء كانت النسبة عامة أو مقيدة .

---

(1) أي الحد المنطقي .

السادة للفكر والثقافة
www.sadah.net

هذا القول في الحقيقة الثالثة منسوب إلي رأي اليعقوبي [1] أ . هـ ..

ويتضح منافاة هذا المذهب لصريح المعقول والمنقول من وجوه:

أحدها: أنه لا يعقل أن تتركب طبيعة اللاهوت وطبيعة الناسوت، وتتركبان كما تركبت النفس مع البدن، ثمَّ تصيران إنساناً واحداً وجوهراً واحداً وإلهاً واحداً، إذ لا يمكن أن يجتمع الإنسان والإله في شخص واحد لاختلاف الطبيعتين في كليهما، فإما أن تقضي الطبيعة القوية علي الطبيعة الضعيفة، فيفني الإنسان ويبقي الله وحده، وهم غير قائلين به، وإما أن تزول الطبيعتان فلا يبقي إنسان ولا إله وهذا محال، وإما أن تقضى طبيعة الناسوت علي طبيعة اللاهوت وهذا محال أيضاً، فبطل اتحاد الطبيعتين .

يقول حجة الإسلام في المقصد الأسني [2]: إن قول القائل: إن شيئاً صار شيئاً آخر، محال علي وجه الإطلاق، لأنا نقول: إذا عقل اللاهوت وحده، والناسوت وحده. ثم قيل: إنَّ اللاهوت صار ناسوتاً واتحد به، فلا يخلو . أي الحال . عند الاتحاد إما أن يكون كلاهما موجودين، أو كلاهما معدومين أو اللاهوت موجوداً والناسوت معدوماً، أو بالعكس، ولا يمكن قسم وراء هذه الأربعة، فإن كانا موجودين، فلم يصر أحدهما عين الآخر، بل عين كل واحد منهما موجود ... وإن كانا معدومين، فما اتحدا، بل عدما، ولعل الحادث شيء ثالث، وإن كان أحدهما معدوماً، والآخر موجوداً، فلا اتحاد، إذ لا يتحد موجود بمعدوم، فالاتحاد بين الشيئين مطلقاً محال .

الثاني: أخبرونا عن هاتين الطبيعتين اللتين أصارهما الاتحاد طبيعة واحدة هل تغيرت كل واحدة عما كانت عليه قبل التركيب أم لا ؟ فإن زعمت أنهما لم يتغيرا، بل بقيت طبيعة الإله بحالها وطبيعة الإنسان أيضاً بحالها، فقد نقضوا مذهبهم، ورجعوا عن قولهم إلي قول من يقول: إن المسيح بعد الاتحاد كهو قبل الاتحاد ....

وإن زعمت أن الطبيعتين قد صارتا طبيعة ثالثة لا تشبه واحدة من الأوليين، فهذا تصريح بأن

---

(1) الرد الجميل (أ) ص ٢٧ . ٣٢ (ب) ص ١٢٦ . ١٣١ (جـ) ص ١٢٦ . ١٣١، وقارن: الفصل لابن حزم ١/ ٦٨، ٦٩، والأجوبة الفاخرة، ص ٣٠٥، والإعلام للقرطبي ١/ ١٢٨ . ١٣٠، والجواب الصحيح ٤/ ٨٣، وهداية الحيارى، ص ١٦٤، وتخجيل من حرف التوراة والإنجيل ١/ ٤٧٧، ٤٧٨ .

(2) انظر ص ١٣٥، نشر مكتبة القرآن، القاهرة .

السادة للفكر والثقافة
www.sadah.net

الطبيعة لا إله ولا إنسان، فكان ينبغي علي سياق هذا القول أن لا يصفوا المسيح بأنه إله ولا يصفوه بأنه إنسان، بل شيء آخر غريب عجيب، وذلك لأن الطبيعتين كانتا قبل التركيب كاملتين، والتركيب لم يخرجهما عن الكمال، بل بقي المسيح إلهاً كاملاً وإنساناً كاملاً، فإن كان التركيب قد أخرجهما إلي طبيعة غيرهما لم تكن تلك الطبيعة لا إلهاً ولا إنساناً، فإن زعموا أنهما كانا قبل التركيب كاملتين، والتركيب لم يخرجهما عن الكمال، بل بقي المسيح إلهاً كاملاً، وهو بعينه إنسان كامل، فقد ناقضوا العقل إذ زعموا أن القديم هو بعينه هو الحادث، وأن الزمني هو بنفسه الأزلي، وذلك بمثابة قول القائل أن الحركة هي السكون والسواد هو البياض .

الثالث: صرحت الأناجيل في مواضع كثيرة بتغاير طبيعتي الله والمسيح مثل : أنا ماض إلي الذي أرسلني (يوحنا ١٦: ٥) .

إني أصعد إلي أبي وأبيكم وإلهي وإلهكم (يوحنا ٢٠: ١٧) .

كما قال لي الآب هكذا أتكلم (يوحنا ١٢: ٥٠) .

كما أن الآب يعرفني وأنا أعرف الأب (يوحنا ١٠: ١٥) .

أبي أعظم مني (يوحنا ١٤: ٢٨) .

بل وصرحت بتغاير الإرادتين في فقرات متعددة نحو:

إلهي إلهي لم تركتني (متي ٢٧: ٤٦، مرقس ١٥: ٣٤)، ودخل بيتاً وهو . أي المسيح . يريد أن لا يعلم أحد فلم يقدر أن يختفي (مرقس ٧: ٢٤) [١] .

الرابع: " هذا منافر للعقل والحس منافرة تامة، لأن الاستحالة نقلة، والنقلة والاستحالة لا يوصف بهما الأول الذي لم يزل . تعالي عن ذلك علواً كبيراً .، ولو كان كذلك لكان مخلوقاً، والمحدث يقتضي محدثاً خالقاً له، ويكفي من بطلان هذا القول دخوله في باب المحال والممتنع الذي أوجب العقل والحس بطلانه، وليس في باب المحال أعظم من أن يكون الذي لم يزل يعود محدثاً لم يكن ثم كان، وأن يصير غير المؤلف مؤلفاً ... وإن كان استحال الإله إنساناً، فالمسيح

---

(١) ينظر: تخجيل من حرف التوراة والإنجيل ١/ ٤٧٧، ٤٧٨، والجواب الصحيح ٣/ ١٢٦ .

السادة للفكر والثقافة
www.sadah.net

إنسان وليس إلهاً، وإن كان الإنسان استحال إلهاً، فالمسيح إله وليس بإنسان " [١] .

الخامس: أي عقل يقبل قولهم: طبيعة واحدة بغير امتزاج ولا تداخل ولا اختلاط ودون انفصال أو افتراق أو انقسام، فإنه قول في غاية التناقض، لأن الجمع بين الاتصال والانفصال في طبيعة واحدة مستحيل .

السادس: إن كان طبع الإله وطبع الإنسان قد صارا واحداً والإله خالق والإنسان مخلوق، فطبع الخالق هو طبع المخلوق، وطبع العلة هو طبع المعلول، وذلك محال [٢] .

السابع: المسيح عندكم هو الموصوف بالحياة الدائمة فهو كما تقولون عنه: " أنا هو الأول الآخر والحي وكنت ميتاً !! [*] (رؤيا يوحنا ١: ١٧) .

والحي إلي الأبد (وها أنا حي إلي أبد الآبدين آمين) (رؤيا يوحنا ١: ١٨) [٣]، وقد قلتم: إنه صلب ومات مع أنه المحيي والمميت والمتوفى للأنفس فيتحد حينئذ المُميت والميُّت والمتوفِّي . بكسر الفاء . والمتوفَّى . بفتحها . .

الثامن: أقررتم بأنه كان يتضرع ويصلي فلمن كان يتضرع ويصلي، وهو الله ؟ فهل الله يصلي لله،فهنا إلهان فإن قلتم:نعم إله يصلي لإله جعلتموهما إلهين اثنين منفصلين، وأنتم تنكرون ذلك، وإن قلتم: صلي ناسوت للاهوت صيرتم المسيح عبداً فضاع دينكم، وفي الحالتين . الإقرار وعدمه . يظهر اختلاف الطبيعتين،وأنتم تؤمنون بطبيعة واحدة .

التاسع: إن اتحاد اللاهوت بالناسوت غير معقول، لأنه بعد الاتحاد إما أن يكونا اثنين كما كانا، أو صار الاثنان واحداً، فإن كانا اثنين كما كانا فلا اتحاد، بل هما متعددان، كما كانا متعددين، وإن كانا قد صارا شيئاً واحداً، فإن كان هذا الواحد هو أحدهما فالآخر قد عُدم،وهذا عدم

---

(١) ينظر: الفصل، لابن حزم ١/ ٦٨، ٧٣ .

(٢) تخجيل من حرف التوراة والإنجيل ١/ ٤٧٩ .

(*) أعجب العجب أنه جاء في كتاب " طبيعة المسيح " م. س ص ٢٠: " هذا الذي كان ميتاً هو الأول والآخر وبيده مفاتيح الهاوية والموت " .

(٣) ينظر: إيماننا المسيحي صادق وأكيد، ص ٢٢٩، وأنت المسيح الله ابن الله الحي، للأنبا غريغوريوس، ص ٤٤ .

السادة للفكر والثقافة
www.sadah.net

لأحدهما لا اتحاده،وإن كان هذا الذي صار واحداً . ليس هو أحدهما . فلابد من تغييرهما واستحالتهما، وإلا فلو كانا بعد الاتحاد اثنين باقيين بصفاتهما لم يكن هناك اتحاد [١] .

العاشر: الجمع بين الجوهرين والأقنومين في الجوهرية والأقنومية يوجب كون الطبعين طبعاً واحداً والأقنومين أقنوماً واحداً، فيسقط القول فيه بالدنايا إن المسيح عليه السلام أو يسقط القول بظهور الآيات إن كان المسيح إنساناً، فبطل القول بكونه طبعاً واحداً [٢] .

حادي عشر: هذه الفرقة يلزمها إثبات كل نقص لله .تعالي .فإنه .علي قولهم بالطبيعة الواحدة. المولود المحوي في بطن، المتبول المتغوط المختون النامي الآكل الشارب النائم الجائع العطشان الحزين المحتاج العاجز المتألم المتعب الباكي المضروب المصلوب المقتول الميت والمقبور ... !

ومن كان كذلك فلا يكون إلهاً .

لأنه ورد فيما تؤمنون به أن الله .تعالي .منزه عن هذا كله، ففي سفر أشعياء ٤٠/ ٢٨، إله الدهر الرب خالق أطراف الأرض لا يكل ولا يعيا [٣] .

وأعجب من ذلك أنكم تقولون بموت المحيي المميت [*] !! .

ثاني عشر: صرحت الأناجيل بأنه عليه السلام كان ينمو في القامة والحكمة والنعمة، ففي لوقا (٢: ٥٢): وكان يسوع ينمو في القامة والحكمة، والنعمة عند الله والناس، فكيف ينمو في القامة والحكمة وهو الإله الكامل، كما أن نماء القامة واكتساب الحكمة من صفات الإنسان، ويزيد

---

(١) الجواب الصحيح، لابن تيميه ٢/ ٢٦٧، والنصيحة الإيمانية في فضيحة الملة النصرانية، ص ١٤٤، ١٤٥، وتنقيح الأبحاث، لابن كمونة، ص ٥٤، ٥٥ .

(٢) ينظر: تخجيل من حرف التوراة والإنجيل ١/ ٤٧٨ .

(٣) ورد نصه في ترجمة الكاثوليك ٤٠/ ٢٨: " الرب إله سرمدي خلق الأرض بكاملها لا يتعب ولا يكل أبداً "، ص ٩٥٨، ط دار الكتاب في لبنان، ط أولي، سنة ١٩٩٥م .

(*) من المحاورات الطريفة أن بعض المسلمين قال لأحد القسوس: إن بعض الناس أخبرني رئيس الملائكة قد مات، فقال له القسيس: إن ذلك كذب، لأن الملائكة خالدون لا يموتون، فقال له المسلم: وكيف وأنت تقول في وعظك: إنَّ الإله قد مات علي خشبة الصليب، فكيف يموت الإله وتخلد الملائكة، فبهت القسيس ولم ينطق بكلمة . ينظر: العقائد الإسلامية، للشيخ/ سيد سابق، ص ٥٦، ٥٧، نشر دار الفتح للإعلام العربي، القاهرة، ط ١٠، سنة ١٤٢٠هـ. ٢٠٠٠م .

السلفية للفكر والثقافة
www.sadah.net

هذا جلاءً ما ورد في لوقا أيضاً (٢: ٤٠)، وكان الطفل ينمو ويتقوَّى بالروح، ممتلئاً حكمة، وكانت نعمة الله عليه .

وهل الله الواحد الأحد . سبحانه ينعت بأنه طفل وفتي وشاب وكهل ورجل ...، وهذا الكلام آنف الذكر يبرهن علي أن المسيح عليه السلام متغير وحادث، وأنتم تقولون عنه " إنه إله لأنه ينسب إلي ذاته " [1] " الثبات وعدم التغير "، وقد آمنتم بما جاء في ملاخي ٣: ٦: (إني أنا الرب، لا أتغير) (ليس عنده تغيير ولا ظل دوران) " يعقوب ١/ ١٧ " .

بينما أنتم تقولون بأن جوهر الابن الأزلي وجوهر الإنسان قد تغيّرا عن طباعهما لأجل الاتحاد، وهذا يبطل القول بالطبيعة الواحدة .

ثانياً: مناقشة رأي الملكية [2] في اتحاد اللاهوت بالنا سوت :

([1]) ينظر: أنت المسيح الله ابن الله الحي، للأنبا غريغريوس، ص ٦٧، وينظر: ما معني المسيح ابن الله؟ لنخبة من خدام الإنجيل، ص ٢٧، ٢٨، ط٤، بدون نشر، سنة ١٩٨٤م .

([2]) الملكية أو الملكانية (الكاثوليك) نسبة إلي المذهب الذي اعتنقه ملوك الرومان النصارى (وهو أن للمسيح طبيعتين ومشيئتين في أقنوم واحد)، بينما ذكر الشهرستاني ١/ ٢٢٢: أنهما نسبة إلي رجل اسمه ملكا، وقد بدأ هذا المذهب في الظهور علي أثر إقراره في مجمع نيقية سنة ٣٢٥م، بتأييد الملك قسطنطين لمذهب تعدد الآلهة واعتبار المسيح ابناً وإلهاً مستقلاً، ثمَّ في مجمع القسطنطينية الأول سنة ٣٨١م: تحددت حقيقة الثالوث النصراني بالأب والابن في المسيح طبيعتين، وحيث إن الذي دعا إلي هذا المجمع هو الملك الروماني وتأييده لمذهب ازدواج الطبيعتين، فقد أطلق عليه المذهب الملكي أو الملكاني، ثمَّ أضيف إلي هذا المذهب القول بأن للمسيح طبيعتين ومشيئتين في مجمع القسطنطينية الثالث سنة ٦٨٠م خلافاً للمارونية القائلين بأن للمسيح طبيعتين ومشيئة واحدة، وظلت الطائفة علي مذهب الطبيعتين والمشيئتين متفقة في آرائها إلي أن دبَّ الخلاف بينها بشأن انبثاق الروح القدس أكان من الأب وحده أم من الأب والابن معاً؟ ولأجل ذلك عقد مجمع القسطنطينية الرابع سنة ٨٦٩م، ونتج عنه انفصال الكنيسة الشرقية مذهباً ورئاسة واسماً عن الكنيسة الغربية (الملكية) حيث أصبحت الكنيسة الشرقية تسمي بكنيسة الروم الأرثوذكسية أو اليونانية، وأتباعها يعتقدون بأن الروح القدس مشتق من الأب وحده .... أما الكنيسة الغربية اللاتينية فتسمي بالكنيسة البطرسية . نسبة إلي بطرس رئيس الحواريين . الكاثوليكية نسبة إلي كاثوليك Cathliqe وهي كلمة يونانية ومعناها العالمي أو العام وهو اصطلاح استخدمته الكنيسة في القرن الثاني الميلادي، ويرأسها البابا بالفاتيكان في روما، ويعتقد أتباعها بالطبيعتين وأن الروح القدس منبثق من الأب والابن .

ثمَّ حدث انشقاق آخر بالكنيسة الكاثوليكية عندما ظهر دعاة الإصلاح الكنسي في أوائل القرن السادس عشر الميلادي بقيادة مارتن لوثر ١٥٤٦م الذين احتجوا علي فساد الكنيسة، فسمي مذهبهم بالبروتستانتية Protestanntisme أي

السادة للفكر والثقافة
www.sadah.net

تعتقد هذه الفرقة أن الابن الأزلي الذي هو الكلمة تجسد من مريم تجسداً كاملاً كسائر أجساد الناس، وصار إنساناً بالنفس والجسد اللذين هما من جوهر الناسوت، وإلهاً بجوهر اللاهوت كمثل أبيه .

والمسيح بعد الاتحاد طبيعتان . لكنه أقنوم واحد . ومشيئتان مشيئة باللاهوت، ومشيئة بالناسوت، فهو واحد في طبيعتين غير ممتزجتين ولا منفصلتين، وهو إله حقيقي وإنسان حقيقي في الوقت نفسه، وذو طبيعتين متميزتين بالوقت نفسه متحدتين، مع الإقرار بأن الروح القدس انبثق من الآب والابن، والصلب والقتل والأحوال البشرية إنما وقعت علي الناسوت دون اللاهوت،ومريم ولدت الإله والإنسان، والآب عندهم أفضل من الابن .

عرض حجة الإسلام للفكر الملكي في اتحاد اللاهوت بالنا سوت :

ويجلي حجة الإسلام معتقد الملكية أو الملكانية في اتحاد اللاهوت بالناسوت، فيقول: " هم يعتقدون بأن حقيقة إنسانية عيسي عليه السلام وذات الإله حقيقتان متميزتان ليس بينهما اختلاط ولا امتزاج، بل كل حقيقة باقية علي جميع أوصافها الثابتة لها من حيث هي كذلك، وأن المسيح أقنوم لحقيقة الإله فقط، وهي حقيقة غير مركبة أخذت من الحقيقتين المذكورتين، ولها اتحاد بالإنسان الكلي " [1] .

والإمام الغزالى يناقشهم في مذهبهم في الاتحاد فيقول: كيف جعلوا حقيقة الإله مأخوذة من حقيقة الإنسان وحقيقة نفسه ؟ ثمَّ أثبتوا لها اتحاداً بالإنسان الكلي، والإنسان الكلي لا وجود له في الخارج فتكون حينئذ متحدة بما لا وجود له إلا في الذهن ؟ ويلزم علي هذا الرأي ... أن يكون

المحتجين، وقد سموا الإنجيليين، وأطلق علي كنيستهم الكنيسة الإنجيلية لدعواهم أنهم يفهمون الإنجيل بأنفسهم دون الحاجة إلي البابوات، ومن أبرز تعاليمهم: إبطال الرئاسة في الدين وصكوك الغفران والرهبنة .... الخ .. ينظر: قصة الحضارة، لول ديورانت ١١/ ٣٩٦، وتاريخ الكنيسة، لجون لوريمر، الجزء الثالث كله، والملل والنحل ١/ ٢٢٢، والفصل، لابن حزم ١/ ٦٧، واعتقادات فرق المسلمين، للرازي، ص ٨٤، والجواب الصحيح ٤/ ٨١، الأجوبة الفاخرة، ص ١٥٥، (مع الفارق)، وهداية الحيارى، ص ٣٠٣، ٣٠٤، والخطط ٢/ ٥٠٠ ـ ٥٠٢، ويا أهل الكتاب تعالوا إلي كلمة سواء، د/ رؤوف شلبي، ص ٢٦١، ٢٦٢، نشر دار الاعتصام، ط٢،سنة ١٤٠٠هـ.

(١) الرد الجميل (أ) ص ٣٢ (ب) ص ١٥٦ (جـ) ص ١٣٢ .

السادة للفكر والثقافة
www.sadah.net

المصلوب هو الإله .تعالي الله عن ذلك .!! .

لننظم من هذا الرأي القول قياساً منطقياً، فنقول:

المسيح صُلب .

ولا شيء مما صُلب بإله .

إذن فلا شيء من المسيح بإله .

وهم لا يقدرون علي منع الكبرى . أي لا شيء مما صُلب بإله .، لأن حقيقة المسيح لا يقولون بتركيبها، والمتحد به لا وجود له في الخارج، فيرجع إذن حاصل هذا الرأي إلي أن المسيح المصلوب نسبة إلي الإنسان الكلي الموجود في الذهن، وهذا لا يدفع ما ألزموا به، لأن النِّسب قد سلف منا بيان عدم كونها من الأمور الوجودية .

ثمَّ لو حكمنا عليها بالوجود لم يحصل لهم بذلك نجاة، لأن النِّسب والإنسان الكلي كل منهما لا يوصف بصلب ولا ألم .

فإن قيل: إنَّ النوع الكلي الطبيعي موجود في الخارج !

قلنا: إن أُريد ذلك لزم أن يكون للإله اتحاد بكل فرد من أفراد الإنسان .

فإن قيل: المراد خصوصية حصة عيسي عليه السلام مع قطع النظر عن مُشخَّصاته المميزة له عن غيره ! .

قلنا: هذا اعتبار ذهني لا وجود له في الخارج، بل وجود هذه الحصة ملزوم لوجود مشخَّصاته فيرجع حاصل هذا إلي: الاتحاد بإنسان جزئي، وسنبطل هذا الرأي عن قريب .

ثم لو تصور أن تكون حقيقة الإله مأخوذة من حقيقة الإنسان وحقيقة نفسه للزم أن يكون ما حصل به الوجود لحقيقة الإله علي الصفات الثابتة لها،إذ ذاك . من الحقيقتين . سابقاً علي وجود حقيقة الإله موصوفة بما ذكر، وحينئذ يكون وجود حقيقة الإله الموصوفة بذلك مسبوقاً بوجود حقيقة الإنسان، ومسبوقاً أيضاً بوجود حقيقة نفسه .

وصفات الإله يجب أن تكون واجبة الوجود ثابتة أزلاً لذاته .

السادة للفكر والثقافة
www.sadah.net

وإحدى الحقيقتين التي هي شرط لوجود حقيقة الإله. موصوفة بما ذُكر. هي حقيقة الإنسان .

وحدوثها مقطوع به، فكيف تكون شرطاً لما هو ثابت أزلاً ؟! .

هذا كله إذا عني بالأخذ: أن ذات الإله حدثت لها صفة عند خلق الناسوت، فإن أريد بذلك: أن الحقيقتين شرط في أصل وجود ذات الإله. جل اسمه. فهذا كلام من لا عقل له .

هذا رأي القدماء منهم .

وأما المتأخرون، فبمثل مقالة هؤلاء يقولون من غير فرقان إلا في الاتحاد فإنهم يقولون: إن للمسيح اتحاداً بإنسان جزئي .

والمسيح عند الفريقين: أقنوم لحقيقة الإله فقط،وهي عند الفريقين أيضاً حقيقة غير مركبة أخذت من الحقيقتين، يعنون بالحقيقتين حقيقة الإله. جل اسمه ،. وإنسانية عيسي عليه السلام .

ثمَّ وقع الاتفاق منهما علي أن كل حقيقة باقية علي جميع أوصافها من غير اختلاط ولا امتزاج، بل كل منهما حافظة ذاتها من حيث هي كذلك، أما المسيح الذي هو أقنوم لحقيقة الإله فقط، فقد صرحوا بصلبه، فيلزم أيضاً للفريق الثاني ما لزم الأول .

أما الأول (القدماء) فقد مضي القول فيه مبيناً .

وأما الثاني، فلأنهم مصرحون بأن المسيح عليه السلام أقنوم لحقيقة الإله فقط، ومعتقدون بأن حقيقته غير مركبة ليس بينها وبين حقيقة الإنسان اختلاط ولا امتزاج، وقد حكموا مع ذلك بصلبه، فيلزم أن يكون المصلوب هو الإله .

فإن قيل: إن الفريقين، كل منهما قائل بالاتحاد، فلمّ لا يعود الصلب علي المتحد به؟ فنقول: هذه الدعوى لا يقدرون علي تحقيقها البتة، أما القدماء، فلأن المتحد به لا وجود له إلا في الذهن، ولأن حقيقة المسيح عندهم غير مركبة .

وأما المتأخرون فبمثل هذه المقالة. أيضاً. يقولون .

وأما الاتحاد عندهم بإنسان جزئي، فحاصله يرجع إلي نسبه، والعجب من إطلاقهم الصلب

السادة للفكر والثقافة
www.sadah.net

علي المسيح . الذي هو أقنوم لحقيقة الإله فقط ،. ثم يعترضون بأن الاتحاد غير معقول الحقيقة .

وكيف يستجيز العقل أن يطلق الصلب علي المسيح . الذي هو أقنوم لحقيقة الإله فقط ،. ويصرح بجهله بحقيقة الاتحاد الذي ينبني علي العلم به رد الألم إلي الإنسان وصرفه عن الإله . جل اسمه . ؟! .

وأعجب من ذلك ركونه إلي ما لا يعلم حقيقته، وله عن هذه الجهالة مندوحة ظاهرة !! .

وأي عذر لمن يعتقد أن الحامل له علي ذلك ما ورد من ظواهر النصوص الدالة علي الاتحاد، وما ظهر علي يد المسيح عليه السلام من الخوارق ؟! [1] أ. هـ

وما ذهبت إليه هذه الفرقة يُعد من ترهات القول من وجوه :

أحدها: " أنهم جمعوا بين ضروب من المتناقضات والمستحيلات إذ إنهم يقولون: الإله المتجسد آكل غير آكل شارب غير شارب راكب غير راكب حي غير حي، ميت لم يمت، مصلوب لم يصلب، مهان لم يهن، معذب لم يعذب، قائم قاعد في حال واحد " [2] .

ثمَّ إنهم قالوا: إن اللاهوت ولد من مريم ولم يصلب، " فمتي جاز أن يولد جاز أن يموت ويصلب، وإن لم يجز أن يصلب ويموت، لم يجز أن يولد، فتجويز أحدهما، ومنع الآخر تناقض " [3] .

الثاني: " كيف جوزوا حين الموت أن يحل الموت والصلب والأكل والشرب، وسائر الأمور البشرية بأحد الجوهرين دون الآخر، ولم يجوزوا . حين الولادة . أن تلد مريم أحد الجوهرين دون الآخر؟ وهل هذا إلا من تناقضهم؟ كقولهم جميعاً: إنه صعد إلي السماء وقعد عن يمين أبيه مع قولهم: إنَّ اللاهوت مع الناسوت قعد عن يمين الأب، ويقولون مع ذلك: إنَّ اللاهوت القاعد علي

---

(١) الرد الجميل (أ) ص ٣٢ . ٣٥ (ب) ص ١٥٦ . ١٦١ (جـ) ص ١٣٢ . ١٣٦ .

(٢) ينظر: النصيحة الإيمانية، ص ١١ .

(٣) براجع: الجواب الصحيح ٣/ ٤٦ .

السادة للفكر والثقافة
www.sadah.net

يمين الآخر هو ذلك الآخر، وهما جوهر واحد وإله واحد مع قولهم: إنه إله حق من إله حق "[١].

الثالث: يقال لهم ولليعقوبية[٢]: يجب علي ذوي العقول أن تزجرهم عقولهم عن عبادة إله ولدته امرأة بشرية آدمية، ثمَّ مكث علي وجه الأرض ثلاثين سنة تجرى عليه أحكام الآدميين من غذاء وتربية وصحة، وأمن وخوف، وتعلم وتعليم، وما يسعكم أن تَدَّعوا أنه كان منه في حال من تلك الأحوال من أسباب اللاهوتية شيء، ولا خرج عن أحوال الآدميين كلها في حاجاتهم وتصرفاتهم وضروراتهم ومهنهم ومحنهم ... ثمَّ انقضى أمره كما تصفون . مما تنسبونه إليه من حبس وضرب وقذف ،. فهل تقبل العقول ما تقولونه: إن إلهاً نال عباده منه ما يذكرون أنه نيل منه؟ ولا تقولوا: إنَّ ذلك حلَّ بالجسم دون الروح، فإن القياس لا يحتمل ذلك علي معني ما شرحناه في اتحاد اللاهوت به، أفليس قد وقع بجسم اتحدت اللاهوتية به، وحلت الروح فيه، وقد انتخبه الله . علي ما تصفون . لخلاص الخلق، وفوض إليه القضاء بين العباد في اليوم الذي يجتمع فيه الأولون والآخرون للحساب[٣].

الرابع: يقال لهم: هل فارق اللاهوت الناسوت عند القتل؟ فإن قالوا: فارق فقد أبطلوا دينهم، فلم يستحق المسيح الربوبية عندهم إلا بالاتحاد، وإن قالوا: لم يفارقه فقد التزموا ما رُدَّ به علي اليعقوبية وهو قتل اللاهوت مع الناسوت[٤].

الخامس: إن قلتم: إن الأقنومين . الأقنوم الأزلي وأقنوم الإنسان . قد صارا واحداً، فالجوهران أيضاً قد صارا واحداً، والقول بصيرورة الجوهرين واحداً باطل، والقول بالأقنوم الواحد باطل .

السادس: إن كان أقنوما المسيح قدا صارا أقنوماً واحداً، وأحدهما زمني والآخر أزلي، فقد

---

(١) الجواب الصحيح ٣/ ٤٥ بتصرف .

(٢) تختلف الملكية عن اليعقوبية في الاعتقاد في أربع مسائل، فالملكية تقول بالطبيعتين والمشيئتين بعد الاتحاد، وانبثاق الروح القدس من الأب والابن، ووقوع الأحوال البشرية والصلب والقتل والموت علي الناسوت، بينما تقول اليعقوبية بطبيعة واحدة ومشيئة واحدة بعد الاتحاد، وانبثاق الروح القدس من الأب وحده، ووقوع الصلب والقتل والأحوال البشرية علي اللاهوت والناسوت، ويسمون العلم قبل اتحاده ابناً خلافاً للملكية .

(٣) ينظر: النصيحة الإيمانية، ص ٩٥، ٩٦ باختصار .

(٤) الجواب الفسيح لما لفقه عبد المسيح ١/ ٥٩٧ .

السادة للفكر والثقافة
www.sadah.net

صار الأزلي زمنياً وألزمني أزلياً أو صار منهما شيء آخر لا أزلي ولا زمني وذلك محال، وعلي هذا يبطل فعل أقنوم الإنسان وهو الكل والشرب وغيره، وقد وُصف المسيح بذلك، أو ببطل فعل أقنوم الإله وهو إحياء الميت وتطهير الأبرص وقد وُصف المسيح به [١] .

السابع: إذا كان اللاهوت قد فارق الناسوت عند الصلب، ونزل بالناسوت ما نزل به فلمّ فارقه ساعة الشدة، وكان الأجدر به ألا يفارقه في هذه الحالة، ولمّ لم يغضب علي من آذوا ناسوته وأقنومه وجزأه الثاني؟

ثمَّ لا يتصور أن يغادره ويفارقه ويظل متصلاً به حالاً فيه، وفي الحالة هذه سينال من العذاب والصلب والقتل ما نال الناسوت .

وقولهم: بأنه ترك ناسوته عند الصلب والقتل مبطل لمعتقدهم، فإنه بذلك قد فارق أقنومه الثاني، فبطل قولهم بالاتحاد وبطل كونه إلهاً، إذ الإله لا يخلو من صفاته الذاتية، فهي قائمة به لا تفوت في حال من الأحوال، ولا يتصف بضدها .

الثامن: ويقال للملكية واليعقوبية القائلين بأن المسيح ابن الله وابن مريم وقد أقررتم أن المسيح إنسان وإله، فالإنسان هو ابن الله وابن مريم، والإله هو ابن مريم وابن الله [٢] لا سيما مع قولكم بأن مريم أم الإله لا أم الإنسان .

التاسع: أتقولون: إن اللاهوت اتحد بالناسوت حقيقة أو مجازاً؟ فإن قالوا: إنَّ ذلك مجاز للتوسع أبطلوا الاتحاد وتجوزوا بإطلاق ما لم يجز إطلاقه علي القديم .سبحانه .

وإن قالوا: إنه اتحد به حقيقة لزمهما أن تكون مشيئتهما واحدة، لأن الواحد لا تكون له إلا مشيئة واحدة، إذاً لو كان للواحد مشيئتان للزم إما أن يكونا متماثلين أو مختلفتين، فإن كانتا متماثلتين فإحداهما مغنية عن الأخرى، وإن كانتا مختلفتين تناقضت أحكامهما وامتنع حصول مرادهما، فثبت أنه لابد من إبطال إحدى المشيئتين إن كان الاتحاد حقيقة، أو إبطال الاتحاد

---

(١) ينظر: تخجيل من حرف التوراة والإنجيل ١/ ٤٨٥ .

(٢) الفصل، لابن حزم ١/ ٨٢ .

السادة للفكر والثقافة
www.sadah.net

جملة أن يثبت المشيئتين [١] .

العاشر : منعوا أن تحمل المرأة وتلد الناسوت دون اللاهوت لأجل الاتحاد الذي بينهما، وجب أن يمنعوا أن يأكل ويشرب، ويصلب ويقتل أحدهما دون الآخر لأجل الاتحاد بطريق الأولي .

وكون الصلب والقتل أعظم منافاة للربوبية من حمل مريم وولادته إياه، لا يمنع كون كل ذلك ممتنعاً علي الله .

ومن جوَّز عقله أن يكون رب العالمين خرج من فرج مريم وهي بكر، فقد جعل رب العالمين يخرج من ثقب صغير، وهذا أعظم ما يكون من الامتناع .

ومن جوَّز عليه هذا جوز عليه أن يخرج من كل ثقب مثل ذلك الثقب وأكبر منه، وجوز أن يخرج رب العالمين من فم كل حيوان وفرجه ومن شقوق الأبواب وغير ذلك من الثقوب .

وإن قالوا: ذاك مكان طاهر، قيل: أفواه الأنبياء والصالحين أطهر من كل فرج في العالم، فيجوز أن يخرج من فم كل نبي وولي لله، ومن أذنه، ومن أنفه، فإن هذه الخروق والثقوب أفضل من فروج النساء [٢] .تعالي الله عما يصفون..

وإن قالوا: إنها أفضل من الأنبياء والأولياء أجمعين قيل: فمها وأذنها أطهر من فرجها [٣] .

ثالثاً: مناقشة رأي النسطورية [٤] في اتحاد اللاهوت بالنا سوت :

---

(١) تخجيل من حرف التوراة والإنجيل ١/ ٤٨٥ .

(٢) ينظر: الجواب الصحيح ٣/ ٤٨، ٥٩ .

(٣) من أراد المزيد في رد مذهبها فليراجع: الجواب الصحيح، الجزء الثالث .

(٤) النسطورية: نسبة إلي نسطورس الذي ولد بسوريا (٣٨٠م - ٤٥١ م) . ويري الشهرستاني أن نسطور الملقب بالحكيم ظهر في زمن المأمون . .

وقد أصبح نسطور بطريركاً علي القسطنطينية سنة ٤٢٨م إلي أن أعلن مذهبه - الذي تأثر فيه بأستاذه ثيودور المبسوستيائى ت ٤٢٨م - بأن مريم أم المسيح الإنسان وليست والدة الإله، ولذلك كان إثبات أحدهما الإنسان الذي هو مولود من مريم، وأن هذا الإنسان الذي يقول: إنه المسيح بالمحبة متولد مع ابن الإله، ويقال له: الإله وابن الإله، ليس علي الحقيقة ولكن علي المجاز، يقول الأنبا شنودة الثالث - البابا الحالي للإسكندرية وبطريرك الكرازة المرقسية -: يري أنها ولدت إنساناً، وهذا الإنسان حل فيه اللاهوت .. وبهذا قد أنكر لاهوت المسيح، وحتي قوله: إن اللاهوت قد حلَّ فيه لم يكن بمعني الاتحاد الأقنومي، وإنما حلول

السادة للفكر والثقافة
www.sadah.net

هم يرون أن مريم ولدت إنساناً لا إلهاً، وتمت العلاقة بينهما بعد الولادة، وحلَّ اللاهوت في الناسوت بالمصاحبة بمعني أنه صار مسكناً للاهوت، وليس له من اتحاده إلا الحمل، والاتحاد بين المشيئتين، وبذلك بقي كل واحد منهما عل حالته الأولي قبل الاتحاد، وإنما أطلق علي الناسوت أنه الإله وابن الإله علي وجه المجاز لا الحقيقة، وعلي هذا فالإله لم يولد ولم يصلب، واللاهوت والناسوت جوهران وأقنومان حلّ أحدهما بالآخر، والصلب والموت وقع علي الناسوت، والاتحاد عندهم شبيه باتحاد الماء في الزيت، فكل منهما باق بحسبه .

عرض حجة الإسلام للفكر النسطورى في الاتحاد :

وقد أمسك حجة الإسلام بالخيط الرفيع الذي يميز النسطورية ألا وهو وقوع الاتحاد في المشيئة، فناقشهم قائلاً :

أما النسطوري فيقول: إنَّ الاتحاد وقع في المشيئة، وهذا كلام مثبَّج [*] يجب تحريره، فإن عنوا بذلك أن مشيئة عيسي عليه السلام تابعة لمشيئة الإله في الحكام الخمسة لا تباينها في واجب ولا محظور ولا مندوب ولا مكروه ولا مباح، فهذا ثابت لجميع الأنبياء.

بمعني المصاحبة ... أي أن المسيح صار مسكناً لله، وهو بهذا الوضع يعتبر حامل الله... وهكذا يري أن علاقة طبيعة المسيح البشرية بالطبيعة اللاهوتية بدأت بعد ولادته من العذراء، ولم تكن اتحاداً وقال صراحة: أنا أفصل بين الطبيعتين، وبهذا الوضع تكون النسطورية ضد عقيدة الكفارة، وعندما قال نسطور مقالته انعقد مجمع أفسس سنة ٤٣١م وقرر: أن مريم والدة الإله، وأن للمسيح طبيعتين لاهوتية وناسوتية في أقنوم واحد، وتقرر خلع نسطور ...، ويذكر ابن البطريق في التاريخ المجموع أن مقالة نسطور قد اندثرت، فأحياها من بعده بزمان طويل برصوما (ت ٤٩٠م) مطران نصيبين وثبَّتها في الشرق وخاصة أهل فارس ... وقد أنحرف النسطوريون عن مقالة نسطور الأصلية حيث مالوا إلي القول بامتزاج اللاهوت (ابن الله) في الناسوت، وأن المسيح أقنومين وطبيعتين لهما مشيئة واحدة ... ولاتزال توجد منهم جماعات متفرقة في آسيا وخاصة في العراق وإيران والهند والصين، ومع أن الكنيسة أدخلتهم في حظيرتها إلا أنهم لا يزالون ينكرون عبادة مريم .

قصة الحضارة، لول ديورانت ٢/ ١٠٠، ١٠١، وأنت المسيح الله ابن الله الحي، للأنبا غريغريوس، ص ٩٢، وطبيعة المسيح، للأنبا شنودة الثالث، ص ١٠، ١١، والتاريخ المجموع، لسعيد بن البطريق (أفيتشيوس)، ص ١٥٢، ط الآباء اليسوعيين، بيروت، سنة ١٩٠٥م، والملل والنحل، للشهرستاني ١/ ٢٤٤، ٢٢٥، والنصيحة الإيمانية، ص ٩، ١٠، والفصل، لابن حزم ١/ ١١١، والجواب الصحيح ٣/ ٣٦ .٥٠، وهداية الحيارى، ص ٣٠٤، ومحاضرات في النصرانية، للشيخ أبو زهرة، ص ١٥٧ . ١٥٩، وإظهار الحق ٣/ ٧١٦ .

[*] مُثبَّج: مختلط مُبهم، لسان العرب، مادة: ثبج .

السادة للفكر والثقافة
www.sadah.net

وإن أرادوا بذلك أن جميع ما تعلقت به مشيئة الإله من الكائنات هو بعينه متعلق مشيئة المسيح عليه السلام فهذا عين الخطأ، ولا يجمل بعاقل أن يخطره بباله، فضلاً عن أن يعتقده مذهباً !! .

وكيف يمكن ادعاء ذلك وقد تعلقت عندهم مشيئة الإله بصلب المسيح عليه السلام، ولم يكن الصلب مراداً له، ولا تعلقت مشيئته به، يدل علي ذلك تضرعه للإله سائلاً دفعه بقوله: إن كان يستطاع فلتعبر عني هذا الكأس وليس كإرادتي لكن كإرادتك [1] ، فصرح بتغاير الإرادتين .

وتبرُّمه أيضاً مصلوباً سائلاً عن السبب بقوله: " إلهي، إلهي، لم تركتني "، تدل علي عدم شعوره بالسبب .

ومن لم يكن شاعراً بحقيقة الواقع كيف تتعلق مشيئته بوقوعه؟ ومن المعلوم أن مشيئة المسيح عليه السلام كانت متعلقة بمتابعة جميع بني إسرائيل له، وجمعهم علي الهدي، هذا شأن الأنبياء الهاديين وما تعلقت مشيئة الإله بذلك، بل تعلقت بعدمه، لأن الواقع عدمه [*] !! .

وكذلك الساعة: تعلقت مشيئة الإله بوقوعها في زمن مخصوص والمسيح عليه السلام غير عالم بتعيين ذلك الزمن، فكيف تتعلق مشيئته بتعيينه ؟! .

ثمَّ قصد شجرة التين، تعلقت مشيئة الإله بأن يقصدها وهي غير مثمرة، والمسيح عليه السلام قصدها غير عالم بحقيقة هذا التعلق [2] .

ويضاف إلي ما احتج به حجة الإسلام عليهم براهين أخري :

أحدها: أنهما . اللاهوت والناسوت . إذا كانا جوهرين منفصلين مستقلين بذواتهما لزم أن يكون لكل واحد منهما طبيعة واحدة ومشيئة واحدة دون اتحاد لا سيما وأنهم يقولون بأن مريم . عليها

---

(1) مرقس ١٤: ٣٦،ولفظه "يا أبا الأب كل شيء مستطاع لك،فأجز عني هذه الكأس،ولكن ليكن لا ما أريد أنا،بل ما تريد أنت".

(*) لأنهم لم يؤمنوا به، ولا يقع في ملك الله . تعالي . إلا ما يريد .

(2) الرد الجميل (أ) ص ٣٦، ٣٧ (ب) ص ١٦٤ . ١٦٦ (جـ) ص ١٣٨، ١٣٩، وقارن بـ: الفصل ١/ ١١١، والنصيحة الإيمانية، ص ٩، ١٠، مقامع هامات الصلبان (بين الإسلام والمسيحية)، ص ١٨٠، والأجوبة الفاخرة، ص ٣٠٦، الجواب الصحيح ٤/ ٨٢، والإعلام، للقرطبي ١/ ١٢٧، وهداية الحيارى، ص ١٦٥، ١٦٦، وتخجيل من حرف التوراة والإنجيل ١/ ٤٨٦ . ٤٩٠ .

السادة للفكر والثقافة
www.sadah.net

السلام .ولدت الإنسان .

والثاني: إن قيل مشيئتهما واحدة مع تضارب موجب المشيئتين لزم اجتماع الضدين في محل واحد، فإن الإرادة الناسوتية تطلب الأكل والشرب .... وأن تعبد وتصلي وتصوم واللاهوتية توجب امتناعه من إرادة هذه الأشياء .

وإرادته أن يخلق ويرزق ويدير العالم، والناسوتية تمتنع من هذه الإرادة، فإذا قامت الإرادتان والكراهتان بمحلٍ واحد، لزم أن يكون ذلك الجوهر الموصوف بهذا وهذا مريداً للشيء ممتنعاً من إرادته غير مريد له كارهاً للشيء غير كاره له، وذلك جمع بين النقيضين من وجوه متعددة .

ويمتنع أن يقوم بالموصوف الواحد إرادتان جازمتان بالشيء ونقيضه أو كراهيتان جازمتان للشيء أو نقيضه، والفعل لا يقع إلا بإرادة جازمة مع القدرة .

فاللاهوت ما شاء كان وما لم يشأ لم يكن، ومتي شاء شيئاً مشيئة جازمة فإنه علي ما شاء قادر .

والناسوت لا يفعل شيئاً من خصائص البشرية حتى يريد ذلك إرادة جازمة .

والناسوت يمتنع أن يريد إرادة اللاهوت ويكره ذلك، فيصير الشيء الواحد مريداً للشيء إرادة جازمة، قادراً عليه ليس مريداً له إرادة جازمة بل هو عاجز عنه " [1] .

والثالث: أنه " إذا قلتم إنَّ الجوهرين باقيان، والأقنومين كذلك علي حالهم، فلا موقع للاتحاد وصار الاتحاد بلا ثمرة ولا فائدة " [2] .

والرابع: أنهم إن قالوا: إن حلوله فيه كحلول الشمس المخالفة للماء والطين، قلنا: إنه تمثيل باطل، فإن الشمس لم تحل بغيرها، ولا صارت مشيئتها ومشيئة غيرها واحدة، بل شعاعها حل بغيره، والشعاع حادث وكائن عنها، كما أن الشعاع الذي هو الضوء والنور الحاصل علي الماء والطين والهواء وغير ذلك هو عرض قائم بغيره، وليس هو متحداً به البتة " [3] .

---

(1) يراجع: الجواب الصحيح، لابن تيمية ٣/ ١٢٨ وما بعدها .

(2) يراجع: تخجيل من حرف التوراة والإنجيل ١/ ٤٨٨ .

(3) الجواب الصحيح، لابن تيمية ٣/ ١١٥، ١١٦ بتصرف .

السادة للفكر والثقافة
www.sadah.net

الخامس: " لا يمكن للإنسان أن يجاور الإله مجاورة مكانية، كما لا يتوهم ولا يمكن أن يكون الإله عرضاً يحمله جوهر الإنسان " [١] .

والسادس: أن الإله إذا جعل المسيح مسكناً ومحلاً له، ثمَّ فارقه عند ورود الصلب والقتل ... علي الناسوت أبطلوا إلهيته عند تلك الحالة، وقلنا لهم: " أليس قد أهين؟ وهذا القدر كاف في إثبات النقيصة إذ لم يأنف اللاهوت لمسكنه وبيته أن تنالهُ هذه العيوب والنقائص، وإن كان قدراً علي نفيها، فقد أساء مجاورته ورضي بنقيصته، وذلك عائد عليه بالنقص في ذاته، وإن لم يكن قادراً فذلك أبعد له عن الألوهية .

والسابع: شهادة أعظم رسلهم بولس بأن المسيح شخص واحد، وأنه غير الله الواحد . سبحانه . ففي رسالته الأولي إلي تيموثاوس ٢: ٦ قال : " يوجد إله واحد، ووسيط واحد بين الله والناس: يسوع المسيح "، ونصوصهم في هذا المعني كثيرة [*] .

ويُرد عليهم . وعلي اليعقوبية والملكية . بالنصوص الصريحة المثبتة لإنسانيته المحضة بلا حلول كلي أو جزئي، أقنومي أو غير أقنومي، صفاتي أو غير صفاتي .

وأخيراً فإنه يرد علي هذه الفرق الثلاث وغيرها بأن عقيدة تجسد الإله في المسيح عليه السلام أنكرها بعض علماء اللاهوت المسيحي وأقروا ببطلانها، ومن هؤلاء ميكائيل غولدر Michael Goulder محاضر اللاهوت بجامعة بيرمنغهام ببريطانيا، والأستاذ دون كوبيت Don Cuppitt عميد كلية عمانوئيل بجامعة كمبردج، والأستاذ " بروفسور " جون هك John Hick المحاضر في كلية كينغ بلندن، والأستاذ لسلي هولدن Lesle Houlden محاضر الأناجيل بجامعة لندن [٢] .

وأتى هؤلاء العلماء ببيان مؤداه أن المذهب القائل بكون عيسي عليه السلام تجسداً للرب ما هو إلا خرافة، وأنه من المجدي إدخال تعديل آخر علي النصرانية وهو نبذ هذا المذهب بهدف تقوية

---

(١) الفصل، لابن حزم ١/ ٧٣ .

(*) ستذكر في المبحث الثاني .

(٢) ينظر: مصنفهم: أسطورة تجسد الإله في السيد المسيح، مقدمة المعرب د/ نبيل صبحي، نشر دار القلم، الكويت، ط أولي، سنة ١٤٠٥هـ. ١٩٨٥م .

السادة للفكر والثقافة
www.sadah.net

العلاقة بين النصرانية والعقائد الأخرى [١]،وقالوا أيضاً: هذا يعني أن التصور المتأخر بالنسبة لعيسي عليه السلام من أنه متجسد أن الشخص الثاني في الثالوث المقدس يحيا حياة إنسانية،هذا التصور أسطورة خرافية أو وسيلة شعرية للتعبير عن أهميته لنا [٢] .

وبالجملة فإن عقيدة التجسد لا تثبت أمام صريح المعقول وصحيح المنقول، فالتجسد الإلهي في صورة البشر يجعل من الله الخالق .سبحانه .جوهراً محدوداً بجسد، وهذا يتنافي مع الحقيقة المؤكدة بأن الله جوهر غير محدود .

---

(١) ينظر السابق في طبيعته الإنجليزية لـ ج. هويكس، أسطورة الرب المتجسد The Myth Of God in Cornate نشر لأول مرة سنة ١٩٧٧م ط٥، ط SOCO M لندن ١٩٧٨م، مقدمة نقلاً عن مقدمة كتاب البحث عن الحقيقة، لمحمد عبد الحي، ص ٥، ط بنجلاديش، ط٢، سنة ١٩٩٣م .

(٢) مقدمة النص الإنجليزي للكتاب السابق The Myth Of God in Cornate نقلاً عن كتاب: دراسات في النصرانية، لأستاذي الأستاذ الدكتور / محمد إبراهيم الجيوشي، ص ٣١، ط دار الهدي، القاهرة، سنة ١٤٠٨هـ - ١٩٨٨م، والترجمة السابقة له، وانظر: مقدمة كتاب: البحث عن الحقيقة، لأحمد عبد الحي، ص ٥ .

السادة للفكر والثقافة
www.sadah.net

المطلب الثالث

توجيه كتاب الرد الجميل للأدلة الموهمة لإلهية عيسي عليه السلام

معتمد النصارى فيما اعتقدوه من إلهية المسيح وبنوته لله .تعالي .واتحاد اللاهوت بالناسوت، ولاهوت الروح القدس، ثم دعوى الفداء والصلب والدينونة ... إنما هو كله علي أناجيلهم ورسائلهم ونصوص من العهد القديم، وبعض آيات من القرآن الكريم، واليهود ينازعونهم في تأول ما اعتمدوا عليه وهم أحق بهذه الأسفار وأعلم بها، والمسلمون يجمعون علي مخالفتهم في تأويل هذه الآيات القرآنية، وينكرون اعتقادهم جملة وتفصيلاً .

إلا أنهم لم يكترثوا بهذا، فأخذوا يجمعون ما يخيل لهم صحة تدينهم من نصوص العهد القديم والجديد وآيات القرآن العظيم .التي لا يؤمنون بها !! .، بل ودلائل العقول وبراهين العلم الحديث في تصورهم، وذلك لأنهم اعتقدوا في المسيح عليه السلام ما اعتقدوا، ثمَّ شرعوا يضعون الأدلة التي توافق اعتقادهم، ومن اعتقد قبل أن يستدل لا يعوزه دليل ولا يعجزه برهان، إذ إنه سيقوم بلي النصوص والاعتداء عليها، فكيف بمن وضع الأدلة ابتداءً علي صحة إيمانه ؟

يقول كالتوف Kalthoff: إنَّ صورة المسيح بكل معالمها وملامحها أُعدت قبل أن يُكتب سطر واحد من الأناجيل، وإن هذه الصورة هي من إنتاج الفلسفة العقلية الميتافيزيقية،التي كانت ذات سيطرة،وكانت آراؤها شائعة وتكاد تكون عامة أو عالمية) [1]

و يزيد هذا المعني وضوحاً وجود شبه كبير بين ما زعمه الهنود في كرشنة، وما قاله النصارى في المسيح عليه السلام، وبين ما نحله البوذيون لبوذا وما ادعاهُ النصارى في المسيح عليه السلام [2] .

ومثل هذه الأدلة والبراهين لا قيمة لها في ميزان صريح المعقول وصحيح المنقول وموافقة الأصول لأنها لا تسلم من علة في أسانيدها ومتونها، وعند إمعان النظر وإدامة الفكر في سياق متونها وسباقها ولحاقها يتبين دون أدنى شك افتقادها لقطعية الدلالة ناهيك عن قطعية

---

(1) المسيحية، د/ أحمد شلبي، ص ١٥١، نشر مكتبة النهضة المصرية، ط١ سنة ١٩٩٢م .

(2) ينظر لتفصيل ذلك: مقارنات الأديان، الديانات القديمة، للشيخ/ محمد أبو زهرة، ص ٣٦ . ٣٧، ٤٨ . ٥٧، دار الفكر العربي سنة ١٩٧٤م، ويراجع: العقائد الوثنية في الديانة النصرانية.. أهم كتاب في هذا الشأن في رأيي .

السادة للفكر والثقافة
www.sadah.net

الثبوت .

يقول صاحب إظهار الحق: (إنَّ الإجمال يوجد كثيراً في الأقوال المنسوبة إلي المسيح عليه السلام بحيث لم يفهمها معاصروه ولا تلاميذه في كثير من الأحيان ما لم يفسرها بنفسه، وهذه الأقوال ما بينت ألوهيته إلي العروج ببيان لا يبقي فيه شبهة أو يفهم منه صراحة هذا المعني والأقوال التي يتمسك بها النصارى غالباً مجملة ومنقولة من إنجيل يوحنا وكلامه مملوء بالمجاز . قلَّما تجد فقرة لا تحتاج إلي تأويل .وهذه الأقوال المنقولة منه ومن غيره علي ثلاثة أقسام :

أ . بعضها لا تدل بحسب معانيها الحقيقية علي مقصودهم، فاستنباط الألوهية منها مجرد زعم، وهو لا يقف أمام البراهين العقلية والنقلية علي عدم ألوهيته .

ب .وبعضها أقوال يفهم تفسيرها من الأقوال المسيحية الأخرى أو من بعض مواضع الأناجيل ففيها أيضاً لا اعتبار لرأيهم .

جـ .وبعضها أقوال يجب تأويلها عندهم أيضاً، وإذا وجب التأويل فلابد أن يكون هذا التأويل بحيث لا يخالف البراهين والنصوص وأنى لهم ذلك؟) [1] .

بل وأكَّدت الأستاذة "فرنسيس يُونغ" المحاضرة في دراسة الأناجيل في جامعة بيرمنغهام: (أن أناجيل العهد الجديد وثائق ذات أهداف متعددة وآتية من خلفيات مختلفة يتوزع تاريخ تأليفها علي ثلاثة أرباع قرن تقريباً، وهي مكتوبة بديباجة أدبية مختلفة في اللغة والأسلوب .

وأضافت أن الأناجيل لا توفر معلومات مباشرة من الوحي عن ألوهية المسيح) [2]

وقد جمع المؤلف (حجة الإسلام) في كتابه "الرد الجميل" أهم النصوص الدالة علي التجوز في إطلاقه عليه السلام ما يوهم الإلهية، والنصوص الدالة علي التجوز في مسألة اتحاد اللاهوت بالناسوت .. وما استدلوا به علي ذلك من الخوارق التي ظهرت علي يديه والألقاب التي أطلقت عليها .

---

(١) إظهار الحق، لرحمت الله الهندي، ج٣ ص ٧٥١ بتصرف .

(٢) أسطورة تجسد الإله في المسيح، تصنيف دون كوبيت ورفاقه، ص ١٠، ٤١ بتصرف، نشر دار القلم، الكويت، ط أولي، سنة ١٤٠٥هـ. ١٩٨٥م .

السادة للفكر والثقافة
www.sadah.net

أولاً: توجيه كتاب الرد الجميل للنصوص الموهمة لإلهية عيسي عليه السلام :

شرع حجة الإسلام في بداية لب كتابه في ذكر النصوص الدالة علي التجوز في إطلاقه عليه السلام ما يوهم الإلهية علي نفسه فذكر تسعة نصوص ثمانية من العهد الجديد وتاسع استندوا إليه من آيات القرآن الكريم .

النص الأول :

أولها: استدلوا علي اتحاد اللاهوت بالناسوت بما، ورد في إنجيل يوحنا ١٠: ٣٠. ٣٩: (أنا والآب واحد، فتناول اليهود أيضاً حجارة ليرجموه، أجابهم يسوع أعمالاً كثيرة أريتكم من عند أبي، بسبب أي عمل منها ترجمونني؟ أجابه اليهود قائلين: لسنا نرجمك لأجل عمل حسن بل لأجل تجديف [١]، فإنك وأنت إنسان تجعل نفسك إلهاً، أجابهم يسوع: أليس مكتوباً في ناموسكم: أنا قلت: إنكم آلهة، إن قال آلهة لأولئك الذين صارت إليهم كلمة الله، ولا يمكن أن ينقض المكتوب، فالذي قدسه الآب، وأرسله إلي العالم أتقولون به، إنك تجدف لأني قلت إني ابن الله، إن كنت لست أعمل أعمال أبي فلا تؤمنوا بي فآمنوا بالأعمال لكي تعرفوا، وتؤمنوا أن الأب فيَّ وأنا فيه) .

يجيب حجة الإسلام علي هذا (في النص الأول) قائلاً: هذا النص بالغ في تحصيل غرضنا الذي نحاوله في مسألة الاتحاد [*]،وبيانه أن اليهود لما أنكروا عليه قوله: (أنا والآب واحد)، وهذه هي مسألة الاتحاد نفسها، ظانين بأنه أراد بقوله (أنا والأب واحد) مفهومه الظاهر، فيكون إلهاً حقيقة انفصل عليه السلام عن إنكارهم مصرحاً بأن ذلك من قبيل المجاز، ثمَّ أبان لهم جهة التجوز بضربه لهم المثل فقال: قد أطلق عليكم في ناموسكم أنكم آلهة، ولستم آلهة حقيقة، وإنما أطلق عليكم هذا اللفظ لمعنى، وهو صيرورة الكلمة إليكم وأنها شاركتكم في ذلك !! .

وقد ورد مثل ذلك في شريعتنا، فقال سيد المرسلين ﷺ حاكياً عن الحق جل اسمه: (ولن يتقرب إليَّ المتقربون بأفضل من أداء ما افترضت عليهم، ثمَّ لا يزال عبدي يتقرب إليَّ بالنوافل حتى أحبه، فإذا أحببته كنت سمعه الذي يسمع به، وبصره الذي يبصر به، ولسانه الذي ينطق

---

(١) التجديف: رفض نعمة الله وتوجيه الإهانة إليه، يراجع ملحق العهد الجديد، ص ٥ .

(*) ينظر: ألوهية المسيح، عمل كنيسة مار مرقس، ص ٩٣، والثالوث، للدكتور الأنبا يوحنا قتله، ص ٨٥ .

السادة للفكر والثقافة
www.sadah.net

به، ويده التي يبطش بها) [1] .

ومحال أن يكون الخالق حالاً في كل جارحة من هذه الجوارح، أو يكون عبارة عنها !!، ولكن لما بذل العبد جهده في طاعة الله كان له من الله قدرة ومعونة بهما يقدر علي النطق باللسان والبطش باليد إلي غير ذلك من الأعمال المقربة، ولذلك يقول من أقدر شخصاً علي أن يضرب بالسيف، ولولاه لما قدر علي ذلك: أنا يدك التي ضربت بها .

فهذا ضرب من المجاز استعماله حسن جائز غير منكور، وقد صرح عيسي عليه السلام في هذا النص بجهة المجاز بقوله: لأن الكلمة صارت إليهم، ومحال أن يريد بالكلمة لفظاً ذا حروف، وإنما يريد بالكلمة سراً منه يهبه لمن يشاء من عباده يحصل لهم به التوفيق إلي ما يصيرهم غير مباينين لله عز وجل ،بل يصيرهم لا يحبون إلا ما يحبه، ولا يكرهون إلا ما يكرهه ... فإذا أصارهم التوفيق إلي هذه الحالة حصل لهم المعني المصحح للتجوز .

ويدل علي صحة هذا التأويل الصارف إلي المجاز المذكور أنه عليه السلام احترز عن إرادة ظاهر هذا النص الدال علي الاتحاد بقوله: (فيكم . بالحرى . الذي قدَّسه وأرسله) فصرح بأنه رسول متبرئاً عن الإلهية التي تخيل اليهود أنه ادعاها مثبتاً لنفسه خصوصية الأنبياء وعلو درجاتهم علي غيرهم ممن ليسوا أنبياء بقوله: (فيكم . بالحرى . الذي قدَّسه وأرسله)، أي قد شاركتكم في السبب المصحح للتجوز، وفضلتكم بمراتب النبوة والرسالة !! .

ولو لم يكن ما ضربه لهم من التمثيل جواباً قاطعاً لما تخيلوه من إرادة ظاهر اللفظ لكان ذلك مغالطة منه وغشاً في المعتقدات المفضي الجهل بها إلي سخط الإله، وهذا لا يليق بالأنبياء المرسلين الهادين إلي الحق، لأن تأخير البيان عن وقت الحاجة غير جائز للأنبياء .

---

(1) ساقه الإمام الغزالي بالمعني ونصه(من عادى لي ولياً فقد آذنته بالحرب وما تقرب إليَّ عبدي بشيء أحب إليَّ مما افترضته عليه وما يزال عبدي يتقرب إليَّ بالنوافل حتى أحبه، فإذا أحببته كنت سمعه الذي يسمع به، وبصره الذي يبصر به، ويده التي يبطش بها، ورجله التي يمشى بها، ولئن سألني لأعطينه، ولئن استعاذ بي لأعيذنه وما ترددت عن شيء أنا فاعله ترددي عن نفس المؤمن يكره الموت وأنا أكره مساءته) أخرجه البخاري، كتاب: الرقاق، باب: التواضع، رقم ٦٥٠٢، ج ٤ ص ٢٢٣، نشر دار الفجر للتراث، القاهرة، ط أولي، سنة ١٤٢٦هـ. ٢٠٠٥م .

السادة للفكر والثقافة
www.sadah.net

كيف وفي كتبهم أنه أرسل لخلاص العالم [١] مبيناً ما يجب لله وما يستحيل عليه، وإنما يكون مخلصاً للعالم إذا بين لهم الإله المعبود، فإن كان هو الإله الذي يجب أن يُعْبد، وقد صرفهم عن اعتقاد ذلك بضربه لهم المثل، فيكون قد أمرهم بعبادة غيره، فصرفهم عن عبادته، والتقدير أنه هو الإله الذي يجب أن يعبد، وذلك غش وضلالة، لا يليق بمن يُدعي فيه أنه أتي لخلاص العالم، بل لا يليق بمن انتصب للإرشاد والهداية من آحاد الأمم، فضلاً عم صُرح بأنه رسول، هاد مرشد .

فإن قيل: إنما ضرب لهم المثل مغالطة، ليدفع عن نفسه ما يحذره من شرهم، قلنا: الخوف من اليهود لا يليق بمن يُدَّعي فيه إله العالم وموجد الكائنات ...) [٢] أ.هـ .

كما أن هذا النص الذي استدلوا به من إنجيل يوحنا ٢٠: ٣٠ يوضحه ما سبقه من أعداد ذُكرت قبل هذا النص، فقد ورد قبل قوله (أنا والأب واحد) فقرات تبين علة قوله ذلك، ففي يوحنا ١٠: ٢٧ . ٢٩ أن المسيح خاطب اليهود قائلاً: خرافي تسمع صوتي، وأنا أعرفها فتتبعني، وأنا أعطيها حياة أبدية، ولن تهلك إلي الأبد، ولا يخطفها أحد من يدي، أبي الذي أعطاني إياها هو أعظم من الكل، ولا يقدر أحد أن يخطف من يدي أبين أنا والأب واحد .

فهذا النص يصرح بمعية التأييد والنصر بين الله . تعالي . والمسيح عليه السلام التي بها ينتصر . هو وأتباعه . علي أعدائه .

" فقوله (أنا والأب واحد) يقصد به في إرادة الخير والهداية لهؤلاء الخراف . الأتباع ، وفي عدم مقدرة المضلين أن يخطفوها لا من يد الله ولا من يد المسيح، حيث إنَ المسيح عليه السلام قوي بربه عز وجل، وهذا هو المعني الذي يرمي إليه المسيح في كلامه المذكور، لأنه نفي :

---

(١) عقيدة الخلاص أم العقائد النصرانية، ومعناها عندهم خروج الابن (الكلمة) من الآب ليكون كفارة وفداء لخلاص البشرية من خطيئة أبيها آدم، ووسيلة الخلاص: الصلب، والخلاص علة التجسد الإلهي ...

والتصانيف في هذه العقيدة كثيرة جداً، منها: الخلاص في المفهوم الأرثوذكسي، للأنبا شنودة الثالث، نشر الكلية الإكليرية بالقاهرة، سنة ١٩٦٧م، وتدبير الخلاص، للقس أنجليوس جرجس، نشر سيليكون بريس، القاهرة، سنة ١٩٩٦م، والخلاص من الألف إلي الياء، لجيمس جراى، تعريب: د/ مراد عزيز، نشر لجنة خلاص النفوس للنشر، القاهرة، ط٢، سنة ١٩٨٣م .

(٢) الرد الجميل (أ) ص ٩ . ١١، (ب) ص ١١٨ . ١٢١، (جـ) ص ١٠١ . ١٠٤، وانظر: الفارق، ص ٣٧٥ .

السادة للفكر والثقافة
www.sadah.net

١ . خطف الخراف من يده .

٢ . ثمَّ نفاه من يد الله .

٣ . ثمَّ سوي بينه وبين الله .

عُلم أن هذه التسوية هي في موضوع عدم خطف الخراف، لأن هذا الوجه هو المذكور في الكلام، فلا يجوز لأي شخص أن يعدل عنه إلي القول بأن هذه التسوية هي في الجوهر والمجد والمقام، لأنه ليس شيء من هذه الأشياء الأخيرة مذكورة في الكلام، حتى يكون هناك موضع للتسوية بين المسيح وبين الله تعالي " [١] .

فثبت بذلك أن النص الأول لا يبرهن علي إلهية عيسي عليه السلام .

النص الثاني :

ثانيها: عضدوا قولهم بالاتحاد بما جاء في يوحنا منسوباً إلي عيسي [٢] عليه السلام (أيها الآب القدوس احفظهم باسمك الذي أعطيتني، ليكونوا معك واحداً كما نحن) [٣] .

يبين حجة الإسلام المجاز في هذا النص فيقول . في النص الثاني . بيانه أنه عليه السلام دعا الله عز وجل لتلامذته، أن يكون حافظاً لهم باسمه، حفظاً مثل حفظه له، ليصل لهم بذلك الحفظ وَحْدَةٌ بالله، ثمَّ أتي بحرف التشبيه،فقال: كما نحن، أي تكون تلك الوحدة كوحدتي معك، فإن تكن وحدته مع الإله موجبة له استحقاق الإلهة، فيلزم أن يكون داعياً لتلامذته أن يكونوا آلهة ... وجواب هذا : أنه محمول علي المجاز المذكور وهو أنه عليه السلام سأله الله أن يفيض عليهم من آلائه وعنايته وتوفيقه إلي ما يرشدهم إلي مراده اللائق بجلاله بحيث لا يريدون إلا ما يريده، ولا يحبون إلا ما يحبه، ولا يبغضون إلا ما يبغضه، ولا يكرهون إلا ما يكرهه، ولا يأتون من الأقوال

---

(١) ينظر: النصرانية في الميزان، للمستشار/ محمد عزت الطهطاوى، نشر دار القلم، دمشق، ط أولي، سنة ١٤١٦هـ. ١٩٩٥م .

(٢) حوار حول الثالثوث، ص ٤١ .

(٣) نصه في إنجيل يوحنا ١٧: ١١ (ط بروتستانت): أيها الأب القدوس في اسمك الذين (هكذا في ط البروتستانت) (أعطيتني ليكونوا واحداً كما نحن) وانظر: العهد الجديد، ط دار الكتاب المقدس، ص ١٤٨: بينما جاء نصه في ط الكاثوليك (أيها الأب القدوس احفظهم باسمك الذي أعيتني، حتى يكونوا واحداً مثلما أنا وأنت واحد) .

السادة للفكر والثقافة
www.sadah.net

والأعمال إلا ما هو راض به، مؤثر لوقوعه، فإذا حصلت لهم هذه الحالة حسن التجوز .

ويدل علي صحة ذلك: أن إنساناً لو كان له صديق موافق غرضه ومراده بحيث يكون محباً لما أحبه، مُبغضاً لما يبغضه، كارهاً لما يكرهه حَسُن أن يقول: أنا وصديقي واحد .

وقد بين عليه السلام أيضاً في النص أن وحدته منه مجاز، وأنه ليس إلهاً حقيقة بقوله، ليكونوا معك واحداً كما نحن يريد إذا حصل لهم منك توفيق صيرهم لا يريدون إلا ما تريده كانت وحدتهم معك كوحدتي معك، إذ هذه حالتي معك، لأنني لا أريد إلا ما تريده، ولا أحب إلا ما تحبه .

وبقوله أيضاً: أيها القدوس احفظهم باسمك ... داعياً لهم الإله الذي بيده النفع والضر، ولو كان نفسه إلهاً لكان قادراً على حفظهم من غير أن يتضرع لغيره ويسأله الحفظ، فأعجب لهذه الإشارات التي نبَّ بها علي إرادة المجاز وصرف الكلام عن مظاهره .

وقد صرح بولس في رسالته التي سيرها إلي قورنتيه بمثل ذلك لما فهم المراد من هذه النصوص فقال: (فمن اعتصم بربنا فإنه يكون معه روحاً واحداً) [1] أ.هـ .

وهذا التصريح منه يدل علي أنه فهم عين ما فهمناه، وفهم أن هذه النصوص ليست ظواهرها مرادة .

والناظر في النص السابق أيضاً (ليكونوا واحداً كما نحن) يجدها في إنجيل يوحنا قد ذكرت في الإصحاح السابع عشر عدد (١١)، والنص الأول أو السابق لهذا النص (الثاني) وهو قوله (أنا والأب واحد) ذكر في إنجيل يوحنا الإصحاح العاشر عدد (٣٠) والنص المتأخر يفسر ويشرح النص المتقدم، أي أنا لا أريد إلا ما تريده، ولا أعمل إلا بها فيه طاعتك وهم لا يريدون إلا ما تريد، ولا يعملون إلا بما فيه طاعتك .

وهذا يبين لنا العلة في جعل المؤلف .رحمه الله . العدد الثلاثين من الإصحاح العاشر في النص الأول، والعدد الحادي عشر من الإصحاح السابع عشر في النص الثاني، وسيتضح أكثر عندما نجد أن النص الثالث في الإصحاح السابع عشر عدده ثلاثة وعشرون .

---

(١) الرد الجميل (أ) ص ١٢، ١٣ (ب) ص ١٢٢ . ١٢٤ (جـ) ص ١٠٥، ١٠٦ .

السادة للفكر والثقافة
www.sadah.net

ثمَّ إنه يؤكد أن المقصود بالوحدة في هذه الأعداد الوحدة المعنوية لا الجسدية ما جاء في إنجيل يوحنا (١١: ٥٢، ٥٣) " تنبأ أن يسوع مزمع أن يموت عن الأمة، وليس عن الأمة فقط، بل ليجمع أبناء الله المتفرقين إلي واحد " .

فهذا الاتحاد لا يعني الاتحاد في الجوهر والمساواة في الأقانيم وإنما معناه الوحدة في إقامة شرع الله .تعالي .، وإلا لكان معناه اتحاد أبناء الله أجمعين في ذات الله، وحلولهم فيه وهذا ما لا يقوله أحد منهم .

وقد جاء في رسالة بولس الأولي إلي أهل كورنثوس [١] (٦: ١٥ . ١٧) ألستم تعلمون أن أجسادكم هي أعضاء المسيح، أفأخذ أعضاء المسيح وأجعلها أعضاء زانية؟ حاشا! أم لستم تعلمون أن من التصق بزانية هو جسد واحد، لأنه " يقول: يكون الاثنان جسداً واحداً، وأن من التصق بالروح فهو روح واحد " فإن التزموا ذلك فالله حال في التلاميذ وغيرهم وهم حالون فيه .

ومثل هذا ما جاء علي لسان بولس في رسالته إلي أهل غَلاطِيَّة [٢] (٣: ٢٨) " ليس يهودي ولا يوناني، ليس عبد ولا حر، ليس ذكر ولا أنثي، لأنكم جميعاً واحد في المسيح يسوع " .

ونحوه ما ورد علي لسان بولس في رسالته إلي أهل رومية (١٢: ٥): " هكذا نحن الكثيرين جسد واحد في المسيح " .

فلا يقول كائن إنَّ مراده بذلك التجسد الحقيقي والحلول الذاتي في جوهر المسيح عليه السلام، وإنما مراده الوحدة الدينية والفكرية .

ويفسر هذا بجلاء ما جاء في رسالة يوحنا الأولي (٤: ١٥، ١٦) : من اعترف أن يسوع هو ابن الله، فالله يثبت فيه وهو في الله، ونحن قد عرفنا وصدقنا المحبة التي لله فينا، الله محبة، ومن يثبت في المحبة ثبت في الله، والله فيه " .

فيوحنا نفسه الذي ورد في إنجيله ما يوهم تجسد الكلمة أوضح معني الاتحاد وضوحاً لا خفاء فيه فصرح بأن المقصود بالثبات في الله أو الحلول فيه التوفيق لطاعته والتلذذ بمناجاته،

---

(١) كورنثوس: عاصمة ولاية أخائية، وتبعد نحو ٦٠ كم غربي أثينا باليونان، العهد الجديد بالخلفيات، ص ٥٤ (الملحق) .

(٢) غلاطية: ولاية في الوسط الجنوبي لآسيا الصغرى (تركيا حالياً)، السابق، ص ٥٣) الملحق) .

السادة للفكر والثقافة
www.sadah.net

فلا نحب إلا ما يحبه ولا نكره إلا ما يكرهه ..

النص الثالث :

ثالثها:نصَّ عليه يوحنا المذكور في إنجيله في الفصل السابع والثلاثين .أيضاً ." قدسهم بحقكم فإنَّ كلمتك الخاصة هي الحق، كما أرسلتني إلي العالم، ولأجلهم أقدس ذاتي، ليكونوا هم مقدسين بالحق، وليس أسأل في هؤلاء فقط، بل وفي الذين يؤمنون بي، ليكونوا . بأجمعهم . واحداً، كما أنك يا أبة: حال فيَّ وأنا فيك، ليكونوا أيضاً فينا واحداً، ليؤمن العالم أنك أرسلتني، وأنا أعطيتهم المجد الذي أعطيتني، ليكونوا واحداً كما نحن واحد " [١] [٢] .

يقول حجة الإسلام: هذا النص واضح جداً مؤكداً لما قلناه، وبيانه : أنه عليه السلام كشف غطاء الشبهة مبيناً جهة المجاز بقوله: وأنا قد أعطيتهم المجد، الذي أعطيتني ليكونوا واحداً، أي: إن ذلك المجد ينظم شملهم، فتقع أفعالهم جُمَع، متظافرة علي طاعتك، ومَحِبَّة ما تحبه، وبغض ما تُبغض، وإرادة ما تريده، فيصيرون كرجل واحد، لعدم تباين آرائهم وأعمالهم ومعتقداتهم، كما نحن واحد، أي كما أنا معك، لأن مجدك الذي أعطيتني جعلني لا أحب إلا ما تحبه .... وإذا ثبت أن هذه حالته مع الإله دل علي أن من أطاعه، فقد أطاع الإله .جل اسمه ،. ومن أطاع الإله فقد أطاعه، وهذا شأن الأنبياء والمرسلين .

ثمَّ بالغ في إيضاح جهة المجاز بقوله: كما أنك يا أبة حال فيَّ، وأنا فيك ليكونوا أيضاً فينا واحداً، يريد: أن أقوالهم وأعمالهم إذا تظافرت، واقعة علي وفق مرادك، ومرادك هو مرادي، كنا جميعاً كذات واحدة، لعدم تباين الإرادتان، ثمَّ إنه عليه السلام لم يقتنع بذلك حذراً من تعلق الخيال الضعيف بظواهر هذه النصوص، فصرح بأنه رسول فقال: ليؤمن العالم أنك أرسلتني .. ثمَّ بالغ

---

(١) نصه في الترجمة الحديثة (بروتستانت) كما في يوحنا ١٧: ١٧ . ٢٣ قدسهم في حقكم، كلامك هو حق، كما أرسلتني إلي العالم أرسلتهم أنا إلي العالم، ولأجلهم أقدِّس أنا ذاتي، ليكونوا هم أيضاً مقدَّسين في الحق، ولست أسأل من أجل هؤلاء فقط، بل أيضاً من أجل الذين يؤمنون بي بكلامهم، ليكون الجميع واحداً، كما أنك أنت أيها الأب فيَّ وأنا فيك، ليكونوا هم أيضاً واحداً فينا، ليؤمن العالم أنك أرسلتني، وأنا قد أعطيتهم المجد الذي أعطيتني، ليكونوا واحداً كما أننا نحن واحد، وأنا فيهم وأنت فيَّ ليكونوا مُكمَّلين إلي واحد، وليعلم العالم أنك أرسلتني، وأحببتهم كما أحببتني" وقارن بطبعة الكاثوليك .

(٢) ينظر: حول الثالوث، للقديس كيرلس الكبير، ص ٤١، ٤٣ .

السلفية للفكر والثقافة
www.sadah.net

في البيان فقال: وليس أسأل في هؤلاء فقط، بل وفي الذين يؤمنون بي، ليكونوا بأجمعهم واحداً ، كما نحن واحد، يريد أن وحدته معه ليست مقتضية لألهيته، وإلا لزم أن تكون وحدتهم مع الإله الذي سأله أن يكونوا معه واحداً كذلك .

فانظر كم من حسن اشتمل عليه هذا النص: من صرائح قد صُرِّح بإرادة حقائقها، وظواهر قد صُرح بعدم إرادة ظواهرها ...

وقد صرح في إنجيل يوحنا أيضاً في الفصل الخامس والعشرين بما يدل علي أن هذا التأويل الذي ذُكر هو المراد، فقال: من يؤمن بي، فليس يؤمن بي فقط، بل وبالذي أرسلني، ومن رآني فقد رأي الذي أرسلني " [1]، لما جعل طاعته نفس طاعة الإله لزم أن يكون مخبراً عن الإله، فقال: " ومن رآني فقد رأي الذي أرسلني " أي: أنا أخبر عنه حقيقة فأمري أمره، ونهيي، نهيه، وجميع أحكامي عنه صادرة، وهذا شأن الأنبياء والمرسلين [*] .

ومن أوضح ما يستدل به على أن حقائق هذه النصوص ليست مرادة أن يوحنا ... المنقولة هذه النصوص من إنجيله .. لما فهم هذه المعاني المذكورة، وعلم أن هذه النصوص مصروفه عن حقائقها إلي المجاز المذكور، قال في رسالته الأولي المذكورة في كتاب الرسائل: الله لم يره أحد قط، فإن أحب بعضنا بعضاً، فالله حال فينا، ومحبته كاملة فينا، وبهذا نعلم: أنَّا حَالون فيه، وهو . أيضاً . حال فينا، لأنه قد أعطانا من روحه، ونحن رأينا وشهد أن الأب أرسل ابنه لخلاص العالم"، وذكر فيها أيضاً: " من يعترف أن يسوع هو ابن الله، فالله حال فيه وهو أيضاً حال في الله " [2].

([1]) نصه (بروتستانت) في يوحنا ١٢: ٤٤، ٤٥ " فنادي يسوع وقال: الذي يؤمن بي ليس يؤمن بي، بل بالذي أرسلني، والذي يراني يري الذي أرسلني " .

[*] في أصل الكتاب: الأنبياء الصادقين فغيرتها مستأنسا بنصوص سابقة .

([2]) نصه (بروتستانت) في يوحنا الأولي ٤: ١٢ ـ ١٧ " الله لم ينظره أحد قط، إن أحب بعضنا بعضاً فالله يثبت فينا، ومحبته قد تكملت فينا، بهذا نعرف أننا نثبت فيه وهو فينا قد أعطانا من روحه، ونحن قد نظرنا ونشهد أن الأب قد أرسل الابن مخلاً للعالم، من اعترف أن يسوع هو ابن الله، فالله يثبت فيه وهو في الله، ونحن قد عرفنا وصدقنا المحبة التي لله فينا، الله محبة، ومن يثبت في المحبة يثبت في الله والله فيه " .

السادة للفكر والثقافة
www.sadah.net

أطلق هذا التلميذ الجليل . عندهم . هذه الكلمات مصرحاً فيها بالحلول، بقوله: وبهذا نعلم أنَّا حالون فيه وهو أيضاً حال فينا .

فإن يكن هذا التلميذ الجليل . عندهم . فهم أن الحلول الذي أطلقه عيسي عليه السلام في النصوص المذكورة مقتضى للإلهية، فيكون مثبتاً لنفسه ولغيره الإلهية بقوله: وبهذا نعلم أنا حالون فيه، وهو أيضاً حال فينا، وهم لا يعتقدون فيه ذلك، ولا في أحد من سائر تلامذة عيسي عليه السلام (*) وأتباعه، فتعين أنه فهم من النصوص ما أشرنا إليه من المجاز السالف ذكره .

ويدل علي ذلك أنه أومأ إلي جهة المجاز بقوله: " لأنه قد أعطانا من روحه "، يريد: أنه أفاض علينا سراً وعناية، علمنا بهما ما يليق بجلاله، ثمَّ وفقنا إلي العمل بمقتضاه، فلا نريد إلا ما يريده، ولا نحب إلا ما يحبه، فحينئذ تعود الحالة جَذعَه في إرادة المجاز المذكور .

لكن بقي في النص الثالث (يوحنا ١٧: ١٧ . ٢٣) دقائق من المباحث، لا تستخرج إلا بفكرة، وقَّادة، وهو أنه عليه السلام قال: وقد أعطيتهم المجد الذي أعطيتني، وظاهر هذا اللفظ يدل علي العموم، لأنه عليه السلام أومأ إلي المجد، وبيانه: أن القائل إذا قال: أعطيت فلاناً الدراهم التي أعطيتني، أو الهدية التي أرسلت إليَّ، كان ظاهراً في العموم .

لكنا إذا أنصفنا علمنا أن الحقيقة ليست مرادة، لأن من جملة المجد الذي أعطيتني النبوة والرسالة وما يترتب عليهما من الدرجات العلا والصعود إلي السماء، وإقداره علي الإتيان بخوارق المعجزات، فهذه حقائق ليست مرادة بالإعطاء، فلابد من حمل اللفظ بعد ذلك علي معني، وإلا لزم تعطيله، فلم يبق إلا أن يراد بالإعطاء: إعلامهم بما يليق بجلال الله وجل، ثمَّ سأل لهم التوفيق إلي العمل بمقتضاه من الإله القادر علي ذلك، فقال: قدِّسهم بحقك، أي: أنا قد أعلمتهم بما يليق بجلالك، وهذه وظيفة الأنبياء والمرسلين، فأرشدهم أنت ووفقهم إلي العمل بمقتضاه، فإن هذه درجة الإله القادر علي خلق الأعمال !! .

فإن قيل: لمَ لا يجوز أن يكون من جملة المجد الذي أعطي له الاتحاد الذي استحق به أن يكون به إلهاً ؟!، وقد دلَّ الدليل علي عدم إرادته، وأنه ليس معطي، فيكون غير مراد، وإن كان

(*) تلامذته الاثنى عشر .

السادة للفكر والثقافة
www.sadah.net

مندرجاً تحت لفظ العموم، قلنا: هيهات !! ها هنا تسكت العبرات !! .

وهل الإلهية يمكن إعطاؤها ..

هذا مما أجمع العقلاء علي استحالته، وهل هذا إلا مصادرة علي المطلوب من غير إثبات بثابت يُعوَّل عليه إلا ظواهر،وقد حللناها من أيديهم،وأوَّلها صاحب شرعهم [*] معتذراً عن إطلاقها، ومحترزاً عن إرادة حقائقها .

ومثل هذه المعضلة [*] لا تثبت بمجرد الاحتمال ما لم تُبرهن بالبراهين اليقينية، لا سيما في شخص وضحت إنسانيته، ثابتة لوازمها وملزوماتها وذاتيتها من الحيوانية، والنطق، والإعياء، والجوع، والعطش، والنوم .... " [١] أ . هـ .

ووضحت نبوته ورسالته ثابتة لوازمها وملزوماتها وذاتيتها من دعوى النبوة والرسالة ووجود المعجزات المثبتة لصدق الرسول، والقيام بالدعوة إلي عبادة الله ونبذ ما يعبد من دونه، وشكر الله وتمجيده والتذلل إليه .

ثمَّ إنَّ هذا النص الثالث الذي أورده يوحنا في إنجيله (١٧: ١٧ . ٢٣) ذكر بعده مباشرة (١٧: ٢٤ . ٢٦) ما يفسره وهو قوله : (أيها الآب) أريد أن هؤلاء الذين أعطيتني يكونون معي حيث أكون أنا، لينظروا مجدي الذي أعطيتني، لأنك أحببتني قبل إنشاء العالم، أيها الأب البار إن العالم يعرفك، وهؤلاء عرفوا أنك أرسلتني، وعرفتهم اسمك وسأعرفهم، ليكون فيهم الحب الذي أحببتني فيه وأكون أنا فيهم " .

فأشار بهذا النص إلي أن المقصود بالاتحاد المحبة والرضا والطاعة واتفاق الإرادتين، وإلا لكان عيسي عليه السلام موجود بذاته في سائر أتباه حالاً وثابتاً ومتحداً، وهذا ما لا يقوله أحد، وبمثل هذا يعلم توجيه ما جاء في يوحنا ١٤: ٢٠ (في ذلك اليوم تعلمون أني أنا في أبي، وأنتم فيَّ، وأنا فيكم) .

ثم أتبع هذا التفسير بتفسير آخر بما أورده من نصوص كثيرة في رسالته الأولي مؤكداً المعني

(*) أي عيسي عليه السلام .

(*) أي قولهم بإلهية عيسي عليه السلام .

(١) الرد الجميل (أ) ص ١٣ . ١٨ (ب) ص ١٢٤ . ١٣٢ (جـ) ص ١٠٦ . ١١٣ .

السادة للفكر والثقافة
www.sadah.net

السابق ففيها (٢: ٤، ٥) من قوله في الله .تعالي ." من قال قد عرفته، وهو لا يحفظ وصاياه، فهو كاذب وليس الحق فيه، وأما من حفظ كلمته فحقاً في هذا اكتملت محبة الله، بهذا نعرف أننا فيه " أي أننا في الله بالمحبة، وقوله أيضاً في الرسالة نفسها (٢: ٢٤): إن ثبت فيكم ما سمعتموه من البدء فأنتم أيضاً تثبتون في الابن وفي الأب .

المعضلة الأولي (معضلة الكلمة) :

رابعها: ومن أهم ما استندوا إليه إثبات إلهية عيسي عليه السلام أنه الكلمة المتجسد [١] اللوغوس أو اللوجوس Logos .

يقول حجة الإسلام: هي من أعظم معضلاتهم التي يعوّلون عليها مثبتين بها إلهية عيسي عليه السلام، جعلها يوحنا فاتحة إنجيله وهي: في البدء كان الكلمة، والكلمة كان عند الله، وإله هو الكلمة، كان هذا قديماً عند الله، كل به كان، وبغيره لم يكن شيء مما كان ... إلي آخره وهو قوله: والكلمة صار جسداً، وحل فينا ورأينا مجده " [٢] .

أما أول هذا الفصل فلا تعلق له بثبوت الإلهية لعيسي عليه السلام بوجه لأنهم يعتقدون أن ذات الباري واحدة في الموضوع موصوفة بالأقانيم الثلاثة:الأب (الوجود)، الابن (الكلمة)، الروح القدس (كون ذات الباري معقولة له) .... أو بتعبير آخر .عندهم .أن العقل عبارة عن ذات الإله فقط والأب مرادف له، والعاقل عبارة عن ذاته بقيد كونها عاقلة لذاتها، والابن والكلمة مرادفين له، والمعقولية عبارة عن الإله الذي ذاته معقولة له، وروح القدس مرادف له، فقد ثبت بهذين الاصطلاحين أن الكلمة عبارة عن الذات الموصوفة بالعلم والعقل، وكذلك الابن، فإذاً كل منهما أقنومٌ مدلوله: العالم أو العاقل .

---

(١) ينظر: حوار حول الثالوث، للقديس كيرلس، ص ٣١، ٤١، الثالوث، للأنبا يوحنا قلته، ص ٢٧، وألوهية المسيح، إعداد كنيسة القديس مارمرقس، ص ١١، ١٢، وتجسد الكلمة، للقديس اثناسيوس، ص ٣٥ .

(٢) نص الطبعة الحديثة (بروتستانت) (في البدء كان الكلمة) والكلمة كان عند الله، وكان الكلمة لله، هذا كان في البدء عند الله، كل شيء به كان، ولم يكن شيء مما كان، فيه كانت الحياة، والحياة كانت نور الناس .... والكلمة صار جسداً وحل بيننا، ورأينا مجده) يوحنا ١: ١ . ١٤، وقارن بطبعة الكاثوليك، ص ١٥١،وقوله . هنا . بيننا يبدل فينا التي ذكرها حجة الإسلام يؤكد كلامه أكثر ويصحح تأويله .

السادة للفكر والثقافة
www.sadah.net

فقوله في البدء كان الكلمة، يريد في البدء كان العالِم [*]، وقوله: والكلمة كان عند الله معناه: والعالِم لم يزل موصوفاً به الإله، يريد: إن هذا الوصف لم يزل ثابتاً للإله، وكان ها هنا بمعني لم يزل .

وقوله: وإله هو الكلمة معناه: وهذه الكلمة التي مدلولها العالِم ذلك العالِم هو الإله .

وقوله: كان هذا قديماً عند الله معناه: لم يزل مدلول هذا الاعتبار، وهو العالم الذي هو مدلول الكلمة موصوفاً به الإله، وهو إله، لأنه أخبر عنه بذلك بقوله: وإله هو الكلمة، ليقطع بذلك وَهْم من يعتقد أن العالم الذي هو مدلول الكلمة غير الإله [١] . أ .هـ

وقوله (في البدء كان الكلمة، والكلمة كان عند الله، وإله هو الكلمة) يصح حمله علي تقدير مضاف فيكون معني قوله (وكان الكلمة الله): وكان رب الكلمة الله، وقوله: والكلمة صار جسداً: وأثر الكلمة صار جسداً، وإذا ترجمت اللوغوس بكلمة مرادفة أخرى كالأمر، فإننا سنجد شواهد العهدين الجديد والقديم تؤيد هذا المعني علي سبيل المثال لا الحصر " العالمين أتقنت بكلمة الله " (عبرانيين ١١: ٢) " والأرض بكلمة الله قائمة من الماء وبالماء " (بطرس الثانية ٣: ٥)، (بكلمة الرب صنعت السماوات " (مزمور ٣٣: ٦، وقال " الله ليكن نور فكان نور " (تكوين ١: ٣) [٢] كما أن النص مضطرب من جهة لفظه ومعناه، أما اضطرابه من جهة لفظه فإنَّ ذلك بمنزلة قول القائل: الكلام عند المتكلم والمتكلم هو الكلام، والعلم عند العالم والعالم هو العلم ...، وأما اضطرابه من جهة معناه، فإنَّ الكلمة عندهم هي العلم أو النطق، وهي التي اتحدت بالجسد المأخوذ من مريم .عليها السلام .، فإذا قال يوحنا: إنَّ الله هو الكلمة، فقد صرح بأن الأب قد اتحد بالجسد وحلَّ في رحم مريم .عليها السلام .، وناله القتل والصلب، وتردد مع الشيطان من مكان إلي مكان، وهذا لا يقول به نصراني، وهو لازم لهم بمقتضى ما رووا عن يوحنا أن الله هو الكلمة، ومما يُرد به قول يوحنا هذا تصريح المسيح عليه السلام في عدة مواضع من الإنجيل بأنه نبي وأنه رسول ومعلم، وأن الله .تعالي .نبأه وأرسله، وأنه لا يعلم الغيب والقيامة وذلك بخلاف قول يوحنا (إن

---

[*] من صفة العلم الإلهي لا العالم بفتح اللام .

(١) الرد الجميل (أ) ص ٤٣ . ٤٥ بتصرف (ب) ص ١٧٥ . ١٧٧ (جـ) ص ١٤٧ . ١٤٩ .

(٢) الغفران بين الإسلام والمسيحية، ص ١٧، ١٨ بتصرف .

السادة للفكر والثقافة
www.sadah.net

الله هو الكلمة) [١] .

ثم يقال: كيف تكون الكلمة هي الله، وتكون عند الله، فالله إذاً كان عند نفسه، ثمَّ قوله " إنَّ الذي خلق بالكلمة هو حياة فيها " فعلي هذا تكون حياة الله مخلوقة، فروح القدس علي نص هذا الكلام مخلوق، لأن روح القدس عندهم حياة الله، وهذا النص بخلاف قولهم: لأن الحياة التي في الكلمة بنص كلام يوحنا، والله .تعالي .بنص كلام يوحنا هو الكلمة، وهذا هدم لملة النصارى من قرب، ثمَّ أطم من هذا كله، إذا كانت حياة الله مخلوقة، والكلمة هي الله، فالله بشر علي نص هذا الكلام [٢] .

ومع هذا وذاك فإن قوله (في البدء كان الكلمة، والكلمة كان عند الله، وكان الكلمة الله) هو ما تقوله ترجمة الكتاب المقدس للكاثوليك، وترجمة البروتستانت والتراجم الإنجليزية والفرنسية التي درجنا علي استخدامها، إلا أن ترجمة العهد الجديد، والعهد الجديد للمطبعة الكاثوليكية تقول: والكلمة هو الله، وهناك تراجم أخري تختلف عن الترجمتين السابقتين، ففي ترجمة حديثة صدرت عام ١٩٨٥م بعنوان " العهد الجديد الأصلي " نقرأ مقدمة إنجيل يوحنا كآلاتي: (في البدء كانت الكلمة، وكانت الكلمة عند الله، وهكذا كانت الكلمة السماوية، كانت في البدء عند الله، بها كل شيء عمل، وبدونها لم يكن شيء ..)، وكذلك تقول ترجمة إنجليزية اليوم الصادرة عن جمعية الكتاب المقدس الأمريكية في افتتاحية إنجيل يوحنا (وأن الكلمة مثل الله) .

هذا وقد استند الدكتور/ جون روبنسون . أسقف ولويش بإنجلترا . علي ترجمة الكتاب المقدس الإنجليزية الحديثة The New English Bible في إثبات خطأ القول: وكان الكلمة الله أو والكلمة هو الله [٣] .

---

(١) ينظر: تخجيل من حرف التوراة والإنجيل ١/ ٣٠٣، ٣٠٥ بتصرف .

(٢) الفصل لابن حزم ٢/ ١٦١، ط دار الجيل، سنة ١٩٨٥م .

(٣)

J0 Robinson: Gonest To God, SCM Press London, 1964, PP 070 – 4 0

نقلاً عن: اختلاف في تراجم الكتاب المقدس، م/ أحمد عبد الوهاب، ص ٤٣ . ٤٥ ، نشر مكتبة وهبة، القاهرة، ط أولي، سنة ١٤٠٧هـ . ١٩٨٧م .

السادة للفكر والثقافة
www.sadah.net

الشبهة الأولي في معضلة الكلمة :

خامسها: مما استدلوا به علي إلهيته أنه نور العالم كما جاء في يوحنا ٨: ١٢، وأنه كوكب الصبح المنير (رؤيا ٢٢: ١٦)، وأنه النور الحقيقي الذي ينير كل إنسان آتياً إلي العالم (يوحنا ١: ٩) [١].

يوجه حجة الإسلام هذه الفقرات ونظائرها قائلاً: قوله . أي يوحنا . " كان إنسان أرسل من الله . اسمه يوحنا، هذا جاء للشهادة، ليشهد للنور، ليؤمن الكل به، ولم يكن هو النور، بل ليشهد للنور الذي هو نور الحق الذي يضيء لكل إنسان آت إلي العالم، في العالم كان، والعالم به كُوِّن، والعالم لم يعرفه " يوحنا ١: ٦ . ١٠، ويعتبر ذلك شبهة أولى في النص، ثم يقول" الموصوف في هذه الكلمات بأنه لم يزل في العالم، وأن العالم كُوِّن به، إما أن يكون هو الناسوت، منفكاً عن تعلقه، أو باعتبار تعلقه به، وإما أن يكون هو اللاهوت من حيث هو لاهوت، باعتبار تعلقه بالناسوت وهو ظهوره فيه، وإما أن يكون الحقيقة الثالثة . أي تجسد اللاهوت بالناسوت .، والكل باطل إلا اللاهوت من حيث هو لاهوت [٢].

وأما بطلان الناسوت فضروري، سواء قلنا: إنه منفك عن تعلقه باللاهوت أو باعتبار تعلقه به .

أما مع الانفكاك فظاهر، وكذلك مع التعلق، لأن تعلقه باللاهوت حادث، لأن التعلق ما حصل له إلا بعد خلقه، فكيف يوصف بتكوين العالم، وأنه يم يزل فيه .

وكذلك أيضاً الحقيقة الثالثة (الاتحاد)، لأن الحقيقة الثالثة أحد جزأيها، الناسوت، وهو

---

(١) ينظر: كتاب إيماننا المسيحي صادق وأكيد، للشماس الإكليريكى د/ سامح حلمي، ص ٢٢٧، ٢٢٩، نشر كنيسة الأنبا أنطونيوس بشبرا، مصر، ط أولي، سنة ١٩٩م . وينظر: استحالة تحريف الكتاب المقدس، ص ١٣٤، وينظر: الله نور، للقس كينيث بيلي، ترجمة القس: أميل زكي، ص ١٥ . ٢٢، نشر دار الثقافة، القاهرة، سنة ١٩٨٩م .

(٢) نصه في الترجمة الحديثة (بروتستانت) "كان إنسان مرسل من الله اسمه يوحنا، لهذا جاء للشهادة ليشهد للنور، كان النور الحقيقي الذي يُغير كل إنسان آتياً إلي العالم، كان في العالم وكُوِّن العالم به، ولم يعرفه العالم، يوحنا ١: ٦ . ١٠، وليس في نص الترجمة الحديثة والذي هو النور الحق، فليس في النص إذن تصريح بأن المسيح عليه السلام هو نور العالم، أو نور الحق، فسقطت بذلك الشبهة رأساً .

السادة للفكر والثقافة
www.sadah.net

حادث فيلزم أن كون معدومة قبل خلقه، ويستحيل وصفها إذاً بها ذُكر .

وكذلك اللاهوت، باعتبار ظهوره في الناسوت، لأن ظهوره فيه إنما حدث عند خلقه للناسوت .

فإذا حكمنا علي اللاهوت بما ذكر باعتبار هذا التعلق الحادث استحال وصفه بما ذكر، فلم يبق إلا أن تكون هذه الأوصاف عائدة إلي الإله . جل اسمه . من حيث هو إله، لا باعتبار انضمامه إلي الناسوت، ولا باعتبار انضمام الناسوت إليه، فحينئذ، يجب صرف هذا الكلام إلي الله ﷻ، ويكون تقدير الكلام: بل ليشهد للنور الذي هو نور الحق، الذي يضئ به الحق علي كل إنسان، لأن الحق . جل اسمه . هو الذي يهدى كل أحد بنور معرفته إلي المعارف الحقيقية، ويَقِفُهَ بإضاءته علي دقائق مصنوعاته التي لا تُهدي إليها العقول إلا بنور هدايته ...

وقد أُطلق النور في الإنجيل، والمراد به الهداية وهو قوله عليه السلام: ما دمت في العالم فأنا نور العالم (يوحنا ٩: ٥)، ... وقوله أيضاً (إنما جئت نور العالم) .. وهذا التصريح يؤكد ما ذهبنا إليه من التأويل في حمل النور علي الهداية " [1] أ.هـ، ويؤكد هذا أيضاً ما جاء في يوحنا ٨: ١٢: أنا هو نور العالم من يتبعني فلا يمشي في الظلمة بل يكون له نور الحياة، وأيضاً جاء عنه : " أنا قد جئت نوراً إلي العالم حتى كل من يؤمن بي لا يمكث في الظلمة " يوحنا ١٢: ٤٦ .

فلا يمكن حمل الظلمة علي الظلمة الحقيقية وكذا النور .

وعلي عادة يوحنا في ذكر التفسير بعد النص، جاء ففسر أنه النور بالهداية فقال: (يوحنا الأولي ١: ٥ . ٧): (إنَّ الله نور وليس فيه ظلمة البتة إن قلنا، إنَّ لنا شركة معه وسلكنا في الظلمة نكذب ولسنا نعمل الحق، ولكن إن سلكنا في النور كما هو النور، فلنا شركة بعضنا مع بعض) .

ومعني هذا أن الاهتداء بهديه شركة معنوية معه بمعني الخلة المحبة والأخذ الروحي من نوره .

وأما استمساكهم بقوله " أنا هو نور العالم " فلا حجة لهم فيما يريدون، إذ إن بقية النص تفسر ذلك فقد قال: بعد قوله السابق : " من يتبعني فلا يمشي في الظلمة بل يكون له نور الحياة " (يوحنا ٨: ١٢) .

---

(١) الرد الجميل (أ) ص ٤٥، ٤٦ (ب) ص ١٧٨ . ١٨٠ (جـ) ص ١٤٩ . ١٥١ .

السادة للفكر والثقافة
www.sadah.net

كما أن قوله: جئت نوراً إلي العالم جاء قبله ما يوضح أن المراد بذلك النور المعنوي حيث قال (يوحنا ١٢: ٤٤ . ٤٦): " الذي يؤمن بي، ليس يؤمن بي بل بالذي أرسلني، والذي يراني يري الذي أرسلني أنا قد جئت نوراً إلي العالم " .

فكما أنهم يبصرون بمعجزاته التي تعد من أنوار الهداية التي صنعها الله . تعالي . بقدرته يرون الأنوار الأخرى التي جعلها الله . سبحانه من دلائل هدايته لخلقه .

الشبهة الثانية في معضلة الكلمة :

سادسها: في النص السابق الوارد في فاتحة إنجيل يوحنا فقرة أخرى: استمسكوا بها لإثبات الاتحاد الفائق الوصف الذي تم بين اللاهوت والناسوت في شخص المسيح [١]، واعتبرها حجة الإسلام شبهة ثانية في نص الكلمة، وهي قوله: " والكلمة صار [*]جسداً، وحلَّ فينا ورأينا مجده " يقول حجة الإسلام دارئاً لذلك: لابد من حكاية وضع هذا اللفظ كيف كان في القبطي، ليعلم بذلك زللهم وعدولهم عن مقتضى وضعه وصرفهم وضعه عن مفهومه الموافق إلي مفهوم مصادم لبديهة العقل !! .

وضع هذا اللفظ: (وه بيصاجى أفَّأر أو صركيس)، ومفهوم هذه الكلمات في القبطي: (والكلمة صنع جسداً)، لأن أفَّأر مفهومها . في القبطي . صنع " [٢] .أ.هـ

ويؤيد هذا " أن نسخة الملك جيمس " K0 J0 v0 " ونسخة الرومان الكاثوليك الحديثة المعتمدة والمعروفة بنسخة الأخوة (Confra Ternity Version) ترجمت هذا النص هكذا:

" And The Word Was Made Flesh0 " (K0 J0 V) 8 (C0 V)

وترجمته بالعربية" والكلمة خلقت (أو صنعت) بشراً " [٣] .

---

(١) ينظر: التجسد الإلهي، لكيرلس الكبير، ص ٣٠ .

(*) عن وجهة النظر النصرانية في معني صار ينظر: إذا كان المسيح إلهاً، ص ٣١ . ٣٤ .

(٢) الرد الجميل (أ) ص ٤٦، ٤٧ (ب) ص ١٨٠ . ١٨٢ (جـ) ص ١٥١ . ١٥٢ .

(٣) ينظر: أيهما كلام الله، القرآن أم الكتاب المقدس، أحمد ديدات، ص ١٦٤ (الهامش للمترجم: محمد مختار، نشر المختار الإسلامي، القاهرة، بدون تاريخ) .

السادة للفكر والثقافة
www.sadah.net

" وعلي هذا الوضع لم يبق إشكال البتة، بل يكون اللفظ صريحاً بأن العالم الذي قام من أقنوم الكلمة، الذي عُبر عنه بأنه إله، بقوله: " وإله هو الكلمة صنع جسداً وحل فينا ورأينا مجده، أي ذلك الجسد الذي صنعه الإله هو عيسي عليه السلام، وهو الذي ظهر ورؤى جسده .

وقد اعتذروا عن هذا المفهوم الظاهر بأن قالوا: هذه الكلمة وُضعت بالاشتراك بين صنع وصار، وهذا الاعتذار يطلب اعتذاراً، بل هو من المضحكات !! لأن اللفظ المشترك يتعين حمله علي أحد مفهوماته بأيسر قرينة مشعرة بأن المراد منه هذا المفهوم، فما شأنك بحاكم العقل الموجب حمله على ما أشرنا إليه !، ثمَّ إن مترجم هذه اللفظة إذا سُلِّم له كونها وضعت بالاشتراك يكون قد ارتكب فيها عكس القضية في المشترك، لأن المشترك إذا تردد بين مفهوماته عينته القرائن، وهو في هذه الكلمة قضي بصرف اللفظ عما هو واجب الإرادة، وحمله علي ما يقضي صريح العقل بعدم إرادته ليحصل له بذلك: أن الإله العلِم صار جسداً !! ....

فإن قيل: إنما حمل علي هذا المفهوم لقرائن رجحت حمله عليه ...

فالجواب: أن كل مرجح كان مصادماً للمعقول رُدّ، غير معوَّل عليه، مع أن تسمية ما هذا شأنه مرجحاً جهل، والقائل به ليس له هاد علمي يَقِفه علي نهج الحق، ثمَّ إن اقتصرنا علي بيان هذا الأمر الواضح الذي ارتكبوا فيه التحريف إلي أن صيروه شبهة كفانا ذلك في دفع هذه الشبهة " [1] . أ.هـ

ومع التسليم بثبوت كلمة صار فإنها على تقدير حذف المضاف . كما سبق . يكون المعنى وأثر الكلمة صار جسداً ويرى صاحب التخجيل أنه يحتمل أن تكون كلمة جبريل التي أوردها علي مريم قد صارت جسداً وتخلق منها المسيح [2] .

ويقول حجة الإسلام: وإذا أردنا قطع النزاع مسلمين أن هذه الكلمة وُضعت بالاشتراك قد احتفَّت بها قرائن رجحت حملها علي صار دون صنع .

فالجواب أيضاً عن الشبهة واضح، وبيانه: أن اللفظ علي هذا التقدير لا يعرض لعاقل وقفة

---

(1) الرد الجميل (أ) ص ٤٦ . ٥١ (ب) ص ١٧٥ . ١٧٧ (جـ) ص ١٥١ . ١٥٣ .

(2) تخجيل من حرف التوراة والإنجيل ١/ ٤٢١، وهذا لا دليل عليه في النصرانية والإسلام .

السادة للفكر والثقافة
www.sadah.net

في صرفه عن ظاهره، وبيان ذلك أن الكلمة التي ذُكرت في أول الفصل صُرِّح بأنها إله، بقوله: وإله هو الكلمة، فكيف يحكم علي الإله بأنه صار جسداً ؟

وتصحيح هذا الكلام أن الكلمة عندهم، عبارة عن الذات، باعتبار صفة العلم أو النطق .. فحينئذ تكون دالة علي الذات الموصوفة بالعلم أو النطق، وهذا الإطلاق ليس مختصاً بالإله، لأن اللفظ المشكل كيفما تردد يستعمل في كل فرد من أفراده حقيقة، فحينئذ تكون الكلمة موضوعة للذات بقيد العلم أو النطق، مع قطع النظر عن كون الذات موصوفة بالجسمية أو منفكة عن هذا الوصف، ففي أول الفصل أطلقت الكلمة علي العالِم المنفك عن الجسمية حقيقة، الذي هو إله، وفي آخر الفصل أطلقت علي العالِم أو الناطق الموصوف بالجسمية حقيقة الذي هو رسول أيضاً، فيكون . إذن . معني قوله: والكلمة صار جسداً، أي: أن ذلك الإله العالِم الذي كان مدلول الكلمة، كان منفكاً عن الجسمية، وقد صار مدلولها، الآن، عالماً موصوفاً بالجسمية، وهو الرسول، لأنها إذا وُضعت للذات بقيد العلم، قام منها معني العالِم، لا محالة، هذا كله بعد تسليم أن الكلمة موضوعة للذات بقيد الصفة، من حيث إنها ذات، فإن ادعي أن ذلك مختص بذات الإله، كان إطلاقها علي عيسي عليه السلام بطريق المجاز، لأن المشاركة في مفهومها ثابتة، وهي من أعظم مصححات المجاز .

ثمَّ شرع حجة الإسلام يفسر نص الكلمة جميعه فقال: ولا [*] يُردُّ هذا التأويل بقول القائل: إنه علي خلاف الظاهر، لأنه لا معني للتأويل إلا صرف الكلام عن ظاهره لدليل يأبي إبقاءه علي حقيقته .

فإن قيل: إنما يكون هذا التأويل مقبولاً إذا كان الكلام متعلقاً بعضه ببعض، لاسيما كلام الإله . جل اسمه ..

فالجواب: أن العقل إذا حكم باستحالة بقاء اللفظ علي ظاهره وجب تأويله، فالتأويل إذاً صرف اللفظ عن ظاهره ... وحمله علي ما هو جائز الإرادة، فحينئذ لا يبقي للمُتعلق بظاهره

[*] هذا الكلام وما بعده ذكر في كتاب (الرد الجميل)في مناقشة الشبهة الثانية (والكلمة صار جسداً) مع أنه متعلق تعلقاً تاماً بالرد علي الشبهة الأولي (التي أدرها هنا)، لذا نقلته إلي موضعه الأصلي .

السادة للفكر والثقافة
www.sadah.net

حجة، لمخالفة المعقول وإمكان التأويل .

ونحن . الآن . نبين عدم تباين كلمات هذا النص، وحملها علي ما هو سائغ الإرادة علي حكم ما أولناه، فنقول: قد ثبت أن الحق . جل اسمه . هو الذي يضئ بنوره علي كل إنسان آت، ويكشف له به غطاء كل خفية، وذلك مصرح به في هذا النص بقوله: ليشهد للنور الذي هو نور الحق الذي يضئ لكل إنسان، قوله: في العامل كان، هذا يصلح أن يكون وصفاً للحق . جل اسمه ،، لأن هداية الله . تعالي . وإيضاحه لكل خفي، وكشفه الغطاء عن كل شبهة لم يزل ذلك ثابتاً في العالم .

قوله: العالم به كُوِّن، هذا وصف للحق . جل اسمه ،، وقد صرح في أول الفصل بقوله: كل به كان .

فليت شعري: أي عذر لمن يحمل هذا علي عيسي عليه السلام مع هذا التصريح وهو قوله في أول الفصل: وبغيره لم يكن شيء مما كان .

قوله: إلي خاصيته جاء، أي: إلي خاصية الحق ظهر نوره الذي هو عبارة عن هدايته وإرشاده، إذ بنوره يهتدي كل مهتد، والمراد: بمجيء النور . ها هنا . ظهوره، لأن وصف المعاني بالمجيء محمول علي ظهورها قوله: وخاصته لم تقبله، المراد بالخاصة: مَن دُعي للهداية، أي: وخاصته الذين دُعوا لهدايته، فلم يقبلوا هدايته .

قوله: فأما الذين قبلوا، أي: فأما الذين قبلوا هدايته . وهم غير الذين لم يقبلوا، يدل علي ذلك إيراد الكلام بأما، التي هي للتفصيل .

قوله: فأعطاهم سلطاناً أن يصيروا بني الله، كان الأخصر أن يقول: أن يصيروا بنيه، وإنما عدل عن ذلك ليصرح بذكر الاسم، وهو الله، لأجل شرف النسبة ليعظم وقع ذلك في النفوس .

ثم قال: الذين يؤمنون باسمه، الذين ليس هم من دم ولا من هواء ولحم، ولا مشيئته رجل لكن وُلدوا من الله .

يريد: أن هذه البنوة التي حصل لهم بها شرف النسبة، ليست من قبيل البنوات التي من شأنها أن تحصل عن مشيئات الرجال وإلمامهم بالنساء، وتكوُّن اللحوم والدماء .

السادة للفكر والثقافة
www.sadah.net

بل المراد بذلك الإفراط في القرب والرأفة بهم علي حكم ما سلف .... " [1] .

ويضاف إلي التوضيح السابق لحجة الإسلام حجج أخري تحقق قوله:

إحداها: قول يوحنا (١: ٤) والكلمة صار جسداً يجوّز الصيرورة علي كلمة الله الكائن منذ الأزل وإلي الأبد لا يتغير، إذ لا يتحول ولا يصير إلا المخلوق، ولو أخذ بالظاهر وسلم لهم ما يدعون فإن الكلمة الإلهي اتخذ جسداً فقط، ولم يتخذ روحاً أو نفساً ناطقة التي يسمونها هنا بالروح القدس، لأن روح القدس روح الأب وروح الابن، فسقط التثليث وبطل الاتحاد .

وهذا القول أيضاً: يقرر بأن الابن صار جسداً حقيقياً، وهم يقولون: (صار جسداً دون أن يتحول إلي جسد) [2] خشية أن يفهم من صيرورته جسداً أن يكون الاتحاد قد تم بامتزاج واختلاط أو استحالة، فما فروا منه وقعوا فيه لأن بقية النص تقطع بأن الجسد جسد حقيقي، إذ فيه (والكلمة صار جسداً وحلَّ بيننا ورأينا مجده)، ولا يحل بين البشر إلا جسد حقيقي .

ثانيتها: قولهم: الكلمة صار جسداً، يفهم منه أنه استحال إلي طبيعة إنسانية وتغير عن طبيعته الإلهية كما حكي العهد القديم (تكوين ١٩: ٢٦) عن امرأة لوط أنها نظرت وراءها " فصارت عمود ملح "، وقال عن عصا موسى فصارت حية (خروج ٤: ٣)، وقد تحولت امرأة لوط فعلاً من لحم ودم وعظام إلي كتلة من الملح، وكذا عصا موسى تحولت من عصا يابسة جافة إلي حية تدب فيها الحياة "، فالتحول والتغير لازم للجسد الإنساني عند الحلول الإلهي عليه من باب أولي فيكون جسد المسيح جسداً خيالياً وهمياً لا حقيقياً ماديا [*] أو يكون جسده شبيهاً بالجسد الآدمي .

ثالثتها: دعواهم بأن الله ظهر في الجسد يخالف ما أوردوه من أن الله . سبحانه . ظهر في القديم . قبل ميلاد المسيح . في الجسد، إذ يذكر العهد القديم أن الله ظهر لإبراهيم في هيئة رجل، " وظهر له الرب عند بلوطات ممرا " (تكوين ١٨: ١) وظهر لإسحاق كما في سفر التكوين ٢٦: ٢: " فظهر

---

(١) الرد الجميل (أ) ص ٤٦ . ٥٦ (ب) ص ١٨٠ . ١٨٧ (جـ) ص ١٥١ . ١٥٦ .

(٢) ينظر: إذا كان المسيح إلهاً، ص ٤١ .

(*) كما سبق عن الغنوسيين Gnostics .

السادة للفكر والثقافة
www.sadah.net

له الرب في تلك الليلة وقال أنا إله إبراهيم أبيك "، وظهر لإشعياء الذي قال (أشعياء ٦: ١) " رأيت السيد (الرب) جالساً علي كرسي عال ومرتفع وأذياله تملأ الهيكل " .

فكما أنه ظهر لهؤلاء في هذه الهيئة، ثم انفصل عنها، إن حملنا الكلام علي ظاهره، فكذلك ظهر في هيئة جسد المسيح ثم تركه، فيبطل الاتحاد في تصويرهم، أو يقال: إن الاتحاد في الجميع محمول علي المجاز، ويكون معناه: الملك ظهر لإبراهيم في صورة رجل، وجبريل جاء للمسيح في هيئة بشر .

فإن لم يقولوا بالحمل علي غير الحقيقة لزمهم اتحاد اللاهوت بالناسوت وغيره قبل ميلاد عيسي عليه السلام، وأثناء ميلاده، فيكون اللاهوت قد اتحد أكثر من مرة في هيئات كثيرة، ويلزم منه الدور والتسلسل، ويلزم منه حلوله في هيئة أعظم من هيئة، فأي هيئة يرونها أحق بالإلهية ؟، فإن قالوا: إنَّ الاتحاد القديم كان مؤقتاً، والاتحاد بالمسيح اتحاد أبدي لا ينفصل ولا ينحل، قيل: وأين الدليل علي أن الاتحاد السابق انفصل وانحل ؟ لأن عدم الدليل لا يدل علي عدم المدلول، فثبت أنهم مهما جوزوا الحلول والاتحاد المؤقت لزمهم تجويز حصول الحلول والاتحاد الدائم في الجميع أو انقطاعه بعضه وكله عن الجميع، ولا شك أن المذهب الذي يسوق قائله إلي مثل هذا القول الركيك يكون باطلاً قطعاً .

ثم أين الدليل علي الاتحاد الأبدي الدائم في حق المسيح عليه السلام ؟

بل قال كبيرهم اثناسيوس: (هذا الجسد . جسد يسوع . هو الذي وُضِع في قبر . عندما تخلي عنه الكلمة . ولكنه لم ينفصل عنه) [1] فشهد بأن الاتحاد قد انحل وانقطع، وقضي علي عقائد قومه .

رابعتها: في عبارة الكلمة صار جسداً يعني جسداً بدون روح وعقل ونفس فإن الجسد يطلق مقابلاً للنفس، والجسد لا قيمة له بدون النفس والروح، وبهذا يكون لاهوتاً بدون ناسوت كامل، فيفسد تصويرهم للاتحاد، وأيد الواقع والتاريخ أن الناسوت عاش بجسد ونفس وروح .

خامستها: أن إنجيل يوحنا نفسه الوارد فيه نص الكلمة جزم بنفي صيرورة الله - تعالي .

---

(١) يراجع: المسيح في رسائل القديس اثناسيوس، ص ٤٠ .

السادة للفكر والثقافة
www.sadah.net

جسداً، ونفي ظهوره في هيئة البشر، فحكي قول المسيح عليه السلام (٥: ٣٧) " الأب نفسه الذي أرسلني يشهد لي، لم تسمعوا صوته قط، ولا أبصرتم هيئته "، فصح تأويل حجة الإسلام لنص الكلمة بأن ذلك الجسد الذي ص نعه الإله هو عيسي عليه السلام، لا الله نفسه.

كما أن النص السابق " الكلمة صار جسداً وحلَّ فينا " يَحْتمل التقديم والتأخير لفساد التعبير وتبدل اللسان فتكون إنَّ الجسد الإنساني الذي هو جسد المسيح عليه السلام سُمي الكلمة، ولا معني لصار إلا تحدد ما لم يكن، قوله (وحل فينا) إشارة إلي جسده الذي صار كلمة بالتسمية من الله، وكأن يوحنا يقول: إنَّ الذي كفر به اليهود ونسبوه إلي الجنون شرَّفه الله وسمَّاه كلمة له، وأقام بين أظهرنا ما أقام لم يعرفوا قدره ..

وهنا احتمال آخر هو أن يكون يوحنا قال: إنَّ الكلمة أصارت جسداً وحل فينا فأسقطوا الهمزة عند إخراج الكلام إلي اللسان العربي من العبراني، والتمييز بين صارت وأصارت لا يكاد يدرك في اللسان الواحد فكيف مع النقل والتحويل وفساد الترجمة ؟ ..

فإن أبوا تأويلنا لكلام يوحنا هذا لزمهم أن تكون الكلمة الأزلية استحالت لحماً ودماً وعروقاً وشعراً وظفراً واغتذت بالطعام وكان منها ما يكون من الأنام، وبقيت ذات الباري . سبحانه . خرساء غير ناطقة وجاهلة غير عالمة، وذلك لا يقوله لبيب " [1] .

المعضلة الثانية (قوله: قبل أن يكون إبراهيم أنا كائن) :

سابعها: استدلوا أيضاً علي إلهية عيسي عليه السلام بأنه كان قبل إبراهيم كما جاء في إنجيل يوحنا " ٨: ٥٦ . ٥٨ " أنه قال: (أبوكم إبراهيم تهلل بأن يري يومي فرأي وفرح، فقال له اليهود، ليس لك خمسون سنة بعد، أفرأيت إبراهيم، قال لهم يسوع: الحق أقول لكم: قبل أن يكون إبراهيم أنا كائن، فرفعوا حجارة ليرجموه) .

(١) ينظر: تخجيل من حرف التوراة والإنجيل ١/ ٤٢٠ . ٤٢١ باختصار وتصرف .

السادة للفكر والثقافة
www.sadah.net

قالوا: هنا يعلن السيد المسيح ألوهيته، فكلمة كائن (دائم الوجود) هي يهوه [*] اسم الجلالة " الكائن والذي كان والذي يأتي"، وعرف اليهود المعني لذلك رفعوا حجارة ليرجموه " [١] .

يجيب حجة الإسلام علي هذا قائلاً: هذا الكلام ناطق بالمجاز، لأن إبراهيم عليه السلام لم ير يوم ولادته، ولا يوم إرساله، ولا يوم حصول الحقيقة الثالثة له .كما يزعمون .، لأن هذه كلها حدثت بعد إبراهيم، بل المراد من ذلك أن الأنبياء يحبون دوام طاعة الله، ودوام إظهار شرائعه المتكفلة بمصالح العباد، فلما أعلم إبراهيم عليه السلام برسالة عيسي عليه السلام وهدايته للعالم، وما يظهر علي يده، من مصالح العباد علي ما اقتضته شريعته سُرَّ بذلك .

فالرؤية ها هنا محمولة علي البصيرة التي هي العلم، لا علي البصر .

وقد صرح بولس في رسالته التي سيرها إلي قورنيْثة بأبلغ من ذلك: " وهذا يدل علي أنه أراد عين ما أردناه، فقال: ولكننا ننطق بحكمة الله الخفية، بالسر الذي لم يزل مستتراً، وكان الله تقدم فقررها قبل العالمين " [٢]، يريد أن هذه الأحكام مقررة في علم الله، وليست إذاً تقولاً وافتراءً، وهذا عين ما أوَّلناه .

وقد صَرَّح في قصص الرسل...بمثل ذلك عظيم تلامذته بطرس بن يونا المعروف بشمعون الصفا [٣] قائلاً: " يابني إسرائيل اسمعوا هذا الكلام إن يسوع الناصري رجل ظهر عندكم من

(*) يهوه: اسم الجلالة عند أهل الكتاب ولهذا الاسم صور أخري نحو: أهيه، وياه، ويهو، أو يو، أو يا (هـ) أو ياهو، للتفصيل يراجع: معجم اللاهوت الكتابي، ص ٨٧٨، والظهورات الإلهية في كتب العهد القديم، للشماس د/ إميل ماهر إسحاق، ص ١٧ . ١٩، ط أولي سنة ١٩٩٦م .

(١) ينظر: استحالة تحريف الكتاب المقدس، ص ١٢٧ .

(٢) في رسالة بولس (١) كورنثوس ٧: ٨ هكذا: " بل يتكلم بحكمة الله في سر الحكمة المكتومة التي سبق الله فعينها قبل الدهور لمجدنا، التي لم يعلمها أحد من عظماء هذا الدهر " .

(٣) بطرس، سمعان الصفا بن يونا، كبير الحواريين عندهم، أخو إندراوس، سافر . للتبشير . عندهم . إلي السامرة ولدة ويافا وقيصرية وإنطاكية " مصر "، ينظر: القديس بطرس، للقس ناجي فرنسيس، ط دار الثقافة، القاهرة، ط٣، سنة ١٩٨٥م، والكنيسة المسيحية في عصر الرسل، ص ٤١١ . ٤١٤، والاثني عشر رسولاً، ص ٧٩ . ٩٣ .

السادة للفكر والثقافة
www.sadah.net

الله، بالقوى والآيات التي فعلها الله علي يديه بينكم كما تعلمون أنتم" [١] فهذا الذي كان مقرراً لهذا من سابق علم اتلله ومشيئته .

صرح هذان العظيمان (أي بولس وبطرس) . عندهم . بعين ما أوَّلناه، وزاد ابن يونا زيادة، فصرح بأنه رجل، وصرح بأن القوي والآيات التي ظهرت علي يديه، ليست واقعة بفعله بل صرح بأن فاعلها إنها هو الله بقوله: " رجل ظهر عندكم من الله بالقوي والآيات التي فعلها الله علي يديه ".

وهذا التلميذ المصرح بجميع ما ذكر " لا يسع أحداً منهم أن يخطر بباله مخالفته، وصريح الإنجيل ناطق عموماً وخصوصاً بوجوب متابعته، والوقوف عند أقواله، أما عموماً، فقوله لتلامذته: الحق أقول لكم، إنَّ كل ما ربطتموه علي الأرض يكون مربوطاً في السماوات، وما حللتموه علي الأرض يكون محلولاً في السماوات " (يوحنا ٢٠/ ٢٣) .

وأما خصوصاً فقوله مخاطبا له : أنت الصخرة، وعلى هذه الصخرة ابني بيعتى، ثمَّ قال له: وما ربطته علي الأرض يكون مربوطاً في السماوات، وما حللته علي الأرض يكون محلولاً في السماوات " [٢] صرح بجميع ذلك كله متي في إنجيله، وقوله له أيضاً: " إرع خرافي، إرع كباشي، إرع نعاجي " [٣]، يريد بذلك طوائف أمته، صرح بهذه الكلمات يوحنا في آخر إنجيله .

ويدل علي صحة هذا التأويل أيضاً قوله: إني قبل إبراهيم، فالقبلية ها هنا محال أن تكون مضافة إلي ناسوته، لا باعتبار انفكاكه عن اللاهوت، ولا باعتبار تعلقه به، ومحال أن تكون أيضاً مضافة للحقيقة الثالثة، لما بتين، إذ هذه كلها حوادث لم تكن موجودة عند وجود إبراهيم عليه السلام، بل المراد بالقبلية علمه بتقدير الإرسال وما يترتب عليه من الإرشاد، هذا هو المعني الذي

---

(١) في أعمال الرسل ٢: ٢٢ من قول بطرس: " أيها الرجال الإسرائيليون، اسمعوا هذه الأقوال، يسوع الناصري رجل قد تبرهن لكم من الله بقوات وعجائب وآيات صنعها الله بيده وفي وسطكم " .

(٢) في متي ١٦: ١٨، ١٩ (وأن أقول لك أيضاً أنت بطرس، وعلي هذه الصخرة ابني كنيستي وأبواب الجحيم لن تقوي عليها وأعطيك مفاتيح ملكوت السماوات، فكل ما تربطه علي الأرض يكون مربوطاً في السماوات، كل ما تحله علي الأرض يكون محلولاً في السماوات) .

(٣) في يوحنا ٢١: ١٥ . ١٧، قال له: أرع خرافي... أرع غنمي ... ارع غنمي .

السادة للفكر والثقافة
www.sadah.net

حمله علي السرور، فإن قبل فأي خصوصية له في ذلك، إذ هذا المحمل مشترك بينه وبين سائر الأنبياء، بل وبين كل موجود ؟!.

فالجواب أنه لم يذكر ذلك في معرض الخصوصية، وإنما ذكره قاطعاً به استبعاد اليهود لسرور إبراهيم وفرحه بيومه، وتصحيحاً لصدقه فيما أخبر، لأن الأنبياء إذا صدر منهم مثل ذلك إنما يصدر في معرض التكذيب لأقوالهم، وإنما يدَّعونه من الرسالة ليس ثابتاً في نفوس الأمر، فيكون ذلك رداً علي المكذب وإعلاماً له بأن هذه الدعوى ثابتة في نفس الأمر مقررة في علم الله قديماً.

ويدل علي صحة هذا التأويل أن عيسي عليه السلام إنما ورد منه ذلك حين أعظم اليهود قوله قائلين: لم يأت لك بعد خمسون سنة، فذكر حينئذ الجهة المصححة لسرور إبراهيم عليه السلام، فيحصل لهم بذلك استمالة مكذبيهم إلي صدقهم فيما يدعونه من النبوة والرسالة، وتقوية ظنون مصدقيهم، الذين لم يصلوا إلي درجة العلم، ... ويجوز أن يكون عيسي عليه السلام ذكر ذلك في معرض الخصوصية، وهو إعلام إبراهيم عليه السلام بمجموع رسالته وما يترتب عليها من الهداية وإظهار ما ظهر علي يده من المعجزات المختصة به دون من عداه من الأنبياء السالفة قبله، هذا معني حسن الإرادة، فكيف نثبت إلهية إنسان بدليل هذا شأنه [1] .أ.هـ

فالله . تعالي . قد أري إبراهيم عليه السلام كما أري آدم عليه السلام جميع أعمار ولده، وأعلم إبراهيم بأحواله كما أعلم آدم بأحوال ولده من بعده، وكما أري موسى عليه السلام ما يؤول أمر بني إسرائيل إليه [2] .

الشبهة الثالثة [*] (قوله: إنى في الآب والآب فيَّ) :

([1]) الرد الجميل (أ) ص ٥٢ . ٥٥ (ب) ص ١٨٩ . ١٩٣، (جـ) ص ١٥٨ ت ١٦١، وقارن بمناقشة كتاب تخجيل من حرف التوراة والإنجيل ١/ ٤١٧ . ٤١٩ .

([2]) السابق ١/ ٤١٨ .

(*) هكذا في نص الكتاب مع أنه لا علاقة لهذا النص بنص الكلمة، كما أنه ذكر أن في نص الكلمة شبهتين فقط، ثمَّ ذكر هذه الشبهة الثالثة بعد المعضلة الثانية .

(**) فِيلُبُّس: أحد الحواريين عندهم، ولد في بيت صيدا، لم يرد ذكره كثيراً في الأناجيل، بشر في بلاد فارس وآسيا الصغرى خاصة إقليم فريجيا وإقليم هيرابولس الذي مات مصلوباً فيه. ينظر: الكنيسة

السادة للفكر والثقافة
www.sadah.net

ثامنها:استدلوا علي اتحاد اللاهوت مع الناسوت، وأخذه الطبيعة الإلهية بذلك بما جاء في إنجيل يوحنا ١٤: ٨ . ١٢ (قال له فِيلُبُّس (**): يا سيد أرنا الأب وكفانا، قاله له يسوع: أنا معكم هذه المدة ولم تعرفني يا فِيلُبُّس ! الذي رآني فقد رأي الأب، فكيف تقول أنت: أرنا الأب؟ ألست تؤمن أني أنا في الأب والأب فيَّ، الكلام الذي أكلمكم به لست أتكلم به من نفسي، لكن الأب الحال فيَّ هو يعمل الأعمال، صدقوني أني في الآب والآب فيَّ، وإلا فصدقوني لسبب الأعمال نفسها، الحق الحق أقول لكم: من يؤمن بي فالأعمال التي أنا أعملها يعملها هو أيضاً، ويعمل أعظم منها، لأني ماض إلي أبي " ومثله " الذي يراني يري الذي أرسلني " (يوحنا ١٢: ٤٥) ويقولون: " عبارة: الحال فيَّ تفيد اتحاد المسيح بالأب مما يدل علي أنه الله " [١] .

يجيب حجة الإسلام علي ذلك راداً هذا النص إلي المجاز فيقول: هذا النص كالذي أنكر اليهود إطلاقه ... وزاده ها هنا بياناً، وصنع فيه ما عادته أن يصنعه، وهو أنه . صلوات الله عليه . لم يأت قط بلُبْسَة إلا وأتبعها كاشفاً يُظهر خفاءها .

وبيان ذلك، أنه حين طلب إليه أن يريهم الإله، وكان ذلك مما لا يمكن إسعافهم به عدل عن سؤالهم قائلاً: من رآني فقد رأي الأب، يريد أن الإله لما كانت رؤيته غير ممكنة للعباد أقام الأنبياء . عليهم السلام . في تبليغهم أحكامه مقام نفسه ... فبأمره يأمرون، وبنهيه ينهون وبأحكامه يحكمون، ثم صرح بعدم إرادة ظاهر هذا اللفظ، فقال: وهذا الكلام الذي أتكلم ليس هو من عندى، ثمَّ بالغ في البيان، فقال: بل أبي الذي هو حال فيَّ يفعل هذه الأفعال يريد أن أقواله ليست للإله بقيد كونها مفردة، بل وأفعاله، أي: وكل كلام صدر مني متضمناً حكماً، فهو من الله لأني عنه أخبر، وكل ما ترونه من الأفعال الباهرة للعقول الناطقة بخوارق الأنبياء، فذلك فعله، لأنه واقع بقدرته .

وقد سلف منا تصريح بولس الرسول بما يعضد هذا التأويل، وذكرنا لفظه وهو " الله واحد

المسيحية في عصر الرسل، للأنبا يوأنس، ص ٤٢٧، ٤٢٨، والاثنا عشر رسولاً لهربرت لوكير، تعريب: صبحي مقار، ص ٩٤ . ١٠١ .

(١) ينظر: التجسد الإلهي في تعليم كيرلس الكبير، للأب متي المسكين، ص ١٢، وألوهية المسيح، إعداد كنيسة مارمرقس، ص ٩٣.

السادة للفكر والثقافة
www.sadah.net

هو، والوسيط بين الله والناس واحد هو الإنسان يسوع المسيح "، ثمَّ أتي بعد ذلك بما لا يتصور معه إرادة ظاهر هذا اللفظ الدال علي أنه هو الإله، فقال مصرحاً بعدم إرادة ظاهره، ومُرغِّباً لهم في تعاطي الأسباب التي وصل بها إلي مثل ذلك (الحق أقول لكم: إنَّ من يؤمن بي يعمل الأعمال التي أعمل، وأفضل منها يصنع) .

صرح بجهة المجاز، إذ لا يتصور لأحد من البشر أن تكون أفعاله أفضل من أفعال الإله بوجه، ثمَّ أكد البيان بقوله: " لأني ماض إلي الأب "، ولو كان هو الأب حقيقة لما قال: لني ماض إلي الأب، إذ لا يتصور لأحد أن يقول: أنا ماض إلي زيد ويكون هو عين زيد .

وقوله: أما تؤمن أني في الأب، وفيَّ، يريد بذلك عدم التباين في الأحكام والإرادات ويدل علي ذلك انه أتبعه بقوله: " وهذا الكلام الذي أتكلم به ليس هو من عندي " .

فليتأمل المتأمل هذا النص، كم اشتمل علي تصريح، وتضمن من قرينة تدل علي أنه غير الإله، فكيف يُجعل نفس الإله ؟! .

بل لو كان هذا النص كله لُبْسَة [*]، لما جاز معاندة المعقول واعتقاد ذلك، فكيف والحالة هذه ؟ ...

ويحتمل هذا النص وجهاً آخر يعضده ما ورد مصرحاً به في إنجيل متي (١١ : ٢٧)، وهو قوله: " وليس أحد يعرف الابن إلا الأب ولا أحد يعرف الأب إلا الابن "، صرح بأن أحداً لا يعرفه إلا الإله، فحينئذ يكون منكراً علي السائل الطالب رؤية الإله بقوله: " لي معكم كل هذا الزمن ولم تعرفني وأنا إنسان " مع أن معرفة الإنسان ممكنة، فكيف تتصور أن تعرف الإله الذي لا تتصور معرفته بحاسة البصر، ولا يتبين كنه حقيقته بالأجناس والفصول، ثمَّ عدل عن ذلك مبيناً أن الإله إنما تطلب معرفته ليكون المكلف واثقاً بأن هذه الأحكام صادرة منه، فقال: " من رآني فقد رأي الأب " أي أنا عنه أخبر، ثم أوضح ذلك بقوله: " وهذا الكلام الذي أتكلم به، ليس هو من عندي "، ثمَّ لم يقتصر علي نسبة الكلام إلي الله ﷻ فقال: " بل أبي الذي هو حال فيَّ

---

[*] أي شبهة .

السادة للفكر والثقافة
www.sadah.net

يفعل هذه الأفعال، ثمَّ ساق نفسه بالكلام علي حد ما أُوِّل "[1] أ.هـ.

والذي يؤكد هذا التأويل السابق أمور :

أحدها: أنه رسول الله إلي عباد الله، "ورسول الملك إذا توجه إلي قطر فأبدي بعض الرعية شِماسا "[2] عن الامتثال فيحسن منه أن يقول: أنا ومن أرسلني واحد، ومن رآني فقد رأي من أرسلني، ومن بايعني أو عاهدني فقد بايع وعاهد من أرسلني وحصل له العصام والذمام .

والثاني: أن رؤية الصنعة تدل علي صانعها، إذ لا يتصور بناء محكم متقن إلا بيان حكيم متقن، وكلما جلَّت الصنعة دلت علي جلال صانعها، والمسيح لما بهر الناس بما صدر علي يديه من العجائب ورأي التفاتهم إليه، واشتغالهم به، فأحب رفع هممهم إلي الله الذي هو أعلي وأجل وأحكم من كل حكيم، وقد قال في إنجيله (أبي أعظم مني) " يوحنا ١٤: ٢٨ "، وقاتل له إنسان: أيها المعلم الصالح، فقال لماذا تدعوني صالحاً ليس أحد صالحاً إلا واحد وهو الله "[3] (مرقس ١٠: ١٧، ١٨) .

والثالث: أن الله . جل ذكره . لا يراه أحد، ولا يقدر مخلوق أن ينظر إليه وقد أجمعت أسفار العهد الجديد والقديم علي ثبوت ذلك، ففي إنجيل يوحنا الذي نقل عنه النص السابق (الله لم يره أحد قط) " يوحنا ١: ١٩ " وفيه أيضاً " ٥: ٣٧ " (والآب نفسه الذي أرسلني يشهد لي لم تسمعوا صوته قط ولا أبصرتم هيئته) .

كما أن فيه " ٤: ٢٠ ": (إن قال أحد إني أحب الله وأبغض أخاه فهو كاذب، كيف يقدر أن يحب الله الذي لم يبصره) .

وفي الرسالة الأولي ليوحنا السابق " ٤: ١٢ ": (الله لم ينظره أحد) وبولس عظيم رسلهم قد نفي إمكان رؤية ذات الله . تعالي . ناهيك عن وقوعها، فقاتل في رسالته الأولي إلي تيموثاوس " ٦: ١٦ ": (الذي وحده له عدم الموت ساكناً في نور لا يُدني منه الذي لم يره أحد ولا يقدر أن يراه) .

---

(١) الرد الجميل (أ) ص ٥٥ . ٥٧ (ب) ص ١٩٤ . ١٩٧ (جـ) ص ١٦١ . ١٦٤ .

(٢) أي امتناعاً وإباء، القاموس، ص ٧١٢ .

(٣) تحجيل من حرف التوراة والإنجيل ١/ ٤١٤، ٤١٥ .

السادة للفكر والثقافة
www.sadah.net

حكم في هذا النص بأن الإله لا يذوق الموت، ولا يري، وعيسي عليه السلام قد مات . حسب اعتقادهم ، ورُئي فلا يكون إلهاً .

وورد في هذه الرسالة أيضاً " تيموثاوس (١) ١: ١٧ " الله (ملك الدهور الذي يفني ولا يري الإله الحكم، وحده له الكرامة والمجد إلي دهر الدهور) .

وسبق العهد القديم إلي هذا المعني فجاء فيه " خروج ٣٣: ٢٠ " من خطاب الله . تعالي . لموسى عليه السلام: (لا تقدر أن تري وجهي لأن الإنسان لا يراني ويعيش) .

وأري أن هذه النصوص قاطعة لكل دعوى ودليل للقول بإلهية عيسي عليه السلام، والتجسد الإلهي به .

والرابع: أنه لم يرد عن عيسي عليه السلام قط أنه قال: (أنا الله أو إنني أنا الله لا إله إلا أنا فاعبدون، أو أنا الذي خلقتكم ورزقتكم) .

نصوص أخري استُدل بها علي إلهية عيسي عليه السلام :

وفي ختام هذا النص الأخير الذي ساقه حجة الإسلام لبيان استدلال المعتقدين لإلهية عيسي عليه السلام به، أود أن أذكر نصوصاً أخري . غير التي سقتها في دراسة كتاب الرد الجميل . لم تُذكر في كتاب الرد الجميل أهمها :

١ . ما نسبه يوحنا إلي المسيح عليه السلام أنه قال: " أنا أعرفه لأني منى " (يوحنا ٧: ٢٩) .

وبيان هذا النص يكون بالرجوع إلي سياقه الذي وُضِع فيه، فقبل هذا العدد بأعداد يشير يوحنا إلي أن عيسي عليه السلام كان يُعلم في الهيكل ... فقال اليهود: كيف هذا يعرف الكتب، وهو لم يتعلم، فأجابهم قائلاً: تعليمي ليس لي بل للذي أرسلني إن شاء أحد أن يعمل مشيئة يعرف التعليم هل هو من الله أم أتكلم أنا من نفسي ... فقال قوم من أورشليم: هذا نعلم من أين هو، وأما المسيح فمتي جاء لا يعرف أحد من أين هو، فنادي يسوع وهو يعلم في الهيكل قائلاً: تعرفونني وتعرفون من أين أنا ومن نفسي لم آت، بل الذي أرسلني هو حق،الذي أنتم لستم تعرفونه،أنا أعرفه لأني منه وهو أرسلني "يوحنا ٧: ١٤ . ٢٩" .

السادة للفكر والثقافة
www.sadah.net

فقوله أنا اعرفه لأني منه وهو أرسلني يريد أنه من عباده المصطفين الأخيار كما أنهم من أولياء الشيطان، ويؤكد هذا أنهم سألوا: من أين هو؟ قاصدين بسؤالهم أنهم يعرفون القرية التي خرج منها، فنقلهم إلي المعني البعيد في السؤال السابق وهو: من أين هو؟ أمن الأخيار أم من الأشرار ليدرأهم عن محاولة قتله، ثمَّ ذكرهم بأنه رسول الله جاء من عنده ليبلغ رسالته، وأن الله .تعالي. حافظه من أعدائه .

٢ .وبمثل هذا يجاب علي ما ورد في إنجيل يوحنا (١٣: ٣) " أنه من عند الله خرج "[١]، فإن الفقرة كلها تقول: يسوع وهو عالم أن الآب قد دفع كل شيء إليه .أي أجري المعجزات علي يديه ،، وأنه من عند الله خرج، وإلي الله يمضى، فقوله: وأنه من عند الله خرج يريد به أنه من صفوة عباده، وأنه حسبه وكافيه فإن قتلوه فإنه ماض إلي لقائه ورضوانه .

٣ .وبنحو هذا أيضاً يظهر معني ما ورد في يوحنا " ١٦: ٣٠ " علي لسان تلاميذ المسيح (لهذا نؤمن أنك من الله خرجت)، وعند مطالعة أعداد يوحنا السابقة لهذا العدد نجده يذكر الأيام الأخيرة للمسيح عليه السلام علي ظهر الأرض، ثمَّ يشير إلي لقاء تلاميذه به ومخاطبة لهم واعداً إياهم بالثواب الجزيل، قائلاً : الأب نفسه يحبكم لأنكم قد أحببتموني، وآمنتم أني من عند الله خرجت، خرجت من عند الأب، وقد أتيت إلي العالم، وأيضاً أترك العالم وأذهب إلي الأب، قال له تلاميذه: هو ذا الآن تتكلم علانية ولست تقول مثلاً واحداً، الآن نعلم أنك عالم بكل شيء [*] ولست تحتاج أن يسألك أحد لهذا نؤمن أنك من الله خرجت، أجابهم يسوع: الآن تؤمنون " (يوحنا ١٦: ٢٧ . ٣١) .

فالنص السابق يفيد أنه أبلغهم أنه مرسل من ربه، فأقروا برسالته، فأثبت لهم الإيمان به وبالله .تعالي ،، لأن من كفر برسول واحد من رسل الله كفر بهم أجمعين وكفر بالله .تعالي ..

٤ .وبالإيضاح السابق يتضح معني ما نسبه يوحنا (١٧: ٨) إلي المسيح عليه السلام من قوله (لأن

---

(١) ينظر: لاهوت المسيح، ص ٤٤، ٦٣ .

(*) كان عيسي عليه السلام يختفي كثيراً عن أعين الناس قبل رفعه، فظن تلاميذه أنه لا يعلم شيئاً من بحث اليهود عنه، فلما أخبرهم أنه يعلم قالوا: إنه عالم بكل ما يجري .

السادة للفكر والثقافة
www.sadah.net

الكلام الذي قد أعطيتني أعطيتهم وهم قد قبلوا، وعلموا يقيناً أني خرجت من عندك، وآمنوا أنك أرسلتني) .

هذا النص الرابع (أو الخامس) (**) يستبين جلياً عند قراءة الأعداد السابقة لهن ففي يوحنا (١٧: ٦ . ٩) أنا أظهرت اسمك للناس الذين أعطيتني من العالم كانوا لك وأعطيتهم لي، وقد حفظوا كلامك، والآن علموا أن كل ما أعطيتني هو من عندك، لأن الكلام الذي أعطيتني قد أعطيتهم، وهم علموا يقيناً أني خرجت من عندك وآمنوا أنك أرسلتني، من أجلهم أنا أسأل .

فهو عليه السلام أبان أنه بلغ رسالات ربه ولم يكتم شيئاً مما أنزل عليه، ثمَّ توسل إليه . تعالي . طالباً قبول شفاعته فيهم لأنهم حفظوا كلامه . تعالي . وآمنوا برسوله، وأيقنوا أن الآيات التي أظهرها صنعها الله . تعالي . بقوته، فهذا أجدر لقبول شفاعته فيهم لذا قال: من أجلهم أنا أسأل، لست أسأل من أجل العالم .

وما كان عليه السلام يعني بقوله: خرجت من عندك إلا التشديد علي أنه رسول أرسله الله، وليس متنبئاً كاذباً أو مرسلاً من قبل نفسه أو أن الله . تعالي . قد تجسد به، كما قال يوحنا في رسالته الأولي (٤: ١) امتحنوا الأرواح هل هي من الله؟ لأن أنبياء كذبة كثيرين قد خرجوا " .

ويحقق هذه المعاني التي سقناها ما ورد في العهد الجديد من فقرات تبين أن المؤمنين بالله . تعالي . من الله والكافرين به من الشيطان .

- فقد نسب يوحنا (١٨: ٣٧) إلي المسيح قوله: " وكل من هو من الحق يسمع صوتي " .
- وفي الرسالة الأولي يوحنا (٤: ٤) قوله للمؤمنين " أنتم من الله أيها الأولاد " .
- وفي الرسالة نفسها (٤: ٦) يقول يوحنا عن نفسه وعن المؤمنين " نحن من الله فمن يعرف الله يسمع لنا ومن ليس من الله لا يسمع لنا، من هذا نعرف روح الحق وروح الضلال " .
- وفيها أيضاً (٤: ٧) يقول: " المحبة هي من الله، وكل من يحب فقد، وُلد من الله ويعرف الله " .

(**) علي اعتبار وجود شاهدين في النص الثالث .

السادة للفكر والثقافة
www.sadah.net

- وفيها أيضاً (٥: ١٨): " بل المولود من الله يحفظ نفسه " .

والمؤمنون بالمسيح عليه السلام من اليهود قالوا عندما رأوا المعجزات (لو لم يكن هذا من الله لم يقدر أن يفعل شيئاً) " يوحنا ٩: ٢٣ " .

وجاء في يوحنا (٨: ٤٧) قول المسيح لليهود: " الذي من الله يسمع كلام الله، لذلك أنتم لستم تسمعون، لأنكم لستم من الله " [*] .

وفي المقابل فإن الكافرين بالله . تعالي . خرجوا من الشيطان لأنهم أولياءه وأنصاره وأحبابه يربون عل يديه، ويصنعون على عينه .

ففي الرسالة الأولي ليوحنا (٣: ٨) من يفعل الخطية فهو من إبليس .

وفي إنجيل يوحنا (٨: ٤٤) ينسب للمسيح عليه السلام أنه قال لليهود: أنتم من أب هو إبليس .

فلو كان المراد بقوله : (خرج منه أو من عنده ...) اتحاد اللاهوت به أو أنه جزء منه لكان المؤمنون بالمسيح عليه السلام جزءاً من كيانه، وأقنوماً في جوهره، وكذا المتبعون للشيطان، ولا يصدق إنس ولا جن باتحاد إبليس بأوليائه من شياطين الإنس وحلول أجسادهم في جسده، إذ كيف تلتقي الطبيعتان !! .

٥ . ورد في إنجيل يوحنا (١٧: ١٠) أن المسيح عليه السلام خاطب الله . جل ثناؤه . قائلاً: وكل ما هو لي فهو لك، وما هو لك فهو لي [١] .

هذا النص يوضحه النص المذكور قبله في طلبه الشفاعة لتلاميذه لصدق إيمانهم به، إذ يقول (١٧: ٩، ١٠): من أجلهم أنا أسأل، لست أسأل من أجل العالم، بل من أجل الذين أعطيتني لأنهم لك، وكل ما هو لي فهو لك، وما هو لك فهو لي، وأنا مُمجّد فيهم .

(*) وفي القرآن الكريم يقول . تعالي .: [illegible] سورة الجاثية، آية (١٣)، ولا يحمل المسلمون هذه الآية علي ظاهرها الحرفي من حلول الإله . سبحانه وحاشاه . في مخلوقاته .

(١) لاهوت المسيح، للأنبا شنودة، ص ٢٤، ٢٥ .

السادة للفكر والثقافة
www.sadah.net

قوله لأنهم لك: أي من خلقك وعبادك المؤمنين بك، الذين عملهم طاعتك والدفاع عن دينك، هذا في الدنيا، وفي الآخرة هم لثوابك وجنتك .

قوله: وكل ما هو لي فهو لك: يريد كل ما له من الطاعة والتعظيم ... راجع إليك لأن كل رسول ونبي وولي ومؤمن لا يحب لذاته، وإنما يحب ابتغاء مرضات الله .

قوله: وما هو لك فهو لي: يريد به الإرادات والأعمال والقربات التي تُقدم لك هي لي، لأنها تثبت صدقي في البلاغ عنك، لذا قال بعدها: وأنا مُمجَّد فيهم .

٦. أورد يوحنا في إنجيله ١: ١٨ من كلامه: (الابن الوحيد الذي هو في حضن الأب هو خبَّر) [١] .

والجواب: أن هذا مجاز يدل علي شدة القرب والعناية .

وأول هذه الفقرة يبرهن علي هذا، فإنه قال قبله: (الله لم يره أحد قط، الابن الوحيد الذي هو في حضن الأب هو خبَّر) .

فلو كان إلهاً ما صح خبره السابق، فإنه قد رُئي .

كما أن قوله: (الذي هو في حضن الأب) قد ورد نظيره في حق غير المسيح عليه السلام، فإن سفر مراثي أرميا (٢: ٢٢) ذكر أن الله . تعالي . قال عن بني إسرائيل عندما وقعوا في الأسر والقتل: (الذين حضنتهم وربيتهم أفناهم عدوي)، فظاهر هذا النص يقرر أن بني إسرائيل حينئذ كانوا في حصن الأب ، ولم يُفهم منه أن المقصود اتحاد اللاهوت بناسوت بني إسرائيل، وإلا لكانوا آلهة، بل المعني: أنه ربَّاهم علي طاعته.

٧ . وأصرح من هذا النص وأكمل ما ورد في سفر التثنية ٣٣: ١٢ من قول يعقوب عليه السلام في وصف ابنه بنيامين (حبيب الرب يسكن لديه آمناً يستره طوال النهار وبين منكبيه يسكن)، ولا ريب أن الساكن بين منكبي الرب أرفع درجة واعلي قدراً من الجالس في حضن، فلو كان قول

---

(١) ينظر: شخصية المسيح في الإنجيل والقرآن، لإسكندر جديد، ص ٤٢، ٤٣، ط ٢، سنة ١٩٩٥م، وابن الله بشائر البشارة العشرة، للقمص: سيداروس عبد المسيح، ص ٧٢، وطريق الصليب، ص ٦، د/ القس صموئيل حبيب، نشر دار الثقافة،القاهرة،ط٤، سنة ١٩٩٠م، ولاهوت المسيح، للأنبا شنودة، ص ٢٦، ولاهوت المسيح، للقس/ عبد المسيح أبو الخير، ص ٥٧ .

السادة للفكر والثقافة
www.sadah.net

يوحنا في إنجيله، الذي في حضن الأب، مثبتاً اتحاد اللاهوت بناسوت المسيح عليه السلام لكان بنيامين أحق بذلك، ولم يحتج اليهود ولا النصارى بالفقرة السابقة علي إلهية بنيامين، فلا يصح الاحتجاج بفقرة يوحنا من باب أولي، فتعين حمل نص يوحنا علي المجاز وإلا لقيل بإلهية بني إسرائيل وبنيامين ولا قائل به .

٨ . ما أورده يوحنا في إنجيله ١٢: ٤٤ علي لسان المسيح عليه السلام: (الذي يؤمن بي ليس يؤمن بي بل بالذي أرسلني) .

هذا النص يدل علي ما سبق بيانه من أن الأنبياء والأولياء لا يحبون إلا ما يحب الله ولا يبغضون إلا ما يبغضه، ولا يصدر منهم قول أو فعل إلا وهو راض فيه يسمعون وبه يبصرون .

وإذا ثبت أن حالته عليه السلام هذه مع الله . تعالي . دل علي أن من آمن به آمن بالله . جل شأنه . ومن أطاعه، فقد أطاع الله . سبحانه . .

٩ . وبنحو هذا يظهر معني ما أورده يوحنا (١٤: ٧) من قول المسيح عليه السلام: (لو كنتم قد عرفتموني لعرفتم أبي أيضاً)، وقوله ٨: ١٩: (لو عرفتموني لعرفتم أبي أيضاً) [١] لأن من آمن بالله . جل شأنه . آمن برسوله عليه السلام، ومن آمن بالرسول عليه السلام آمن بالله . تعالي .،لتلازم الإيمان بها، ومن عرف الرسول عليه السلام عرف الله . تعالي .، ومن عرف الله . تعالي . عرف رسوله عليه السلام،ومن عرف الرسول عليه السلام عرف الله . تعالي .، لاتصال المعرفتين، وقد نفي النصان ما يدل علي الاتحاد حيث كررا لفظة (أيضاً)، فإنها نافية للحلول والاتحاد لاختلاف المعرفة عن الطرفين، ويزيد هذا الراد وضوحاً ما ورد عند يوحنا ١٣: ٢٠ من قول المسيح عليه السلام الحق أقول لكم، الذي يقبل من أرسله يقبلني والذي يقبلني يقبل الذي أرسلني) [٢] .

١٠ . ويعلم المراد أكثر بذكر النصوص المقابلة للنصوص السابقة نحو ما ذكره يوحنا ٥: ٢٣ حكاية علي لسان المسيح عليه السلام: (من لا يكرم الابن لا يكرم الآب الذي أرسله) وقوله في يوحنا ١٥: ٢٣: (الذي يبغضني يبغض أبي أيضاً) .

---

(١) لاهوت المسيح، م س، ص ٢٦ .

(٢) ومثله في متى (١٠: ٤٠) " ومن يقبلني يقبل الذي أرسلني " .

السادة للفكر والثقافة
www.sadah.net

هذا الكلام موافق للمقصود السابق، فإن الاستخفاف بالرسول استخفاف بمُرسله، وبغضه بغض لمن أرسله،ورفضه رفض لمن بعثه،وقد صرح صموئيل(*)(صموئيل الأول ٨: ٧) بما يدل علي هذا التأويل الذي ذُكر هو المراد حيث حكي عن ربه .تعالي. أنه قال له: (لأنهم لم يرفضوك أنت بل إياي رفضوا) .

فإذا كان المسيح عليه السلام قد اتحد به اللاهوت، فقد اتحد بصموئيل، ولم يُقل هذا في حق صموئيل فلا يقال في حق المسيح عليه السلام، ثم إنَّ النصوص السابقة لقوله " من لا يكرم الابن لا يكرم الأب الذي أرسله " قاطعة لما يُتخيل من إرادة ظاهر اللفظ، إذ فيها " الحق الحق أقول لكم لا يقدر الابن أن يعمل من نفسه شيئاً إلا ما ينظر الأب يعمل، لأن مهما عمل ذاك فهذا يعمله الابن كذلك، لأن الأب يحب الابن ويُريه جميع ما هو يعمله، وسيريه أعمالاً أعظم من هذه لتتعجبوا أنتم ... لكي يكرم الجميع الابن كما يكرمون الأب، من لا يكرم الابن لا يكرم الأب الذي أرسله " (يوحنا ٥: ١٩ .٢٣) .

فصرح في أول هذا النص بما لا يدع مجالاً للشك بأنه خاضع لربه منفذ لأمره عامل بطاعته، وهذا حال الأنبياء والمرسلين، لا حال الإله الآمر الناهي، وأكد هذا بأنَّ الله .تعالي. سيهبه من الآيات البينات ما يثير إعجابهم ويزيد إيمانهم وينير قلوبهم .

ثم في ختام قوله هنا علل وقوع المعجزات علي يديه بإكرام الناس له بما يليق بقدره كرسول، وبما يليق بجلال الله .تعالي. علي قدر عظمته، وأومأ للمباينة بين قدر الإكرام في الحالين فجعل إكرامه مُشبهاً، وإكرام ربه .تعالي. مشبهاً به .

ثمَّ قال: من لا يكرم الابن لا يكرم الأب الذي أرسله، فميَّز بين المُرسِل والمُرسَل، وهذا ناف للاتحاد مثبت للعبودية والرسالة .

١١.وبمثل المعاني آنفة الذكر يتجلى معني ما أورده لوقا (١٠: ١٦) من قول المسيح: (الذي

(*) وهو نبي عندهم، انظر: الأنبياء والنبوة والتنبؤ، للقس/ عبد المسيح بسيط أبو الخير، ص ٦١، ٦٢، ط مطبعة المصريين، القاهرة، سنة ١٩٩٧م .

السادة للفكر والثقافة
www.sadah.net

يسمع منكم يسمع مني) [1] .

فإنه باعتباره مرسلاً من الله . جل شأنه . يكون السماع منه سماعاً من مُرسِله، ويؤيد هذا أنه قال في بقية الفقرة: (والذي يرذلكم يرذلني، والذي يرذلني يُرذل الذي أرسلني)، فانظر كيف أثبت لنفسه الرسالة ولربه الوحدانية والتعظيم، ويؤكد قطع الاتحاد أيضاً قوله: (الذي يسمع منكم يسمع مني) فلو كان متحداً بالله . سبحانه . لكان تلاميذه متحدين به أيضاً .

وعند النظر في إنجيل يوحنا نجده يوضح معني السماع من الله بمعني سماع كلامه، فقد أورد قول المسيح عليه السلام لليهود (٨: ٤٧): (الذي من الله يسمع كلام الله، لذلك أنتم لستم تسمعون، لأنكم لستم من الله) .

ثمَّ قدم علي هذا النص نصاً آخر ينفي اعتقاد الاتحاد اعتماداً علي هذه المعاني، فذكر قول المسيح عليه السلام (٥: ٣٧): " والأب نفسه الذي أرسلني يشهد لي، لم تسمعوا صوته قط، ولا أبصرتم هيئته " .

فهذا النص مزيل لكل لُبْسَةً في هذا الباب .

١٢. وكذلك ما استندوا إليه للقول بالاتحاد من قول المسيح عليه السلام " أنا حي بالأب " (يوحنا ٦: ٥٧) [2] لا يصحح دعواهم، فإنه محمول علي الحياة الروحية القلبية القائمة علي ثبات أنوار الطاعة وحلاوة الإيمان في قلبه كأنه يقول: لولا الله ما اهتديت ولا تصدقت ولا صليت ولا حييت، وبولس نفسه، الذي هو أعظم الخلق بعد المسيح وأمه عندهم، يثبت هذا المراد فيقول في رسالته الثانية إلي أهل كورنثوس (١٣: ٤) " لأنه وإن كان صُلب من ضعف، لكنه حي بقوة الله، فنحن أيضاً ضعفاء فيهن لكننا سنحيا معه بقوة الله من جهتكم " .

وصدر هذا النص ناف للاتحاد مثبت للعبودية والرسالة في حق المسيح عليه السلام، إذ يقول: " كما أرسلني الأب الحي، وأنا حي بالأب " فجعل الحياة المطلقة الباقية . التي لا تركن علي شيء لبقائها . لله . جل شأنه . وحده، وجعل حياته بأمر الله وحكمه، وأنزل نفسه منزلة العبد الرسول، وفي هذا

---

(١) احتج بهذا النص ونحوه علي الاتحاد، الأنبا غريغوريس في كتابه أنت المسيح الله ابن الله الحي، ص ٤٥ .

(٢) ينظر: أنت المسيح الله ابن الله الحي، للأنبا غريغوريس، ص ٤٧ .

السادة للفكر والثقافة
www.sadah.net

إبطال مساواة الابن لجوهر الأب .

ودعوى الحلول بهذا النص يكذبها اعتقادهم حياة المسيح بالروح القدس، فإن روح القدس أقنوم الحياة للأب والابن، فإذا كان المسيح حياً بالأب فلن يكون حياً بالروح، وينتقل الأب من صفة الوجود إلي صفة الحياة ويُلغي عمل الروح القدس، فتفسد أعمال الأقانيم وصفاتها وخصائصها ويذهب التثليث جملة .

وبهذا يتبين أن ما ادعوه من اعتقاد الاتحاد استمساكاً بهذه النصوص وأشياعها لا يحقق دعواهم ولا يصحح اعتقادهم .

وإضافة إلي ما ذكرناه، فإنَّ لنا ملاحظات سريعة علي هذا الاعتقاد :

١ . لا يصح أن يقال الله ابن مريم . ولو جاز أن يكون المولود إلهاً للزم أن تكون مريم إلهة .

٢ . قد آمنوا أن الإله قد حل في بطن مريم واستمر في أحشائها تسعة أشهر، فهل يسع بطن امرأة خالق كل شيء .

والله . تعالي . لا يحده مكان ولا زمان، وهذا يبطله ما جاء في سفر أرمياء (٢٣: ٢٤) من قول الرب: " أما أملأ أنا السماوات والأرض يقول الرب ، ويستحيل أن يحد المحدود اللا محدود " .

٣ . الكلمة إذا اتخذ جسداً كاملاً صار اثنين أحدهما المسيح الإله والآخر المسيح الإنسان .

٤ . يفهم من قولهم الكلمة اتخذ جسداً أن الإله صار إنساناً حتى قال بطلهم اثناسيوس: " الرب صار إنساناً وأخذ طبيعة إنسان " [١]، فقد تحول عن الإلهية إلي الإنسانية وصار الكون بلا إله ! .

٥ . إذا كان الله . تعالي . هو الأول الأزلي غير المحدود في الزمان والمكان فكيف تكون العذراء هي أمهن وهي مخلوقة ولها بداية كيف يكون للأول (الأزلي) أم حادثة مخلوقة ؟ ! .

٦ . إذا كان المسيح بناسوته قد جاء من مريم العذراء فيقتضي أن عابديه يعبدون مخلوقاً .

---

(١) تجسد الكلمة، ص ٥٨ .

السادة للفكر والثقافة
www.sadah.net

٧. كيف يستقيم قولهم إن: " حلول اللاهوت أو نزوله، لم يكن انتقالاً من مكان إلي آخر ومن السماء إلي الأرض " [١] مع قولهم واعتقادهم أنه مكث في أحشاء العذراء تسعة أشهر .

هذا معناه أنه نزل وحل واتحد ودخل ومكث وخرج من بطنها ... لكنه لم ينتقل من مكان إلي آخر !!

٨. غير المتغير إذا تجسد بالجسد المتغير غيره عن طبيعته البشرية جميعها أو أزاله، والله . جل شأنه . لا يتغير ولا يتحول ولا يتبدل كما ورد في قول الرب . تعالي . لملاخي: (إني أنا لا أتغير) (ملاخى ٣: ٦) .

٩. يقينهم بأن الله لا يراه أحد، ولا يقدر أن يراه أحد حتى الملائكة لا يمكن أن يروا جوهره، وإن بعضهم يغطي وجهه من ضياء عظمته كما في سفر أشعياء ٦: ٢ ، يناقض إيمانهم بالتجسد الإلهي، لأنه إذا كانت أعظم المخلوقات لا تقدر علي رؤيته فكيف يستطيع إنسان أن تحل فيه ذات الإله . سبحانه ..

١٠. قد قالوا: إن للابن جميع صفات الأب من الوجود والكلام والحياة والقدرة .. فيلزم منه أن هذه الصفات لم تقم بذاته أثناء حمله في بطن مريم، وهذا يعني أن تدبير الأمر في الكون قد تعطل تسعة أشهر ويلزم من ذلك فناء الكون، ثم كيف يستسيغ العقل بعد ذلك أن يصدق أنه بعد أن صار معصوراً ومحبوساً في الجسد " لم يحد التجسد من وجوده في كل مكان ؟ " [٢] .

١١. قد أقررتم أنه لم يكن قبل التجسد ناسوت، وكان اللاهوت وحده [٣] .

فما رأيكم في إقراركم بان الإله دخل علي إبراهيم عليه السلام فأضافه واكل وشرب عنده (تكوين ١٨: ١ . ٨) !!

فإن قلتم: إن الآكل والشارب هو الله . تعالي . ، فقد صيرتم الله . تعالي . كالإنسان، وقد جاء في كتابكم أن الله . تعالي . قال: (لأني الله لا إنسان) (هوشع ١١: ٩)، ثمَّ عن في سكوتكم عن حمل

---

(١) إذا كان المسيح إلهاً فكيف حُبل به وولد ؟، ص ١١٩ .

(٢) السابق، ص ٥٥ .

(٣) يراجع: إذا كان المسيح إلهاً، ص ٨٤ .

السادة للفكر والثقافة
www.sadah.net

هذا علي المجاز إقراراً بأن الأب إنسان، فحلوله علي الناسوت حلول ناسوت علي ناسوت، فلا يبقي لكم اعتقاد ولا دين .

وإن قلتم: إن الآكل والشارب الناسوت المتحد باللاهوت .وأنتم لن تقولوا به .لزم وجود اتحاد قبل الاتحاد الإلهي بعيسي عليه السلام .

١٢. في إقرارهم بأن روح القدس حل في بطن مريم مع اتحاد اللاهوت والناسوت في أحشائها إثبات لحلول ثلاثة وهم يعينون التجسد باتحاد اللاهوت والناسوت فقط [١] .

١٣. يلزم من قولهم: إنه نزل من السماء ولم تخل منه السماء طرفة عين أن يكون قد نزل من السماء ومع ذلك ظل موجوداً في السماء، بل قد قالوا بذلك !!

وأكثره منه إذ قالوا : " كان في بطن العذراء ومع ذلك كان جالساً علي العرش يدير الكون بقوة لاهوته غير المحدود " [٢] .

١٤. وإن مما يثير العجب إقرارهم: " بأن المولود من زمني هو زمني "، ثم يقولون: وإنما وُجد . المسيح . بعد وجودها، لأنه منها، والعذراء مجبولة [*]، فهو مجبول من العذارء، والعذراء حادثة زمنية مخلوقة وهو مولود منها، حبلت به وولدته ورضع من لبنها، ودُعي ابنها . ابن مريم . مع أنه الموجود منذ الأزل بلاهوتهُ، فقد كان بلاهوته منذ الأزل، فهو الله الدائم الوجود، الأبدي الأزلي غير الزمني [٣] .

١٥. في نزوله من السماء ودخوله في أحشاء العذراء، هل أخلي نفسه أم حل بذاته كلها ؟ يجيبون بأنه تنازل عن عظمته وغناه وأخلي ذاته وأخذ صورة عبد لأجل الطبيعة البشرية التي اتخذها، ففي رسالة بولس إلي أهل فليبي (٢ : ٧ . ٩) " الذي إذ كان في صورة الله " [٤] لم يحسب

---

(١) السابق، ص ١١٥ .

(٢) التجسد الإلهي، لكيرلس، ص ٣٠، وإذا كان المسيح إلهاً، ص ١٢٠ .

(*) مجبولة : أي مخلوقة .

(٣) السابق، ص ٨٤، ٨٥ باختصار .

(٤) أي علي شبه الله والمقصود أنه تخلق بصفات الله علي قدره كمخلوق، ولا يقصد به الاتحاد، ويؤيد ذلك ما ورد في سفر التكوين ٩ : ٩ " لن الله علي صورته عمل الإنسان " .

السادة للفكر والثقافة
www.sadah.net

خُلْسة أن يكون معادلاً لله، لكنه أخلي نفسهُ، آخذاً صورة عبد، صائراً في شبه الناس، وإذا وُجد في الهيئة كإنسان وضع نفسه، وأطاع حتى الموت موت الصليب لذلك رفعه الله أيضاً .

ومع أن النص قاطع وجازم في إلغاء الاتحاد والمماثلة لله . جل شأنه ، وإثبات إنسانية المسيح عليه السلام وعبوديته لربه طوال عمره، إلا أنهم استدلوا به علي إثبات الحلول، وفسروا قوله أخلي نفسه بأنه أخي ذاته عن كونه رب المجد [١] .

وفسروا قوله: وضع نفسه بأنه تواضع، ونازل عن كونه رب المجد .

يقول القس عبد المسيح أبو الخير شارحاً للنص السابق : " ولم يكن نزوله انتقالاً من مكان لآخر، وإنما كان تنازلاً، إذ كما يقول الكتاب: أخلي نفسه آخذاً صورة عبد ... وضع نفسه " فيلبي ٢: ٦ . ٧ " [*] أنه أخلي نفسه، وضع نفسه أي تنازل عن مجد لاهوته واتخذ فقر ناسوته كما قال الكتاب: افتقر وهو غني (٢ كورنثوس ٨: ٩) [٢] ، تنازل عن كونه " رب المجد " (١ كورنثوس ٢: ٨) [٣]، وأخذ صورة العبد الفقير النجار الناصري، واحتمل ما لا يمكن أن يحتمله لولا تنازله وتجسده [٤] .

هذا نص كلامه الذي يتجلي منه أنه حذف من النص المذكور ما يقطع بثبوت بشرية المسيح عليه السلام وهو قول بولس . رسول الإيمان عندهم : " صائراً في شبه إنسان، وإذا وُجد في الهيئة كإنسان " كما لم يذكر بالفقرة السابقة وهي رقمها ستة والتي لابد من ذكرها لفهم النص، ونصها كما سبق " الذي إذا كان في صورة الله لم يحسب خُلسة أن يكون معادلاً لله " وهي تجزم بنفي الاتحاد والمساواة للجوهر والمشابهة له، وأيضاً لم يذكر بقية الفقرة الثامنة " وأطاع حتى الموت موت الصليب "، وهي تؤكد بأنه مطيع لربه خاضع له .

---

(١) العهد الجديد بالخلفيات، ص ٢٥٠، وإذا كان المسيح إلهاً، ص ١٢٠، وابن الله، للأب متي المسكين، ص ١٦ .

(*) هذا خطأ صوابه (فيلبي ٢: ٧، ٨) .

(٢) عند مراجعة الإصحاح ٨ من ٢ كورنثوس يتضح أن بولس يدعو أهل كورنثوس للإنفاق، ولا يوجد في قوله في الموضع نفسه ما يدل علي الاتحاد .

(٣) عند مطالعة هذه الفقرة لن تجد فقرة قبلها ولا بعدها تدل علي الحلول والاتحاد .

(٤) ينظر: إذا كان المسيح إلهاً، ص ١٢٠، وينظر: التجسد الإلهي، لكيرلس الكبير، ص ٣٦ .

السادة للفكر والثقافة
www.sadah.net

ثمَّ إن اعتقادهم إنه أخلي ذاته يستدعي :

أ .أنه إذا أخلي ذاته صار بلا ذات، إذ معناها في اليونانية: أفرغ، وإذا صار بلا ذات فلا اتحاد، لأنه يكون حالاً بأسمائه وصفاته .

ب .وكونه أخلي ذاته يقضي علي إلهيته سواء علي معني الإخلاء الحقيقي الذاتي أو علي المعني المجازي ترك المجد والعظمة .

ج .كما أنه إذا تجسد بالناسوت حال كونه تاركاً مجده أسقط ربوبيته ولم يرفع شأن المسيح عليه السلام، وهذا يبطل عقائدهم جمعاء .

شبهة لفظية: (قوله .تعالي : وكلمته ألقاها إلي مريم وروح منه(النساء ١٧١) :

تاسعها: ومما اعتمدوا عليه لإثبات إلهية عيسي عليه السلام بما جاء في القرآن العظيم من إطلاق كلمة الله علي عيسي عليه السلام في قول الله .تعالي .: **(يا أهل الكتاب لا تغلوا في دينكم ولا تقولوا علي الله إلا الحق ..... وكفي بالله وكيلاً)** قالوا: إن المسيح هو الوحيد من كل أنبياء القرآن الذي سمي كلمة الله لماذا؟ لأن المسيح هو الله [١] .

قلت : سياق الآية في مبتدئه ومنتهاه يشرح وحدانية الله .تعالي . وكمال أحديته وتنزيهه عن الولد والوالد والصاحبة والشريك ووجوب الإيمان به وبرسله، وثبوت رسالة عيسي عليه السلام ونفي القول بألوهيته واتحاد الإله .سبحانه .به [*] .

بل إنَّ الآيات التي جاءت قبل هذه الآية وبعدها في السورة عينها كررت القول بأن عيسي عليه السلام عبد الله ورسوله، فقد جاء قبلها قول الأحد . سبحانه .

---

(١) يراجع: استحالة تحريف الكتاب المقدس، ص ١٢١، وشخصية المسيح في الإنجيل والقرآن، لإسكندر جديد، ص ٣٣، ط٢، سنة ١٩٩٥م، من هو المسيح، د/ داود رياض، ص ٣٢، ٣٣، ٤٠ . ٤٢ .

(*) للتفصيل تراجع كتاب: تفسير القرآن الكريم .

السادة للفكر والثقافة
www.sadah.net

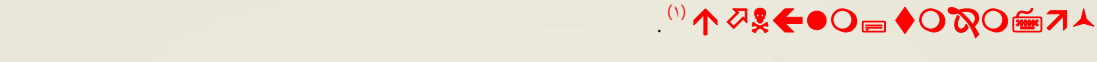

وجاء بعدها قوله . جل ثناءه .

كما أن السورة التي ذكرت قبل هذه السورة. وهي سورة آل عمران. والسورة التي جاءت بعدها في ترتيب المصحف. وهي سورة المائدة أكدت هذه الحقيقة، ففي سورة آل عمران الآية التاسعة والأربعين يقول . تعالي .

وفي سورة المائدة الآية الخامسة والسبعين يقول. سبحانه .

ويكشف حجة الإسلام غطاء هذه الشبهة قائلاً: المولود إنما يتكون مسبباً عن سببين:

أحدهما: في الأنثيين [٣]، وهو أحد نوعي القوة المولِّدة، وهي القوة التي يصير الدم فيها بحال يكون بها مستعداً لقبول قوة الحياة من واهب .

والثاني: القوة الموجودة في المني إذا انتقل إلي الرحم وانضمت إليه سائر الشرائط بأن يكون مادة دافقاً صحيحاً قوياً لا فساد فيه ولا ضعف، ويكون الرحيم صحيحاً لا علة به ولم يحصل للمرأة عقيب الجماع حركة مزعجة عنيفة فيحصل بها زلق المنيَّ من الرحم، فحينئذ يستعد لقبول القوة المصورة من واهب الصور، فإذا صار عنها تشكيلات الأعضاء كان ذلك مقارباً للصورة العُضوية وفساداً للصورة المنوية، فيستعد حينئذ لقبوله الروح من واهبها .

هذا هو السبب العادي في تكوين كل مولود .

وإذا ثبت ذلك فنقول: إن كل شيء له سبب قريب وسبب بعيد، فالأكثر إضافته إلي سببه القريب، فيقال عند رؤية الرياض الخُضر، انظر إلي صنع المطر، والله هو الصانع الحقيقي !! .

---

(١) سورة السناء، الآية (١٥٧) .

(٢) سورة النساء، الآية (١٧٢) .

(٣) الأنثيان: الخصيتان .

السادة للفكر والثقافة
www.sadah.net

و لو رؤى نبات نَضِر علي صَلّد،والشمس في الأسد لقيل: انظر إلي صنع الإله !! فيصرح بالسبب الحقيقي لفوات السبب العادي !! .

وإذا وضح هذان الأصلان نقول: السبب القريب في حق عيسي عليه السلام لما دل الدليل علي عدم وقوعه أضيف تكوينه إلي السبب البعدي، وهو الكلمة، لأنم كل أحد مخلوق بكلمة الله القائل بها لكل مخلوق: كن، فإذا هو كائن !! .

فلهذا السبب صرح في حقه بذلك، إشارة إلي انتفاء السبب القريب العادي، وأنه إنما كُوِّن بالكلمة التي هي كن من غير مني !! ليمكن إضافة التكوين إليه .

ثمَّ أوضح ذلك بقوله: " ألقاها إلي مريم " يريد أن الولد إنما يتكون من إلقاء المني إلي أمه، وهذا المولود لم يخلق إلا بإلقاء الكلمة إلي أمه التي هي عبارة عن الأمر بالتكوين، فإذاً الإلقاء مجازي .

وقد ورد مثل ذلك في حق آدم عليه السلام لما اشتركا في عدم التكوين عن الأسباب العادية ... قال . عز من قائل : [illegible] [1] [2] .

ويقول الإمام القرافي:وأما الكلمة فمعناها أن الله . تعالي . إذا أراد شيئاً أن يقول له كن فيكون، فما من موجود إلا وهو منسوب إلي كلمة كن، فلما أوجد الله . تعالي . عيسي عليه السلام قال له : كن في بطن أمه فكان .

وتخصيصه بذلك للشرف وعلو المنزلة، فهذا معني معقول متصور، ليس فيه شيء مما يعتقد فيه من أن صفة من صفات الله حلت في ناسوت عيسي عليه السلام، وكيف يمكن في العقل أن تفارق الصفة الموصوف، بل لو قيل لأحدنا أن علمك أو حياتك انتقلت لزيد، لأنكر ذلك كل عاقل، بل الذي يمكن أن يوجد في الغير إلي محل فمحال، لأن الحركات من صفات الأجسام، والصفة ليست جسماً، فإن كانوا يعتقدون أن الصفات أجسام والأجسام صفات، وأن أحكام المختلفات

---

(١) سورة آل عمران، الآية (٥٩) .

(٢) الرد الجميل (أ) ص ٥٨ . ٦٠ (ب) ص ١٩٨ . ٢٠١ (جـ) ص ١٦٥ . ١٦٧، وقارن بما جاء في الأجوبة الفاخرة، ص ٨٢ . ٩٠، وتخجيل من حرف التوراة والإنجيل ١/ ٤٠٦، ٤٠٧ .

السيادة للفكر والثقافة
www.sadah.net

وإن تباينت شيء واحد سقطت مكالمتهم، بل يقطع بأنهم أبعد عن موارد العقل ومدارك النظر، وبالجملة فهذه كلمات عربية في كتاب عربي، فمن كان يعرف لسان العرب حق معرفته في إضافاته وتعريفاته وتخصيصاته وتعميماته وإطلاقاته وتقييداته وسائر أنواع استعمالاته فليتحدث فيه ويستدل به، ومن ليس كذلك فليقلد أهله العلماء به .. "[١].

وبذلك تدفع سائر الأدلة التي اقتطعها القائلون بإلهية عيسي عليه السلام من آيات الق{آن العظيم من سياقها ولحاقها ظانين تحقيق غرضهم بذلك[٢]، وأني لهم ذلك وآيات الكتاب العزيز قاطعة بنقيض ما يدينون به .

قوله (وروح منه) بقيت في آية النساء مسألة أخري وهي قوله . جل وعلا . (وروح منه) التي استدلوا بها لإثبات الاتحاد[٣].

يبين حجة الإسلام معني ذلك فيقول: أي وروح تكوينها صادر عنه، منفكاً في الأسباب العادية التي يضاف إليها المسبَّب عادة، فالصلة في مكان الصفة للروح[٤].

أي إنها روح صدر من الله .تعالي. بدون تدخل سبب .

والجواب علي ما ادعوه هنا من وجوه:

أحدها: أن هذه المباحثة عربية[٥] في كتاب عربي فأهل العربية هم أعلم بتأويلها، وقد قالوا[*]: إنَّها روح صارت عنه .تعالي. مباشرة بدون سبب من ملك أو غيره، لأن كل إنسان تأتيه الروح عن طريق نفخة الملك المسئول عن الأرحام، وهذا كقول الله . تعالي . ↓ ☼♦ᔓ♦□♦

---

(١) ينظر: الأجوبة الفاخرة، ص ٨٦ . ٩٠ بتصرف .

(٢) يراجع: استحالة تحريف الكتاب المقدس، ص ١٣٠ . ١٣٤، ومن هو المسيح، د/ داود رياض، الكتاب كله، والتجسد الإلهي هل له بديل،ص ٥٣ . ٥٦، وشخصية المسيح في الإنجيل والقرآن، لإسكندر جديد، ص ٥ . ٣٨ .

(٣) ينظر: استحالة تحريف الكتاب المقدس، ص ١٣٠، ومن هو المسيح، د/ داود رياض، ص ٤٤، ٤٨ .

(٤) الرد الجميل (أ) ص ٦٠ (ب) ص ٢٠١ (جـ) ص ١٦٧ .

(٥) السابق، الموضع نفسه، وانظر: الأجوبة الفاخرة، ص ٨٩، ٩٠ .

(*) في كتب تفسير القرآن الكريم شرح مستفيض لهذا الموضوع .

السادة للفكر والثقافة
www.sadah.net

[1] فكل النوق مِلك لله . سبحانه . وقد خلقت بأمره وقوله لكنها خُلقت بسبب عادي، أما ناقة صالح عليه السلام فقد خرجت من الصخور ولم تخرج من بطن ناقة أخري .

الثاني: هذا لا يفيدكم شيئاً في مطلوبكم، إذ ليس اعتقاد أحد منكم أن روح الأب اتحد بالمسيح عليه السلام، وإنما الذي اتحد به هو العلم [2] .

ثانياً : مناقشة كتاب الرد الجميل لأدلتهم علي إلهيته عليه السلام من إطلاق الأسماء الإلهية عليه :

مما استند إليه القائلون بإلهية عيسي عليه السلام لدعواهم إطلاق الأسماء الإلهية عليه، وهذه الأسماء كثيرة جداً، ويكفينا للدلالة علي كثرة هذه الأسماء أنهم نعتوه بأغلب أسماء الله الحسنى الموجودة في الدين الإسلامي، بل وزادوا عليها أسماء أخري كالمخلص ومعطي الروح القدوس والبكر ورئيس الخلاص ...، لأنهم أدخلوا الأسماء في الصفات في الأفعال ولم يميزوا بينها بضابط معين، ثمَّ أضافوا براهين أخري أسموها بالأمجاد الإلهية، ويعنون بها أنه أمرهم بالإيمان به والسجود له [*].

ويكفي في دفع إثبات الإلهية له عليه السلام من خلال هذه الأسماء والصفات والأفعال ما جاء من مقتضى المنقول . والمعقول . في كتبهم من إثبات إنسانيته وعبوديته لربه، وقيامه برسالته، وإطلاق أسماء له، لقيامه بهذه الأمور كالمعلم وابن الإنسان والإنسان والبار والمسيح والنبي والرسول ...

---

(1) سورة الشمس، الآية (١٣) .

(2) تخجيل من حرف التوراة والإنجيل ١/ ٤٠٦ .

(*) من هذه الألقاب التي ذكروها: الكلمة (يوحنا ١: ١، ١٤) النور الحقيقي (يوحنا١: ٩) الابن الوحيد (يوحنا ١: ١٨)، الرب (يوحنا ١: ١٨) . يسوع . أي يهوه المخلص (يوحنا ١: ٢٩)، حمل الله (يوحنا ١: ٢٩، ٣٦)، الذي يعمد بالروح القدس (يوحنا ١: ٣٣)، ابن الله (يوحنا ١: ٣٤)، رابي (أي المعلم !) (يوحنا ١: ٣٨)، المسيح (يوحنا : ٤١)، (ملك) إسرائيل (يوحنا ١: ٤٩)، ابن الإنسان (يوحنا ١: ٥١)، عمانوئيل الذي تفسيره الله معنا (متي ١: ٢٣)، إلهي (يوحنا ٢٠: ٢٨)، البكر (رؤيا ١: ٥)، البارقليط علي معني المؤيد !!، انظر: ثلاث حقائق أساسية في الإيمان المسيحي، ص ٦٢ . ٦٩، إيماننا المسيحي صادق وأكيد، ص ٢٢٦، ٢٢٧، وحوار حول الثالوث، ص ٤٠، شبهات وهمية حول الكتاب المقدس، القس د/ منيس عبد النور، ص ٣٦٢ .

السادة للفكر والثقافة
www.sadah.net

ويذكر الإمام الغزلي رداً عاماً علي ما أطلق عليه عليه السلام فيقول: كم " ورد في كل شريعة من ظاهر مصادم لصريح العقل، وأوله علماء تلك الشريعة ... كل ذلك لقضاء صريح العقل باستحالة كون هذه الظواهر مراده ... وكيف يصادم المعقول من كان متمكناً من حمل الكلام علي محامله السديدة [1] .أ.هـ

ونحن نقف هنا مع أهم الأسماء الإلهية التي أطروا بها المسيح عليه السلام، كالإله (أو الله) والرب وملك الملوك ورب الأرباب .

أما إطلاق لقب الإله عليه، فإنهم يقولون: إنه جاء في الأسفار لفظ إله مشاراً به إلي لاهوت المسيح، ففي سفر أشعيا ٩: ٦ " ويدعي اسمه عجيباً مشيراً إلهاً قديراً " .

ومنها ما ورد برسالة بولس إلي أهل رومية ٩: ٥ " ومنهم المسيح حسب الجسد الكائن علي الكل إلهاً مباركاً إلي الأبد " .

ومنها ما في إنجيل يوحنا ٢٠: ٢٨ عن توما تلميذ المسيح: " أجاب توما وقال له: ربي وإلهي " .

يجيب حجة الإسلام علي ذلك قائلاً: هل المراد بهذا الإطلاق تعظيمه لأن الإله يطلق علي كل عظيم، وقد قال في الإنجيل " قد أطلق عليكم في ناموسكم أنكم آلهة تخاطب اليهود " (يوحنا ١٠: ٣٤) .

وفي المزامير " وآلهة قلت لكم، وبنو العلي كلكم " (مزامير ٦: ٨٢) .

وقال في التوراة لموسى عليه السلام: " قد جعلتك إلهاً لفرعون، وأخاك هارون رسولك " (خروج ١٧: ١) .

ويطلق الإله علي كل من عُبد سو اء كانت العبادة حقاً أو باطلة ...

وبمجموع هذا البيان صرح بولس .. تصريحاً لم يبق معه عُلقة إلا لمن فقد هادييه: عقله وعلمه، فقال: وأنه لا إله غير الله وحده، وإن كانت أشياء ما في السماء والأرض يسمي آلهة، وكما توجد آلهة كثيرة وأرباب كثيرة، فإنَّ لنا نحن إلهاً واحداً، هو الله الأب الذي منه كل شيء، ونحن

---

[1] الرد الجميل (أ) ص ٣٨ (ب) ص ١٦٦، ١٦٧ باختصار كبير (جـ) ص ١٤٠، ١٤١ .

السادة للفكر والثقافة
www.sadah.net

به، ورباً واحداً هو يسوع المسيح الذي كل شيء بيده، ونحن أيضاً في قبضته " [١] .

فانظر إلي حسن هذا البيان: صرح بأن الإله والرب يطلقان علي الله ﷻ وعلي غيره مما لا يستحق أن يكون معبوداً، ثمَّ أثبت للإله المعبود صفة الخالق المستحق للعبادة، فجعل إيجاد كل شيء صادراً منه بقوله " الذي منه كل شيء ونحن به "، ثمَّ صرح بأن ذلك هو الله، وأثني عليه بالوحدانية بقوله: " فإنَّ لنا إلهاً واحداً هو الله "، ثمَّ نفي استحقاق غيره للإلهية بقول: " وأنه لا إله غير الله وحده " .

ثمَّ أشار إلي المسيح إذا أطلق عليه الرب الذي صرح باشتراكه كان ذلك بمعني المالك يدل علي ذلك أنه لم يثبت له شيئاً من صفات الإله المذكورة، وإنما أثبت له يد الملك التي من شأنها أن تثبت للمالك .

فانظر إلي هذه الإشارات التي لا يتقاعد ذو الفهم عن تلقيها بالقبول [٢] .

كما أن لفظ الإله أطلق في العهد القديم علي القضاء في بني إسرائيل باعتبارهم رؤساء دينيين رفيعي المنزلة عند الله ففي المزامير ١: ٨٢ (الله قائم في مجمع الله، في وسط الآلهة يقضي) .

وأطلق أيضاً علي ملاك الله لأنه رسول من الله ويتكلم بالنيابة عنه، ففي سفر التكوين ١٦: ١٣ عن هاجر: فدعت سام الرب الذي تكلم معها أنت إيل رئي " أي إله الرؤية "، مع أن الذي تكلم معها ليس هو الإله الحقيقي، بل هو الملك كما قال قبله في سفر التكوين ١٦: ٧: " فوجدها ملاك الرب علي عين الماء التي في البرية " [٣] .

فإذا ألزموا أنفسهم بالقول بألوهيته عليه السلام لإطلاق نعت الإله عليه، فإنه يلزمهم أن يحكموا بإلهية هؤلاء وما هم بفاعلين .

---

(١) في رسالة بولس الأولي إلي أهل كورنثوس (٨: ٤ . ٦) " وأن ليس إله آخر إلا واحد، لأنه وإن وجد ما يسمي آلهة سواء كان في السماء أو علي الأرض كما يوجد آلهة كثيرون وأرباب كثيرون، لكن لنا إله واحد الأب الذي منه جميع الأشياء ونحن له، ورب واحد يسوع المسيح الذي به جميع الأشياء ونحن به " .

(٢) الرد الجميل (أ) ص ٣٩ . ٤٠ (ب) ص ١٦٨ . ١٧٠ (جـ) ص ١٤١ . ١٤٣ .

(٣) انظر: النصرانية في الميزان، لمحمد عزت الطهطاوي،ص ٧٧،نشر دار القلم، دمشق، ط أولي، سنة ١٤١٦هـ . ١٩٩٥م .

السادة للفكر والثقافة
www.sadah.net

ومما استدلوا به علي ألهيته إطلاق لقب الرب [*] عليه [١]، ومن النصوص التي عضدوا بها ذلك ما سبق من قول توما [٢] (أحد الحواريين. عندهم.) للمسيح " ربي " إلهي " (يوحنا ٢٠: ٢٨)، وما ورد في أعمال الرسل ١٠: ٣٦ وصفاً للمسيح بأنه (هو رب الكل) .

وجواب ذلك أن كلمة رب أطلقت علي كثيرين في العهد القديد والجديد بمعني السيد " المعلم والصاحب والمربي .. " وغيرها [*]، ولم يقل مفسرو الكتاب المقدس إن المقصود بكلمة الرب الإله الحق .

فأطلقت علي القاضي والكاهن كما جاء في سفر التثنية ١٩: ١٧ (يقف الرجلان اللذان بينهما خصومة أمام الرب) .

وأطلقت علي المَلَك كما في سفر الخروج ١٣: ٢١ (وكان الرب يسير أمامهم نهاراً في عمود السحاب ليهديهم في الطريق) .

والذي يوضح أن المراد بالرب هنا المَلَك ما جاء في سفر الخروج ١٤: ١٩ في الموضوع السابق نفسه (فانتقل ملاك الله السائر أمام عسكر إسرائيل، وسار وراءهم وانتقل عمود السحاب من أمامهم، ووقف وراءهم) .

وأطلقت بمعني الصاحب، ففي سفر التكوين ٤٩: ٢٣ (واضطهدته أرباب السهام)، وفي إنجيل متي ١٣: ٢٧ (فجاء عبيد رب البيت ..) .

والمسيح نفسه استخدم هذا اللفظ بهذا المعني، ففي إنجيل لوقا ٢٢: ١١ أنه قال لتلميذيه: (

---

[*] ورد ذكره في العهد ٦٥٠ مرة منها ١٧٠ مرة في الأناجيل .

(١) ينظر: حوار حول الثالوث، ص ٣٢، وتجسد الكلمة، أثناسيوس، ص ٦٨، وثلاث حقائق، ص ٦٤ .

(٢) توما: أحد تلاميذ المسيح دعاه فلبي، اشتهر بمواقفه من قيامة المسيح، بشر أولاً في اليهودية، وقيل في بلاد العراق، وقيل في بلاد العرب، وكرز في بلاد الهند والصين، ومازال شفيع المسيحيين الهنود، سلخ جلده ومات في ملابار. == == ينظر: الكنيسة المسيحية في عصر الرسل، للأنبا يوأنس، ص ٤٢٩، ٤٣٠، والاثنا عشر رسولاً، لهربرت لوكير، تعريب: صبحي مقار، ص ١١٥ . ١٢٣، نشر لجنة خلاص النفوس بشبرا مصر، سنة ١٩٨٥م .

[*] للمزيد من النصوص ينظر: يوحنا ٢٠: ١٦، ومزمور ١٠: ٥١، وقضاة ٦: ١١ . ٢٤، وحزقيال ٤: ٢٤، والتكوين ١٦: ١٣، ١٨: ١٧، ٣٣، ١٨: ١ .

السادة للفكر والثقافة
www.sadah.net

قولا لرب البيت، يقول لك المعلم: أين المنزل) .

فلو كانت رب يقصد بها مطلقاً الإله المعبود بحق لكان هؤلاء آلهة .

وبهذا يتبين أن ما سبق من قول توما: ربي وإلهي معناه سيدي ومعلمي، وأما قول (رب الكل) فمعناه: معلم الجميع أو معلم المعلمين، فإن قيل: لماذا لا تحمل كلمة الرب في النصين علي أنه الله .تعالي .؟ قلت: يقطع بنفي ذلك النصوص الكثيرة القاطعة بأن عيسي عليه السلام عبد الله ورسوله، وأنه كان يصلي لله .سبحانه .ويخضع له، وأنه شهد بالألوهية والوحدانية لله .تعالي .وحده .

فإن قالوا: إنا قلنا: إنه إله لأنه لقب برب الأرباب وملك الملوك [1] .

قلت: إنَّ هذا لم يرد علي لسان المسيح عليه السلام، وإنما ورد علي لسان بولس في رسالته الأولي إلي تيموثاوس (٦: ١٣ . ١٦) حيث قال له: أوصيك أمام الله الذي يحيي الكل، والمسيح يسوع الذي شهد لدي بِيلاطس البُنْطي بالاعتراف الحسن، أن تحفظ الوصية بلا دنس ولا لوم إلي ظهور ربنا يسوع المسيح، الذي سيبينه في أوقاته المبارك العزيز الحميد ملك الملوك ورب الأرباب، الذي وحده له عدم الموت، ساكناً في نور لا يُدني منه، الذي لم يره أحد من الناس ولا يقدر أن يراه الذي له الكرامة والقدرة الأبدية " .

وأول هذا النص صريح في إثبات إحياء الموتى لله وحده، وإثبات قيام المسيح عليه السلام بالدعوة إلي وحدانية الله .تعالي .أمام بيلاطس، ثمَّ يأمر بولس تيموثاوس أن يستمر علي حفظ الوصية وهي عبادة الله وحده حيث جاء علي لسان المسيح: اسمع يا إسرائيل الرب إلهنا رب واحد " متي ١٩: ٢٢ "، وذلك إلي أن يظهر المسيح أي ينزل من السماء، كعلامة من علامات الساعة الكبرى، والذي يبين المسيح إلي الناس هو الله .تعالي .، وذلك واضح من عودة الضمير إليه .تعالي .في قول بولس: الذي سيبينه، فالله هو المبيَّن، والمسيح هو المبيِّن، وأكد هذا أكثر ضبط الأسماء في قوله" المبارك العزيز الوحيد ملك الملوك ... "، بالضمة فإن قيل: إنها مرفوعة علي الابتداء، قلت: لا يصح هذا في اللغة لأنه نعت للضمير في سيبينه، فكان يجب نصبه، لكن لو جاريناهم في قولهم، فإن ختام

---

(١) ينظر: سر التجسد ومجد الميلاد، للأنبا باكوبوس، ص ١١١، نشر كنيسة العذراء بالزقازيق، مصر، سنة ١٩٩٩م، وثلاث حقائق أساسية في الإيمان المسيحي، ص ٦٤، وكتاب: إيماننا المسيحي، ص ٢٢٨ .

السادة للفكر والثقافة
www.sadah.net

النص يؤكد أن المقصود به هو الله .تعالي ،. إذ فيه: " الذي لم يره أحد من الناس، ولا يقدر أن يراه " . والمسيح نفسه أنبأ بأن الله .تعالي. لم يره أحد، ففي يوحنا ١: ١٨ : الله لم يره أحد قط، الابن الوحيد الذي هو في حضن الأب هو خبَّر " فإن كان المسيح عليه السلام خبَّر بهذا، فلا يصح خبر يخالف خبره [*] .

دفع كتاب الرد الجميل لقولهم: المسيح ابن الله :

يجمع النصارى علي أن عيسي عليه السلام ابن الله ليس بمعني البنوة المتعارف عليها لدي المخلوقات والتي تكون بين ذكر وأنثي أو عن طريق التولد من أحدهما .

ولا يراد بها المعني المجازي لكلمة ابن الله، بل معناها الله حقيقة أو المعادل لله [١] أو كيان إلهي من كيان إلهي [٢] فابن الله تدل علي لاهوته، و (الابن إله حقيقي) [٣]، مولود من الله الجوهر مساوٍ له في الذات والأسماء والصفات والأفعال، لذا يقولون:

" نحن نري أن الابن واحد من اثنين، إذ فيه التقت الطبيعتان الإلهية والإنسانية واتحدتا في واحد بشكل غير موصوف ولا يعبر عنه " [٤] .

" فالقول بأن السيد المسيح ابن الله هو تأكيد أن السيد المسيح هو الله حقاً " [٥] .

ويطلقون عليه الابن الوحيد أي الكلمة أو اللوغوس، كما يطلقون عليه المتحد بالجسد،وكذا يلقبونه بالبكر،لأنه لم يكن لقبه قبل التجسد، ولكنه صار لقباً له بعد التجسد [٦] .

(*) وبذلك يرد أيضاً علي ما جاء في سفر الرؤيا (١٧: ١٤، ١٩: ١٦) فإنه مشابه لما ذكر في الرسالة إلي تيموثاوس (٦: ١٣ . ١٦) .

(١) براهين ألوهية المسيح، د/ القس وديع ميخائيل، ص ٥٤، ط٤، بدون تاريخ .

(٢) ميلاد يسوع المسيح ابن الله، للأب متي المسكين، ص ١١ .

(٣) المسيح في رسائل القديس أثنايوس، ص ١١ .

(٤) حوار حول الثالوث، للقديس كيرلس، ص٣٩، السابق، ص ٤٠ .

(٥) استحالة تحريف الكتاب المقدس، ص ١٠٦ .

(٦) ما معني المسيح ابن الله، ص ١٤، ١٩ .

السادة للفكر والثقافة
www.sadah.net

ولأجل تحويل وصف البنوة إلي معني الألوهية يطلقون عليه لقب ابن الله المتجسد [١]، والمولود من الأب، وابن العلي، والابن الحبيب، وابن الله الحي، وصورة الله ...، فهم يؤمنون بأنه ابن الله علي طريق الصدور منه في الوجود الإلهي بصفة كونه الكلمة الذي كان في البدء .

وعندهم أن للمسيح عليه السلام ميلادين:

أ . الميلاد الأزلي من الأب قبل كل الدهور، نور من نور .

ب . الميلاد الزمني من العذراء مريم في بيت لحم في زمن معين [٢] .

وثمرة ذلك كله أنهم لا يقولون بأنه عليه السلام ابن الله علي وجه الحقيقة، ولا ابن الله علي وجه المجاز، وإنما هي بنوة يقصد بها إثبات إلهية أو صدور منه .

وقد عضدوا اعتقادهم السابق بالنصوص المطلقة علي عيسي عليه السلام لقب ابن الله وما في معناه .

ويدفع حجة الإسلام براهين اعتقادهم هذا فيقول: أما ما تعلقوا به من إطلاق الأبوة علي الله عز وجل والبنوة علي نفسه ظانين بأن ذلك محصل غرضاً أو مثبت خصوصية،يقع بها الإمتياز، فليس الأمر كذلك .

وبيانه: أنه قد جاء في التوراة [٣] التي يقولون بصدق ما فيها من النصوص " ابني بكري إسرائيل " .

وقال أيضاً في التوراة: " قل لفرعون إن لم ترسل ابني بكري ليعبدني في البرية، وإلا قتلت ابنك بكرك " [٤] يريد بابني: بني إسرائيل وكان عدتهم إذ ذاك ستمائة ألف سوء النساء والصبيان، هذا

---

(١) المسيح في رسائل القديس أثناسيوس، ص ٩ ،وطبيعة المسيح، للبابا شنودة الثالث، ص ٢٣، ٢٧، وإيماننا المسيحي، ص٥٨ ، ويهوه أم يسوع، اسبيرو جبّور، ص ١٨٩، والتثليث والتوحيد، لفوزي جرجس، ص ١٠٧، ١٠٨ .

(٢) ينظر: التجسد الإلهي هل له بديل، ص ٤٠، وكتاب: آدم أم المسيح ل. ك. أ. كوتس، ٨، ٩، مكتبة الأخوة، القاهرة، سنة ١٩٩٨م، والتجسد الإلهي في تعليم كبرلس، ص ٣٧ .

(٣) الخروج ٤: ٢٢، ٢٣ بلفظ (بروتستانت) (يقول الرب: إسرائيل ابني البكر فقلت لك أطلق ابني ليعبدني فأبيت أن تطلقه، ها أنا أطلق ابنك البكر) .

(٤) هي عندهم أسفار موسى الخمسة: التكوين (الخلق)، الخروج، اللاويين، العدد، التثنية .

السادة للفكر والثقافة
www.sadah.net

لفظ التوراة .

وفي مزامير داود، وهو عندهم لا ينطق في مزاميره إلا عن الوحي " وبنو العلي كلكم " [١] .

وأطلق عيسي عليه السلام ذلك عليه وعليهم فقال: " أنا صاعد إلي أبي وأبيكم وإلهي وإلهكم " [٢] .

إنَّ من يعتقد في من هذه كلماته أنه إله لمدفوع عن الصواب الواضح !!

وأطلق ذلك عليهم فقط، فقال في إنجيل لوقا: " لا تقطعوا رجاء أحد، فيكون أجركم كثيراً، وتكونوا بني العلي، لأنه الرحيم علي غير المنعمين الأشرار، وكونوا رحماء مثل أبيكم " [٣] .

وأطلق ذلك أيضاً تلميذه يوحنا بن زبدى، لما فهم المجاز الذي سنذكره فقال في رسالته " من يعترف بأن يسوع هو المسيح، فهو من الله مولود [٤] " [٥] أ. هـ

وحجة الإسلام يدفع اعتقاد النصارى ببنوة المسيح لله . تعالي . وأدلتهم عليها بأن ما ورد من إطلاق الابن عليه محمول على المجاز بمعني كونه . تعالي . راحماً له عطوفاً عليه فيقول: وإنما حمله عيسي عليه السلام علي أن تجوز بمثل ذلك مع القطع بأن الحقيقة غير مراده أن الأب جُبل علي أن يكون شديد الحنان والرحمة والشفقة لولده، حريصاً علي أن يجلب له جميع الخِيُور [*]، ويدفع عنه جميع الشرور، مجتهداً علي أن يوضح له طرق الخير ويأمره بالمبادرة إليها ... هذا وضع الأب فيما نشاهده .

وأما الابن فوضعه أن يكون موقراً لأبيه، معظماً له .. ممتثلاً أوامره ..

والله عز وجل إذا قيس إحسانه إلي كل نبي، ورحمته له، وشفقته عليهن وما جلبه له من الخير ن وما دفعه عنه من الشر، وما بينه له مما هو لائق بجلاله، ثمَّ وفقه للعمل بمقتضاه، كان ما يصنعه

---

(١) لفظه (بروتستانت) في مزامير داود ٨٢: ٦ (أنا قلت إنكم آلهة وبنو العلي كلكم) .

(٢) لفظه ــ يوحنا ٢٠: ١٧)" إني أصعد إلي أبي وأيكم وإلهي وإلهكم " .

(٣) لفظه (بروتستانت) (في لوقا ٦: ٣٥، ٣٦) (بل أحبوا أعداءكم واحسنوا وأقرضوا وأنتم لا ترجون شيئاً فيكون أجركم عظيماً وتكونوا بني العلي فإنه منعم عليّ عبر الشاكرين والأشرار، فكونوا رحماء كما أن أباكم أيضاً رحيم) .

(٤) لفظه ــ بروتستانت) في الرسالة الأولي ليوحنا ٥: ١ (كل من يؤمن أن يسوع هو المسيح فقد وُلد من الله) .

(٥) الرد الجميل (أ) ص ٤٠، ٤١، (ب) ص ١٧١(جـ) ص ١٤٤، ١٤٥ .

(*) جمع خير .

السادة للفكر والثقافة
www.sadah.net

الوالد بالنسبة إلي هذا تافهاً حقيراً .

ثمَّ توقير الأنبياء . أيضاً . لله وحياؤهم منه، وانقيادهم لأوامره، ووقوفهم عند مناهيه، وإجلالهم له، أعظم من صنيع الأبناء مع آبائهم، فهو لهم أرحم أب، وهم له أبر ولد، فهذا سر التجوز في إطلاق مثل ذلك .

فإذا تجوز في إطلاق الأب علي الله كان معناه أنه راحم له عطوف عليه .

وإذا تجوز بإطلاق البنوة علي نفسه كان معناه أنه موقر له، معظم له .

وهذا معني قول عيسي عليه السلام محرِّضاً علي عدم قطع الرجاء، أي: إن أطعتموهن في ذلك صنع معكم ما يصنع الوالد مع ولده .

وهذا أيضاً معني قول تلميذه: فهو من الله مولود [1] .

فانظر إلي سر ما وقف عليه الأنبياء، ثمَّ أذن لهم في إطلاقه، معولين علي فهم من له تحصيل يصرفه عن الخيالات الفاسدة .

وها هم الآن أنفسهم مقيمون علي إطلاق ذلك، فإذا رأوا راهباً أو قسيساً، قالوا له: يا أبانا، وليس هو أباهم حقيقة، ولكن مرادهم . بالإطلاق . ما أشرنا إليه، وهو أنهم ينزلونه في الشفقة منزلة الأب، وينزلون أنفسهم في توقيره منزلة الأبناء .

وقد صرح داود عليه السلام بمثل ما أرنا إليه في مزاميره، فال: " كما يترأف الأب علي بنيه، كذلك يترأف الرب علي خائفيه " [2] ، فقد ثبت بما ذكرناه أن إطلاق البنوة عليهن غير مُثبت خصوصية يقع بها تميّز .

وصريح الإنجيل ناطق بصحة هذا التأويل، وهو قوله: " فأعطاهم سلطاناً أن يصيروا بني الله " [3] أي أعطاهم ما يتمكنون به من تحصيل ما ذكر من المعاني المستفادة من البنوة علي ما أُوِّل

---

(1) رسالة بولس إلي يوحنا (الرسالة الأولي٥: ١) "كل من يؤمن أن يسوع هو المسيح فقد ولد من الله " .

(2) في الترجمة الحديثة (بروتستانت) مزامير داود ١٠٣: ١٢ (كما يترأف الأب علي البنين، يترأف الرب علي خائفيه)، وفي ترجمة الكاثوليك (كرحمة الأب علي بنيه، يرحم الرب أتقياءه)

(3) نصه في يوحنا ١: ١٢ (فأعطاهم سلطاناً أن يصيروا أولاد الله) .

السادة للفكر والثقافة
www.sadah.net

(١) .

وعلي غرار ما ساقه حجة الإسلام تجد نصوص الكتاب المقدس بعهديه قد أطلقت لقب ابن الله بمعناها اللغوي الدال علي الملاصقة والملازمة والاتباع والطاعة والقرب والولاية لا علي المعني الحقيقي للبنوة وذلك لأن المنعوتين بهذا من الأنباء والأولياء والأبرار والمؤمنين بالله وحده .

ومن ثمَّ نجد أنه أطلق علي آدم عليه السلام ففي (لوقا ٣: ٢٣ . ٢٨) " يسوع .. ابن يوسف .. ابن آدم ابن الله " .

بمعني المولود بلا أب ولا أم .

وأطلق علي سليمان عليه السلام، فنسب سفر صموئيل الثاني (١٧: ١٢ . ١٣) إلي الله . تعالي قوله لداود عليه السلام: " متي كملت أيامك، واضطجعت مع آبائك ... أقيم بعدك نسلك الذي يخرج من أحشائك ... وأثبت مملكته وهو يبني بيتاً لاسمي، وأنا أثبت كرسي مملكته إلي .. أنا أكون له أباً .. وهو يكون لي ابناً "، وذلك لأن سليمان عليه السلام نبي وولي لله .

وأطلق علي الأبرار والأتقياء لأنهم مطيعين لله . جل وعلا . ومستجيبين لأمره، ففي مزامير داود (٨٩: ٦): " من يشبه الرب بين أبناء الله " .

وفي رسالة بولس إلي مؤمي روميه ٨: ١٤: " لأن كل الذين ينقادون بروح الله فأولئك هم أبناء الله " .

وفي إنجيل متي ٥: ٤٤، ٤٥ . علي لسان المسيح عليه السلام : " وصلوا لأجل الذين يسيئون إليكم، ويطردونكم لكي تكونوا أبناء أبيكم الذي في السماوات " .

وأطلق علي كل إسرائيلي لأنهم كانوا عندما وصفوا بذلك أتقياء متبعين لمنهج الله . جل وعلا ، ففي سفر هوشع ١١: ١: " لما كان إسرائيل علاماً أحببته ... ومن مصر دعوت ابني " .

وأطلق هذا اللقب علي أتباع المسيح عليه السلام الذين آمنوا برسالته، فقد حكي لوقا ٢٠: ٣٦ علي

---

(١) الرد الجميل (أ) ص ٤١ . ٤٣ (ب) ص ١٧٢ . ١٧٤ (جـ) ص ١٤٥ . ١٤٧، وقارن بما ذكره الجاحظ في الرد علي النصارى، ص ٧٢ . ٧٣ .

السادة للفكر والثقافة
www.sadah.net

لسان المسيح قوله:" إذ لا يستطيعون أن يموتوا أيضاً لأنهم مثل الملائكة وهم أبناء الله " .

وأطلق علي الأقوياء والشرفاء كما جاء في المزامير ٢٩: ١: " قدموا للرب يا أبناء الله، قدموا للرب مجداً وعزاً " .

فلو كانت الإلهية تعطي بإطلاق هذا اللقب من الله . تعالي . علي أحد خلقه لاستحقها الأنبياء والأبرار والشرفاء واليهود والنصارى وغيرهم .

والذي يثبت صحة إطلاق ابن الله بهذه المعاني السالفة لا بمعني البنوة الحقيقية عدة قرائن :

إحداها: أنه أطلق في أسفارهم لقب ابن إبليس وابن المعصية وابن الإثم علي الكافرين ومقترفي السيئات، فقد بولس في أعمال الرسل ١٣: ١٠ في عليم الساحر الذي كان يدعى النبوة كذاباً وهو يهودي اسمه (باريشوع): " أيها الممتلئ كل غش وكل خبث يا ابن إبليس " .

وورد في رسالة بولس إلي أهل كولوسّى ٣: ٦: " يأتي غضب الله علي أبناء المعصية .

وإنما أطلق عليهم ذلك لأنهم والوا الشيطان واتبعوا خطواته .

والثانية: أنه قد ورد في العهد القديم والجديد أعداد كثيرة تبرهن علي أن الله واحد لا شريك له في ذاته وصفاته وأفعاله [*] .

الثالثة: أن اليهود والنصارى لا يقولون بظاهر هذه النصوص السالفة وإلا لعبدوا الأنبياء والأولياء والأقوياء ...

فلم يبق أمامهم إلا أن يقولوا بحمل هذه الفقرات كلها . في حق المسيح وغيره . علي المجاز أو أن يقولوا بحملها حقيقة علي الجميع فإن قالوا: إننا قلنا ببنوته علي هذا المعني السابق،لوجود ألقاب أخري خص بها دون غيره نحو:ابن الله الحي [١]،ابن العلي [٢] ، البكر [١]، الابن الحبيب [٢]،

---

[*] ذكرت في المطلب الأول .

(١) متي ١٦: ١٦ .

(٢) مرقس ٥: ٧ .

السادة للفكر والثقافة
www.sadah.net

ابني الله الذي به سُرَّ [٣]، الابن الوحيد [٤] " [٥] .

قيل: هذه الألقاب ليست خاصة به، فقد نُعت بها غيره، فلقب ابن الله الحي نعت به بنو إسرائيل كما في سفر هوشع ١: ١٠ . حكاية عن الله تعالي . " ويكون عوضاً أن يقال لهم لستم شعبي، يقال لهم أبناء الله الحي " .

ولقب ابن العلي ليس قاصراً عليه فقد وصف به المؤمنون في مزامير داود (٨٢: ٦) وعلي لسان المسيح عليه السلام " لوقا ٦: ٣٦ " .

ولقب البكر وصف به بنو إسرائيل (خروج ٤: ٢٢، ٢٣)، كما أنه لم ينعت بها المسيح حقيقة، وإنما نعت بابنه البكر من الأموات ونحو ذلك، ولم ينعت بأنه الابن البكر .

ولقب الابن الحبيب أطلق علي بنيامين، ففي سفر التثنية ٣٣: ١٢ " ولبنيامين قال: حبيب الرب يسكن لديه آمناً .. " .

ولقب ابن الله الذي به سُرَّ ورد في حق سليمان عليه السلام " ليكن مباركاً الرب إلهك الذي سُرَّ بك، وجعلك علي كرسيه ملكاً " (الأيام الثاني ٩: ٨) .

وأما لقب الابن الوحيد، فلم يرد في حق غيره، كما أن المسيح عليه السلام لم يوصف بأنه الابن البكر، ولم يُقل له: ابني بكري .

فكما أنه خص بشيء خص غيره بشيء لم يُخص به، وليس في الفقرات الواردة في ذلك ما يحقق إلهيته .

علي أننا لو قلنا بتخصيص هذه الألقاب به فإنها لا تستلزم القطع بألوهيته لوجود قرائن

---

(١) رومية ٨: ٢٩ (ليكون هو بكراً بين أخوة كثيرين "، كولوسي ١: ١٥: " بكر كل خليقة "، كولوسى ١: ١٨: " بكر بين الأموات "، رسالة إلي العبرانيين ١: ٦: " البكر إلي العالم "، رؤيا يوحنا ١: ٥: " البكر بين الأموات "، فليس فيها لقب الابن البكر أو بكر الله أو ابني بكري .

(٢) مرقس ٩: ٧ .

(٣) متي ٣: ١٧، مرقس ١: ١١، لوقا ٣: ٢٢ .

(٤) يوحنا ٣: ١٦، ١٨ .

(٥) ثلاث حقائق في الإيمان المسيحي، ص ٦٣، ٦٤، وإيماننا المسيحي، ص ٢٢٦، ٢٢٧ .

السادة للفكر والثقافة
www.sadah.net

أخري تستوجب الحكم بإنسانيته .

فإن لم يقولوا بالمجاز في البنوة فإننا نلزمهم بما يلي :

أ . أن المسيح عليه السلام لم يقل : إنه ابن الله، يقول الأستاذ شارل جيني بير، رئيس قسم تاريخ الأديان في جامعة باريس: " والنتيجة الأكيدة لدراسة الباحثين هي أن عيسي لم يقل عن نفسه قط إنه ابن الله، وذلك تعبير لم يكن في الواقع ليمثل بالنسبة إلي اليهود سوي خطأ لغوي فاحش...كذلك لا يسمح لنا أي نص من النصوص الإنجيلية بإطلاق لفظ (ابن الله) علي عيسي، فتلك لغة لا ينشرها إلا الذين تأثروا بالثقافة اليونانية، إنها اللغة التي استخدمها القديس بولس، كما استخدمها مؤلف الإنجيل الرابع، فقد وجدا فيها معاني عميقة، وعلي قدر من الوضوح بالنسبة إليها " [1] .

ثمَّ يبين تطور هذا اللفظ فيقول: " يمكن ليهودي أن يعتبر نفسه عبداً ليهوه لا ابناً ليهوه، ونعتقد أنه من المحتمل أن يكون عيسي قد تصور نفسه عبد الله وتقدم للناس بهذه الصفة، والكلمة العبرية عبد كثيراً ما تترجم إلي اليونانية، بكلمة تعني خادماً وطفلاً علي حد سواء وتطور كلمة طفل إلي كلمة ابن ليس بالأمر العسير، ولكن مفهوم ابن الله نبع من العالم الفكري اليوناني " [2] .

ب . أن الكلام في سائر لغات العالم إما أن يكون حقيقة وإما أن يكون مجازاً ولا ثالث لهما وأنتم قد قلتم إنَّ بنوة المسيح ليست حقيقية ولا مجازية ولا يجوز حملها علي أحدهما، ففي أي لغة يقبل هذا ؟ ثم لا يقبل قولكم: إن معناها: الصدور منه، أو إثبات الألوهية في حقه لأنها تحقق هذا المراد في الحالين .

كما لا يستقيم هذا مع دعواكم أنه مولود من الله، لأننا إذا جمعنا هذه المعاني: ابن الله والله أبوه وهو ابنه، ومريم أمه (أم الإله) مع تخصيص الأب بأبوة الابن، وتخصيص الابن ببنوة الأب، إذا جمعنا هذا أمام عاقل لقال: إنه ابن الله حقيقة (علي معني المولود من أب وأم) .

---

(١) في كتابه المسيحية نشأتها وتطورها، ص ٣٩، ترجمة الدكتور/ عبد الحليم محمود، ط دار المعارف، القاهرة .

(٢) السابق، ص (هامش ٣٩) .

السادة للفكر والثقافة
www.sadah.net

جـ. الابن مختلف عن الأب في الجوهر فلا يمكن مساواته به، لا سيما وأنهم يقولون إنه لم يلقب بابن الله قبل التجسد وإنما لقب به بعد التجسد .

ودعواهم بأن له ميلادين أحدهما أزلي والآخر زمني مثبت حدوث الإله، بل ومثبت لبطلان إلهية هذا الإله لأنه يَستحيل في حق الإله أن يولد أو يصدر من غيره .

د . " قولهم: إن النطق مولود منه كولادة النطق من العقل، فإن المولود من غير متولد منه، فيحدث بعد أن لم يكن، كما يحدث النطق شيئاً فشيئاً، سواء أريد بالنطق العلم أو البيان فكلاهما لم يكن لازماً للنفس الناطقة، بل حدث فيها واتصفت به بعد أن لم يكن، وإن كانت قابلة له ناطقة له بالقوة فإذا مثلوا قوله النطق من الرب كتولده عن العقل لزم أن يكون الرب كان ناطقاً بالقوة، ثمَّ صار ناطقاً بالفعل فيلزم أنه صار عالماً بعد أن لم يكن عالماً وهذا من أعظم الكفر وأشده استحالة لجعله متصفاً بصفات الكمال بعد أن لم يكن متصفاً بها، إذ كل ما سواه فهو مخلوق له وكماله منه، فيمتنع أن يكون هو جاعل الرب. سبحانه. كاملاً .

وذلك دور ممتنع في صريح العقل، إذ كان الشيء لا يجعل غيره متصفاً بصفات الكمال، حتى يكون هو متصفاً بها، لزم الدور الممتنع مثل كون كل من الشيئين فاعلاً للآخر وعلة له، أو لبعض صفاته المشروطة في الفعل فتبين بطلان كون نطقه متولداً منه، كتولد النطق من العقل، كما بطل أن يكون لصفاته اللازمة له ما هو مبدأ لها متقدم عليها أو فاعل لها " [1] .

هـ. قولهم : " إن الابن مولود من الله إن أرادوا به أنه صفة لازمة له، فكذلك الحياة صفة لازمة لله، فيكون روح القدس أيضاً ابناً ثانياً، وإن أرادوا به أنه حصل منه، بعد أن لم يكن، لزم أن يكون عالماً بعد أن لم يكن عالماً، وهذا مع كونه باطلاً، فيلزم مثله في الحياة وأنه صار حياً بعد أن لم يكن حياً " [2] .

و قد سبقت براهين أخرى لدرأ هذا الاعتقاد [*].

---

(1) يراجع: الجواب الصحيح ٢/ ١١٤ .

(2) السابق ٢/ ١١٥ .

(*) في المطلب الأول .

السادة للفكر والثقافة
www.sadah.net

استدلالهم علي إلهيته عليه السلام بصفاته الإلهية .في قولهم . :

وأما ما استدلوا به من صفاته أو أمجاده الإلهية [1] لتحصيل غرضهم كقولهم: إنه كلي العلم، لأنه علم أسماء الأشخاص دون أن يخبره بها أحد (يوحنا ١: ٤٢، ولوقا و ١: ٥) وعلم المستقبل وما يحدث قبل حدوثه (متى ٢١: ٢ . ، ٢٤: ٣ . ٤١) .

فيقال لهم : لماذا لم يعلم وقت الساعة، وجزم بأنه لا يعلم وقتها، فقال: عندما سُئل عن وقتها، أما ذلك اليوم وتلك الساعة فلا يعلم بهما أحد ولا الملائكة الذين في السماء ولا الابن إلا الأب (مرقس ١٣: ٣٢) .

وكذا إن قالوا إنه كلي المشيئة قيل لهم: كيف يمكن ادعاء ذلك وقد تعلقت عندهم مشيئة الإله بصلب المسيح عليه السلام، ولم يكن الصلب مراداً له، ولا تعلقت مشيئته به يدل علي ذلك تضرعه للإله سائلاً دفعه بقوله: إن كان يستطاع فلتعبر عني هذا الكأس، وليس كإرادتي ولكن كإرادتك [2] " [3] أ . هـ .

وجاء في إنجيل يوحنا (٥ . ٣): " لأني لا أطلب مشيئتي بل مشيئة الأب الذي أرسلني " فدل علي تغاير المشيئتين .

وكذا إن قالوا إنه كلي القدرة: يقال لهم: إنه جاء في العهد الجديد أن المسيح عليه السلام نعت نفسه بأنه لا يقدر أن يفعل شيئاً من نفسه كما جاء في إنجيل يوحنا (٥: ٩) علي لسانه: " لا يقدر الابن أن يعمل من نفسه شيئاً إلا ما ينظر الأب يعمل " وفيه أيضاً: " أنا لا أقدر أن أفعل من نفسي شيئاً كما أسمع أدين ودينونتي عادلة " (يوحنا ٥: ٣) .

فإذا كان لا يفعل شيئاً من نفسه إلا بإذن ربه وأنه سيحاسب علي تبليغه رسالة ربه كما سيحاسب الخلق أجمعون فكيف يكون إلهاً قادراً مقتدراً ديناً .

ونحو ذلك قولهم: إنه كلي العظمة، يرده ما أورده عن المسيح عليه السلام من أن أبيه أعظم منه

---

(١) ينظر: ثلاث حقائق في الإيمان المسيحي، ص ٦٦ وما بعدها .

(٢) مرقص ١٤: ٣٦ .

(٣) الرد الجميل (أ) ص ٣٦ (ب) ص ١٦٥ (جـ) ص ١٣٩ .

السادة للفكر والثقافة
www.sadah.net

وأعظم من كل شيء، كما قال:(أبي الذي أعطاني إياها هو أعظم من الكل) " يوحنا ١٠: ٢٩ " .

وأورد يوحنا أيضاً (١٤: ٢٨) علي لسان المسيح: (أبي أعظم مني) وهذا يبرهن علي أن عظمته لا تبلغ عظمة ربه فلا يكون كلي العظمة .

وسائر هذه الصفات وغيرها . إن ثبتت في حقه ، فإنها تؤول علي معني اتصافه كرسول بكل كمال بشري وتنزيهه عن كل نقص بشري، وبرهان ذلك النصوص القاطعة التي حكمت بإنسانيته المحضة والنصوص المثبتة لرسالته، والنصوص القاطعة بنفي رؤية ذات الله .تعالي..

ثالثاً: مناقشة كتاب الرد الجميل لاستدلالهم علي إلهيته عليه السلام بوقوع الخوارق علي يديه :

ومن البراهين التي استدلوا بها علي ألوهية عيسي عليه السلام ظهور المعجزات أو الخوارق الإلهية علي .كما يعبرون عنها [١] .علي يديه، وهذه المعزات الكثيرة يمكن ردها وجمعها من خلال العهد الجديد في ثمان :

- معجزات إحياء الموتى [٢] .
- معجزات إبراء المرضي [٣] .
- معجزات إبراء الأكمه [٤] .
- معجزات إبراء الأبرص [٥] .
- معجزات البركة في الطعام [١] .

---

(١) ثلاث حقائق في الإيمان المسيحي، ص ٦٥، سر التجسد، للأنبا باكوبوس، ص ٢٨، ٢٩، إيماننا المسيحي صادق وأكيد، ص ٢٠١ . ٢١٢ .

(٢) لوقا ٧: ١١ . ١٧، يوحنا ١١: ١٠ . ٤٤، متي ٩: ١٨ . ٢٦، مرقس ٥: ٢٢ . ٤٢، لوقا ٨: ٤٠ . ٥٦ .

(٣) مثلاً: إبراء ابن خادم الملك (يوحنا ٤: ٤٦ . ٥٣)، وإبراء امرأة منحنية (لوقا ١٣: ١٠ . ١٣)، وإبراء حماة بطرس (متي ٨: ١٤ . ١٦)، (مرقس ١: ٢٩ . ٣٤)، (ولوقا ٤: ٣٨ . ٤٠) .

(٤) مثل إبراء أعمي أريحا (لوقا ١٨: ٣٥ . ٤٣)، وإبراء المولود أعمي (يوحنا ٩: ١ . ٧) .

(٥) مثل إبراء العشرة البرص (لوقا ١٧: ١١ . ١٩)، وإبراء أبرص (متي ٨: ٢ . ٤) .

السادة للفكر والثقافة
www.sadah.net

- معجزات الإنباء عن أمور ماضية ومستقبلة [٢] .
- معجزات متنوعة كتحويل الماء خمراً [٣] والمشي علي الماء [٤] ، وتهدئة عاصفة الصحراء [٥]، وخدمة الملائكة له [٦]، وتظليل السحابة إياه ومن معه [٧] وغيرها .

ولا يسمح هذا البحث الوجيز لذكر نصوص هذه المعجزات وبيان دلالاتها، وعقد المقارنة بينها [*]، إذ المقصود مناقشتهم في فكرهم تجاهها، فأقول:

يدفع حجة الإسلام قولهم هنا بأمور:

أحدها:"أن ظهور الخوارق علي يديه بالسؤال والطلب ثابت لغيره من الأنبياء " [٨] . عليهم السلام .، بل إن العهد القديم ذكر معجزات لأنبياء سابقين للمسيح عليه السلام تماثل معجزاته وتزيد عليها . أحياناً . في كيفية المعجزة وعدد مرات وقوعها .

فمعجزة إحياء الموتى أظهرها الله . سبحانه . علي يد جماعة من الأنبياء . عليهم السلام . في صورة أتم وأفضل في الكم والكيف (فإن إيليا واليشع أقاما الميت، وإحياء إيليا لابن الأرملة عندهم غير منكور " [٩]، وهذا دون أن يطلب منهما إقامة الميت، بل إنَّ اليشع أحياء الميت بعد

---

(١) مثل إطعام خمسة آلاف بخمسة أرغفة وسمكتين (يوحنا ٦: ٥ . ١٥)، (ولوقا ٩: ١٠ . ١٧)، وإطعام أربعة آلاف بسبعة أرغفة وقليل من السمك (متي ١٥: ٣٢ . ٣٨) .

(٢) نحو إنبائه السامرية عن أزواجها (يوحنا ٤: ١٦ . ٣٠)، وإخباره عن إنكار بطرس له بعد رفعه (متي ٢٦: ٣١ . ٣٤)، (مرقس ١٤: ٢٧ . ٣١)، (لوقا ٢٢: ٣١ . ٣٨)، (يوحنا ١٣: ٣٦ . ٣٨) .

(٣) يوحنا ٢: ١ . ١١ .

(٤) متي ١٤: ٢٢ . ٣١ .

(٥) متي ٨: ٢٣ . ٢٧ .

(٦) متي ١٤ : ١١ .

(٧) متي ١٧: ١ . ٥ .

(*) لبيان هذه المعجزات وذكر نصوصها وأنواعها ودلالاتها، ينظر بحث لي عنوانه: معجزات المسيح عليه السلام في العهد الجديد والقرآن المجيد (حولية كلية الدعوة الإسلامية، عدد (٢٠) ص ٧٠٧ . ٨١٢، سنة ١٤٢٦هـ) .

(٨) الرد الجميل (أ) ص ٣٥ (ب) ص ١٦٢ (جـ) ص ١٣٦ .

(٩) الرد الجميل (أ) ص ٥ (ب) ص ١١١ (جـ) ص ٩٥ .

السادة للفكر والثقافة
www.sadah.net

موته . هو . [1] .

" وحزقيال أحيا جيشاً كبيراً من الأموات بعد فنيت أجسادهم وبليت عظامهم " (حزقيال ٣٧: ١ . ١٠) .

ثمَّ إنهم معترفون بأن موسى عليه السلام قلب العصا ثعباناً، وهل إحياء الميت إلا عبارة عن اتصاف الجماد بالحيوانية ؟!، بل هذا أدل علي المعجزة، لأن جعل ما لم يتصف بحياة . قط . حياً أدل علي القدرة من إعادة الشيء إلي حالته الأولي [2] .

وإبراء المرضي ودفع البلاء وقع لكثير من أنبياء العهد القديم ..

فعندما أصاب البرص مريم أخت موسى استغاث بربه فشفاها (عدد ٢: ١٠ . ١٥) كما أبرأ بني إسرائيل من لدغ الحيات (عدد ٢١: ٦ . ٩) ودفع عنهم الوباء الذي نزل بهم (عدد ١٦: ٤٦ . ٤٩) .

وأبرأ اليشع قائد جيش الآراميين (الملوك الثاني ٥: ٩ . ١٤) .

وأعجب من هذا أنه أعمي أقواماً من الآراميين ثم أعاد إليهم أبصارهم (الملوك الثاني ٦: ١٣ . ٢٢) .

والإنباء عن الغيب وقع لكثير من الأنبياء، فقد تنبأ إيليا بوقوع جفاف في أرض إسرائيل فوقع (الملوك الأول ١٧: ١ . ٧) .

وأنبأ اليشع بوقوع الجفاف سبع سنين فوقع (الملوك الثاني ٨: ١ . ٣) .

وأنبأ المرأة الشونمية العاقر بأن ستلد فولدت مع أن زوجها شيخ كبير (الملوك الثاني ٤: ١٤ . ١٨)، كما أنبأ بني إسرائيل بتغير أسفارهم فكان ما قال (الملوك الثاني ٧: ١ . ١٦) .

ومعجزة البركة في الطعام ثبتت لأنبياء كثيرين، " فإيليا كانت الغربان تطعمه اللحم والخبز، وظل يأكل ومن معه سنوات القحط كلها " (الملوك الأول ١٧: ٣ . ١٦) .

واليشع أطعم مائة رجل من طعام قليل (الملوك الثاني ٤: ٤٢ . ٤٣) .

---

(١) فإنه بعد أن مات طرح ميت في قبره فقام الميت بعد أن مس عظام اليشع (الملوك الثاني ١٣: ٢٠ . ٢١) .

(٢) الرد الجميل (أ) ص ٤، ٥ (ب) ص ١١٠ (جـ) ص ٩٥ .

السادة للفكر والثقافة
www.sadah.net

وبارك دهن الزيت في بيت امرأة (الملوك الثاني ٤: ٢ . ٧) .

وأعجب من هذا أنه ألغي أثر السم الموجود في الطعام (الملوك الثاني ٤: ٣ . ٤١) .

وآية يبس شجرة التين التي دعا عليها المسيح عليه السلام وقع أكثر منها لاليشع فإنه عندما شتمه الصبيان لعنهم باسم الرب فخرجت دابتان وافترستهم (الملوك الثاني ٢: ٢٣، ٢٤) .

وإذا كان عيسي عليه السلام قد رُفع إلي السماء فقد سبقه في ذلك أخنوخ حيث سار مع الله ولم يوجد لأن الله أخذه (تكوين ٥: ٢٥) .

وختمت حياة إيليا بالرفع إلي السماء أمام اليشع (الملوك الثاني ٢: ١ . ١٢) .

بل ظهرت معجزات لبعض الأنبياء . عليهم السلام . لم يظهر مثلها علي يد المسيح عليه السلام، وذلك " كإنشقاق البحر لموسى عليه السلام، وجعل كل فرق كالطود العظيم " [١]، وقد شهدت التوراة التي يصدقونها بأن عيسي عليه السلام أخرج يده بيضاء كالثلج، ثمَّ أعادها إلي لون جسده [٢] .

وكذا وقوف الشمس ليوشع إلي أن أخذ مدينة أريحا [٣] (يشوع ١٠: ١٢، ١٣) .

وعدم إحراق النار لعزرا وحننيا وميشائيل (دانيال ٣: ٢٤ . ٢٧) .

ولم تؤذ الأسود دانيال بعد أن وُضع في جُبّها (دانيال ٦: ٢٢) .

وغير ذلك الكثير والكثير [*] .

فإن كانت الإلهية تنال بهذه الخوارق وأشباهها فهؤلاء أحق بها من عيسي عليه السلام .

وثانيها: أن دلالات هذه الخوارق وغيرها تشهد بلجوئه إلي ربه واستغاثته وتذلله بين يديه، واعتماد عليه وحده، وتضرعه وخوفه منه، وإنابته له وتفويضه أمره إليه .

---

(١) الخروج ١٤: ١٥ . ١٩ .

(٢) الخروج ٤: ٦ . ٨، وفي التوراة السامرية (خروج ٤: ٦ . ٨) ترجمة الكاهن أبي إسحاق الصوري، بلفظ آخر، نشر دار الأنصار، القاهرة، ط أولي، سنة ١٩٧٨م .

(٣) الرد الجميل (أ) ص ٥ بتصرف (ب) ص ١١٠، ١١١ (جـ) ص ٩٥، ٩٦ .

(*) يراجع بحث: معجزات المسيح عليه السلام، ص ٧٦٦ . ٧٦٩، لصاحب هذا البحث، وقارن: التخجيل لمن حرف التوراة والإنجيل ١/ ٤٦٨ . ٤٧٢ .

السادة للفكر والثقافة
www.sadah.net

مع إقراره بأنه إنسان مرسل من ربه، ولا يأتي بآية إلا بإذن الله، ولا يصنع معجزات من عند نفسه .

" وكيف يُنكَر ذلك وهو المتضرع السائل عند إقامته عازر وقد رفع عينيهُ إلي السماء وقال : يا أبت، أشكرك لأنك تسمع لي، وأنا أعلم أنك سميع لي في كل حين، ولكن لأجل هذا الجمع الحاضر، ليؤمنوا أنك أرسلتني " [١] .

والطالب لتلامذته التقديس والحفظ من الإله القادر علي ذلك بقوله " قدسهم بحقك " [٢] .

وبقوله " احفظهم باسمك الذي أعطيتني " [٣] .

الداعي متضرعاً، والمتردد في إمكان النجاة من الصلب بقوله: " إن كان يستطاع فلتغير عني هذه الكأس، وليس كإرادتي ولكن كإرادتك " [٤] .

والمستفهم من إلهه لِمَ تركه؟ بقوله " إلهي، إلهي، لم تركتني " [٥] .

والنافي عنه العلم المختص بالإله إثباته بقوله: " أما ذلك اليوم وتلك فلا يعلم بها أحد ولا الملائكة ... ولا الابن إلا الآب " [٦]، والمصرح بالإنسانية والرسالة بقوله: " أنا إنسان كلمتكم بالحق الذي سمعته من الله " [٧]، والمقِّيد أحكامه بما يؤمر " كما أمرني الأب كذلك أتكلم " [٨] .

والمشهود له علي لسان من أثني عليه من عظماء تلامذته بأن الخوارق مصنوعة لله علي يده بقوله: " إن يسوع الناصري رجل ظهر بينكم بالقوي والآيات التي فعلها الله علي يده " [٩] .

---

(١) يوحنا ١١: ١ . ٤، ولعازر هو الرجل الذي أحياه عيسي عليه السلام كما قالوا .

(٢) يوحنا ١٧: ١١، ١٢ .

(٣) يوحنا ١٧: ١١، ١٢ .

(٤) مرقس ١٤، ومتي ٢٦: ٣٩ .

(٥) يوحنا ٨: ٣٩ . ٤٠، متي ٢٧: ٤٦، مرقس ١٥: ٣٤ .

(٦) مرقس ١٣: ٣٢ .

(٧) يوحنا ٨: ٤٠ .

(٨) يوحنا ٨ .

(٩) أعمال الرسل ٢: ٢٢ .

السادة للفكر والثقافة
www.sadah.net

وإذا كانت هذه حالته عليه السلام، فكيف يركن العاقل إلي ما لا يعلم من حقيقته مع إمكان علمه وينبذ المعقول والمنقول حَجْرَة [1] " [2] .

وثالثها: أن هذه الخوارق التي وهبها الله .تعالي .له لا ترفعه عن درجة النبوة والرسالة، فإنه أخبر أنه مرسل من الله عشرات المرات، وصرح حقيقة بأن " أمره أمره ونهيه نهيه، وجميع أحكامه صادرة منه، وهذا شأن الأنبياء والمرسلين " [3] .

وهذا وغيره يوجب القول برسالته وإنكار إلهيته .

ورابعها: أنهم إذا قالوا: إنا أثبتنا إلهيته لأنه كان إذا طلب منه فعل خوارق الآيات أجاب، قلنا: " إنه ما كان يصنع كل آية تطلب منه فعندما طلب منه اليهود آية قال: لماذا يطلب هذا الجيل آية؟ الحق أقول لكم لن يعطي هذا الجيل آية، ثم تركهم .. " (مرقس ٨: ١١ .١٣)، بل إنهم مرة أخري طلبوا منه معجزة، فما أظهر له معجزة ولا أحال إلي معجزة فعلها قبل هذا الطلب، ففي إنجيل يوحنا (٦: ٣٠، ٣١) أن اليهود قالوا: فأي آية تصنع لنري ونؤمن بك؟ ماذا تعمل؟ آباؤنا أكلوا المنَّ في البرية، كما هو مكتوب أنه أعطاهم خبزاً من السماء ليأكلوا .

وكان كلام المسيح عليه السلام في ذلك أنه تكلم بكلام لم يفهموه، ورجع كثيرون من تلاميذه إلي الوراء، ولم يعودوا يمشون معه " (يوحنا ٦: ٦٠ .٦٧) .

وقد أعلن المسيح عليه السلام جهاراً غير سر أنه لا يفعل المعجزات من عند نفسه، وأن الآيات من عند الله يؤتيه لرسوله متي شاء ويمنعها متي شاء، فقال: " أنا لا أقدر أن أفعل من نفسي شيئاً " (يوحنا ٥: ٣٠) .

فهو خاضع ومنكسر لأمر ربه .

وخامسها: أنه صرح .أيضاً .بأن المعجزات التي جرت علي يديه إنما حصلت بقدرة الله وحده لا بقدرته، فقال: " أما إذا كنت أطرد الشياطين بإصبع الله، فقد أقبل عليكم ملكوت الله " (لوقا

---

(١) الحَجْرة: الناحية، يقال قعد حَجْرة: انفرد، لسان العرب، مادة: حجر، والمعجم الوجيز، ص ١٣٦ .

(٢) الرد الجميل (أ) ص ٣٥ .٣٦ (ب) ص ١٦٢ .١٦٤ (جـ) ص ١٣٦ .١٣٨ .

(٣) الرد الجميل (أ) ص ١٥ (ب) ص ١٢٧ (جـ) ص ١٠٩ .

السادة للفكر والثقافة
www.sadah.net

١١: ٢٠) وقال: " أنا بروح الله أخرج شياطين " (متي١٢: ١٨) وهذا دأب الأنبياء والمرسلين .

وفهم هذا عنه عظيم تلاميذه بطرس، فجهر أمام بني إسرائيل بقوله: " أيها الإسرائيليون ... اسمعوا هذه الأقوال، يسوع الناصري قد تبرهن لكم من قِبل الله بقوات وعجائب صنعها الله بيده في وسطكم كما أنتم تعلمون " (أعمال الرسل ٢: ٢٢) .

ولم ينكر أحد من الحاضرين من تلاميذ المسيح عليه السلام وغيرهم عليه قوله: " وهذا التلميذ المصرح بما ذُكر لا يسع أحد منهم ان يُخطر بباله مخالفته، وصرح الإنجيل ناطق، عموماً وخصوصاً، أما عموماً فقوله لتلامذته الحق أقول لكم: إنَّ كل ما ربطتموه علي الأرض يكون في السماوات، وما حللتموه علي الأرض يكون محلولاً في السماوات " .

وأما خصوصاً فقوله مخاطباً له:" أنت، وعلى هذه الصخرة أبني بيعتي، ثمَّ قال له: وما ربطته علي الأرض يكون مربوطاً في السماوات، وما حللته علي الأرض يكون محلولاً [*] " [١] .

سادسها: أنهم إذا قالوا: إنما قلنا بألوهيته لأنه بعد إتيانه بالمعجزات سُجد له، وأنه قبل السجود من كثيرين دون اعتراض .

والجواب: أن السجود علي وجه التحية كان جائزاً في شريعة بني إسرائيل، ولو كان إلهاً لأمر الناس بالسجود له وعبادته ودعاهم إلي ذلك في مشاهده كلها كيف وهو المصرح بوحدانية ربه وعبادته دون سواه وقنوته لربه أناء الليل وأطراف النهار .

بل إن المسيح عليه السلام علي النقيض من ذلك كان يصر علي كتمان الآيات التي أجريت علي يديه خشية أن ينظر بنو إسرائيل إلي ما أظهره الله . تعالي . علي يديه، وينسوا بشريته، فيتخذوه إلهاً، فإنه بعد إبراء الأعمين انتهرهما قائلاً: انظرا لا يعلم أحد (متي و: ٣٠)، وبعد أن طهر الأبرص قال له: انظر، لا تقل لأحد شيئاً (متي ١: ٤٠ ت ٤٤) (لوقا ٥: ١٢ . ١٤) (مرقس ١: ٤٤ . ٤٩)، وفي قصة شفاء أعمي بيت صيدا قال له: لا تدخل القرية، ولا تقل لأحد في القرية (مرقس ٨: ٢٦)، وما أن فرغ من شفاء الأصم الأبكم حتى أوصي الناظرين أن لا يقولوا لأحد (مرقس ٧: ٣٦) .

---

[*] تقدم ذكر لفظه في الترجمة الحديثة (يوحنا ٢٠: ٢٣، ومتي ١٦: ١٨) .

[١] الرد الجميل (أ) ص ٥٣ (ب) ص ١٩٠، ١٩١ (جـ) ص ١٥٩ .

السادة للفكر والثقافة
www.sadah.net

وظهر صدق تخوف المسيح عليه السلام من تقديس البشر له ولتلامذته وبعض أتباعه، فقد فُتن الناس ببولس ودَعوه إلها عندما جمع كثيراً من القضبان ووضعها علي النار فخرجت من الحرارة أفعى ونشبت في يده ... فنفضها إلي النار ولم يتضرر بشيء رديء ... فقالوا: هو غله (أعمال الرسل ٢٨: ١. ٦) .

وبعد أن شفي بولس عاجزاً بِلِسْتِره [*] قال الناس: إنَّ الآلهة تشبهوا بالناس ونزلوا إلينا، ثمَّ دعوه إلهاً ودعوا برنابا أيضاً، فلما سمع برنابا وبولس هذا مزقا ثيابهما، واندفعا إلي الجمع صارخين وقائلين: أيها الرجال: لماذا تفعلون هذا؟ نحن أيضاً بشر مثلكم نبشركم أن ترجعوا من هذه الأباطيل إلي الإله الحي الذي خلق السماء والأرض والبحر وكل ما فيها (أعمال الرسل ١٤: ٨. ١٥) .

وهذا الذي كان يؤكده عيسي عليه السلام فيما أظهره علي يديه من آيات .

ومما أكدوا به ادعاءهم إلهية عيسي عليه السلام والاتحاد من خلال صفات الله . تعالي . أنهم سألوا قائلين: إذا أراد الله . سبحانه أن يصير إنساناً فهل يستطيع؟، ثم قالوا: الإجابة من الجميع . وبلا استثناء : نعم [١] .

نقول إن هذا السؤال باطل بالأصل إذا لا يجوز في قح الإله أن يوصف بصفات النقص، فإنه إن وصف بها لن يكون إلهاً .

وما أيسر أن نرد علي قائل هذا بأسئلة أخري تؤكد فساد سؤاله فنقول: هل يقدر الله . تعالي . وحاشاه . أن يموت ؟ !!!

هل يستطيع الله عز وجل أن ينام ويأكل ويشرب .... [*] ؟!!

---

[*] لِسْتِره: مدينة باليونان في ولاية ليكأونية، وهي تبعد نحو ٤٠ كم إلي الجنوب الغربي من إيقونية، وهي غالباً " زولدره " حالياً، العهد الجديد بالخلفيات التوضيحية، ص ٥٤ (الملحق) .

[١] ينظر: استحالة تحريف الكتاب المقدس، للقمص: مرقس عزيز خليل، ص ٩٤، وكتاب: التجسد الإلهي هل له بديل، إعداد كنيسة مارمرقس، ص ٥٦ .

[*] هذا من باب المجاراة .

السادة للفكر والثقافة
www.sadah.net

والجواب: سيكون من الجميع بلا استثناء أن الإله . تعالي . لا يُنعت بهذا .

ثمَّ إن النصوص الواردة في أسفارهم المقدسة تنفي هذا السؤال وتدرؤه، ففي العهد القديم أن الله . سبحانه . قال: " لأني الله لا إنسان " (هوشع ١١: ١٩) .

وورد في سفر صموئيل الأول ١٥: ٢٩ قوله عن الله . تعالي : " لأنه ليس إنساناً ليندم " .

وجاء في سفر أيوب ٩: ٣٢ قوله عن الله . جل اسمه : " لأنه ليس إنساناً مثلي فأجاوبه، فنأتي جميعاً إلي المحاكمة " .

وجاء في سفر العدد ٢٣: ١٩: " ليس الله إنساناً فيكذب، ولا ابن إنسان فيندم " .

رابعاً: مناقشة كتاب الرد الجميل لاستدلالهم علي إلهيته عليه السلام بالميلاد العذراوى :

ومما استدلوا به علي دعوى إلهية عيسي عليه السلام معجزة الميلاد العذراوي [1] أنه خلق من مريم العذراء البتول من غير أب ولم يحدث هذا لغيره من العالمين .

الجواب: أن هذا الحادث يبين طلاقة قدرة الله . تعالي . وحرية إرادته، حيث إنه . تعالي . خلقه من غير سبب عادي بالولادة من أب وأم كسائر البشر، " فلما دلَّ الدليل علي عدم وقوع السبب القريب في حقه أضيف تكوينه إلي السبب البعيد وهو كلمة الله كن .. " وقد أتي بالمماثلة صريحاً، فقال عز من قائل: [illegible] [2] [3] .

فإذا استدلوا علي ألوهيته بأنه خلق من غير أب، فيلزمهم أن يعترفوا بالألوهية لآدم لأنه لم يخلق من نطفة أب ... بل نفخة الله فيه من روحه كما فعل بعيسي عليه السلام خلقه من نفخة الملك فعلقت بلحمة مريم، فنشأ منها وفيها ثمَّ أكرمه الله . تعالي . بأنواع الكرمات لم يكرم بها غيره منها

---

(١) استحالة تحريف الكتاب المقدس، ص ١٣٣، ثلاث حقائق في الإيمان المسيحي، ص ٥٨، ومن هو المسيح، د/ داود رياض، ص ٤٩، إيماننا المسيحي صادق وأكيد، ص ٢٢٦، وسر التجسد، للأنبا ياكوبوس، ص ٧٤، ٧٨، حوار حول الثالوث، للقديس: كيرلس الإسكندري، ص٩٢ .

(٢) سورة آل عمران، الآية (٥٩) .

(٣) الرد الجميل (أ) ص ٥٩، ٦٠ بتصرف (ب (ص ١٩٩، ٢٠١ (جـ) ص ١٦٦، ١٦٧ .

السادة للفكر والثقافة www.sadah.net

أنه أسجد له ملائكته وأعلمه بما لم يعلمهم حتى جعله رسولاً إليهم، وكفي بهذا شرفاً .

بل لو أمكن لأحد أن يقول إنَّ بشراً يتصور أن يكون إلهاً لكونه من غير أب لكان آدم أولي بذلك من حيث إنه لم تشتمل عليه أوضار الرحم، فقد شارك المسيح في كونه من غير أب،ولم يكن في ظلمة الرحم، ولم يتلطخ بدم الطمث ولا خرج من مجري البول [١].

ثمَّ إن أسفارهم المعتمدة ذكرت بأن ملكي صادق [٢] ولد من غير أب ولا أم، ففي الرسالة إلي العبرانيين ٧: ١ . ٣ " لأن ملكي صادق ... المترجم أولاً ملك البر، ثمَّ أيضاً ملك ساليم أي ملك السلام، بلا أب، بلا أم، بلا نسب، لا بداءة أيام له ولا نهاية حياة، بل هو مُشبَّه بابن الله " .

فعلي هذا النص الإلهي يكون ملكي صادق أحق بالإلهية من عيسي عليه السلام .

وإذا كانت ولادة عيسي عليه السلام من عذراء بتول برهان علي إلهيته وحجة لربوبيته، فإنَّ ولادة مريم وهي عذراء لم تكن أول حادثة من نوعها، فقد سبقتها علي الأقل حالة أخري ذكرتها المصادر المسيحية عند الحديث عن تفسير النبوءة التي نقلها متي في إنجيله من سفر أشعياء وفيها يقول: " هو ذا العذراء تحبل وتلد ابناً ويدعون اسمه عمانوئيل . الذي تفسيره الله معنا . (١: ٢٣)، يقول المفسرون: هذه النبوءة مذكورة في أشعياء ٧: ١٤، وقد أوحي بها نحو سنة (٧٤٠ ق. م)، والعبارة منقولة عن الترجمة السبعينية .. وظن البعض أن هذه النبوءة تمت أولاً في أيام أجاز الملك في ولادة ولد من فتاة كانت حينئذ عذراء، لكنها تزوجت فيما بعد، ثمَّ تمت ثانياً .. بولادة المسيح، وظن آخرون أن أشعياء لم يشر إلا إلي يسوع ابن مريم، والرأي الأول هو الأرجح،

---

(١) الإعلام بما في دين النصارى من الأوهام، للقرطبي، ص ١٣٦ .

(٢) ملكي صادق: ملك البر أو ملك السلام، كان إبراهيم عليه السلام يقدم له العشور، وقد أطلق عليه: كاهن الله العلي، وكاهن الله إلي الأبد (مزمور ١١٠: ٤)، وفي أثناء ظهور الكنائس، قيل عنه إنه قوة إلهية أسمي من المسيح، وقيل إنه أبو المسيح، وقيل: إنه الروح القدس، وقيل: إنه تجسد للكلمة، واعتقد أنه عاش بتولاً. ينظر: الظهورات الإلهية في كتب العهد القديم، للشماس د/ إميل ماهر إسحاق، ص ٧٩ . ٨٨ . وينظر: العهد الجديد بالخلفيات التوضيحية، ص ٢٩٧، ٢٩٨، (٤١ الملحق)، نشر دار الكتاب المقدس، القاهرة، ط٤، سنة ٢٠٠٧م .

السادة للفكر والثقافة
www.sadah.net

لأنه كثيراً ما رأينا النبوة الواحدة تمت عدة مرات [١] .

من ذلك يتبين أن الشعب الإسرائيلي ولدت فيه عذراء مرة . علي الأقل . منذ حوالي سبعة قرون قبل أن تلد فيه عذراء أخري هي مريم، وفي جميع الحالات فإنَّ هذه الولادة العذرية لا يمكن أن تعني شيئاً بالنسبة للمولود . مثل الحديث عن جانب لاهوتي له أو نحو ذلك ،. لكنها تعني شيئاً واحداً، وهو أن الله . سبحانه . يخلق ما يشاء، لأن الله علي كل شيء قدير " [٢] .

فلا يصح إدعاء إلهيته عليه السلام لأنه ولد من غير أب، أو ولد من عذراء .

---

(١) ينظر: الكنز الجليل في تفسير الإنجيل، تفسير إنجيل متي، د/ وليم إدي، ص ٩، نشر مكتبة المشعل الإنجيلية، ط٢ سنة ١٩٥٩م .

(٢) ينظر: النبوة والأنبياء في اليهودية والمسيحية والإسلام، م/ أحمد عبد الوهاب، ص ٦٢، نشر مكتبة وهبة، القاهرة، ط٢ سنة ١٩٩٢م .

السادة للفكر والثقافة
www.sadah.net

المبحث الثاني

إثبات الإنسانية المحضة لعيسي عليه السلام من خلال كتاب الرد الجميل

نصوص الأسفار التي تثبت الإنسانية المحضة لعيسي عليه السلام كثيرة جداً حتى ذكر صاحب الفارق منها أحد عشر مائة نص [١] .

ويمكن أن تكون هذه النصوص أضعاف ذلك فإنك لا تكاد تمر بإصحاح من إصحاحات العهد الجديد أو جملة من فقراته إلا وتري بشرية المسيح عليه السلام وإنسانيته المحضة مسلمة يقينية وحقيقة واقعية، وقد اكتفي حجة الإسلام الغزالى من هذه الأدلة بثلاثة نصوص (الرابع والخامس والسادس) جمعها من الأناجيل وهذه البراهين التي ساقها لإثبات البشرية الخالصة للمسيح عليه السلام يمكن ردها إلي أربعة براهين :

أحدها: أحواله البشرية وقيامه بأحوال الإنسان وخضوعه للسنن الكونية الواقعة علي بني آدم :

فعابدوه يقرون أن جسد المسيح كان جسداً حقيقياً وكاملاً، له كل خواص وصفات الجسد الإنساني [٢] ، ويدل علي ذلك :

١ . الولادة: " ولما ولد يسوع في بيت لحم " (متي ٢: ١) .

٢ . النمو: " وأما يسوع فكان يتقدم في الحكمة والقامة والنعمة " (لوقا ٢: ٥٢) .

٣ . التعب: : فإذا كان يسوع قد تعب من السفر جلس هكذا علي البير " (يوحنا ٤: ٦) .

٤ . النوم: " وكان هو (يسوع) في المؤخرة علي وسادة نائماً فأيقظوه " (مرقس ٤: ٣٨) .

٥ . الجوع: " فبعدما صام أربعين نهاراً وأربعين ليلة جاع أخيراً " (متي ٤: ٢) .

٦ . العطش: " يسوع ... قال: أنا عطشان " (يوحنا ١٩: ٢٨) .

٧ . المشاعر الإنسانية كالتحنن والعطف: " ولما رأي الجموع تحنن عليهم " (متي ٩: ٣٦)، والحب:

---

(١) الفارق بين المخلوق والخالق، لعبد الرحمن باجه جي زاده، ص ٣٤٦ . ٣٦١ .

(٢) انظر: إيماننا المسيحي، ص ١٠٧، ١٠٨ .

السادة للفكر والثقافة
www.sadah.net

" " فنظر إليه يسوع وأحبه " (مرقس ١٠: ٢١)، والفرح: " كلمتكم بهذا لكي يثبت فرحي فيكم ويكمل فرحكم " (يوحنا ١٥: ١١)، والحزن: " وابتدأ يحزن ويكتئب " (متي ٢٦: ٣٧) .

٨. البكاء: " بكي يسوع " (يوحنا ١١: ٣٥) .

٩. التجربة: " ثم أصعد يسوع إلي البرية ... ليُجَرب من إبليس " (متي ٤: ١) .

١٠. الصلاة: " صعد إلي الجبل منفرداً ليصلي " (متي ١٤ : ٢٣) .

١١. التألم: " هكذا هو مكتوب ... أن المسيح يتألم " (لوقا ٢٤: ٤٦) .

١٢. الموت: " فصرح يسوع أيضاً بصوت عظيم وألم الروح " (متي ٢٧: ٥٠) .

وغيرها الكثير والكثير .

وهذه الأفعال لا تصدر من الإله . سبحانه . تجسد بغيره أو لم يتجسد، ويشير حجة الإسلام إلي الأحوال التي تثبت إنسانيته المحضة وتنفي إلهيته فيقول: ومثل هذه المعضلة (أي إلهية عيسي عليه السلام) لا تثبت بمجرد الاحتمال، ما لم تُبرُهَن بالبراهين اليقينية، لا سيما في شخص وضحت إنسانيته، ثابتة لوازمها وملزوماتها وذاتيتها من الحيوانية،والنطق والإعياء، والجوع والعطش، والنوم، والاجتنان في الرحم والتألم . علي رأيهم . في الصلب حيث قال: (إلهي إلهي، لم تركتني) (مرقس ١٥: ٣٤، ٣٥) وكيف ينكر ذلك وفي إنجيل مرقص " وفي الغد خرجوا من بيت عنيا [**]، فجاع، ونظر إلي تينة من بعيد، ويليها ورق، فجاء إليها ليطلب فيها ثمرة، فلما جاءها لم يجد عليها شيئاً إلا ورقاً فقط، لأنه لم يكن في زمن التين " ١: ١٤ " " [١] .

صرح في هذا النص بإحساسه بالجوع، وظنه الشيء علي خلاف ما هو عليه، لأنه ظن أن عليها ثمرة، فأخلف ظنه، وظن أن الزمن زمن التين، أو ظن أنها تثمر في غير زمن التين، وكلاهما ظن غير مطابق !! .

[**] بيت عنيا: مكان قريب من أورشليم القدس، ينظر: الخرائط الملحقة بالعهد الجديد .

(١) نصه في الطبعات الحديثة (... وفي الغد خرج إلي بيت عنيا جاع فنظر شجرة تين من بعيد عليها ورق وجاء لعله يجد فيها شيئاً فلما جاء إليها لم يجد شيئاً إلا ورقاً لأنه لم يكن وقت التين، فأجاب يسوع وقال لها: لا يأكل أحد منك ثمراً بعد إلي الأبد) " مرقس ١١: ١٤ " .

السادة للفكر والثقافة
www.sadah.net

فإن قيل: فأي فائدة في تعطيل الشجرة ؟

قلنا: إنما فعل ذلك ليُثبِّت تلامذته علي إيمانهم، وليرغبهم في الازدياد من الأعمال التي يكون مثل هذا الفعل من بعض نتائجها لأن الأنبياء والأولياء حين وُعِدوا بالجنة، إنما وُعدوا بها محفوفة بالمكاره، ومكابدة الجوع والرضي به عن المكاره الشديدة !!، ومكابدة المكاره، ربما يقل معها عصام التقوى من العارفين، وتغلب كثرة من الرعاع .

فإذا أراهم مثل هذا الفعل، الذي هو من نتائج الأعمال الصالحة، رغبهم في الاستكثار من أسبابه، وحقَّر في نفوسهم مصائب الدنيا وآلامها، وليبين بذلك أن امتحان الأنبياء بالجوع والآلام ليس من قبيل الهوان بهم، بل من قبيل الامتحان والابتلاء، ف من صبر شاكراً راضياً قدر علي الإتيان بمثل ذلك .

ويدل علي صحة هذا التأويل قوله لبطرس في بقية هذا النص، وقد قال له: يا معلم، هذه التينة التي لعنتها قد يبست، (فأجاب يسوع وقال لهم) [*]: " إن كان لكم إيمان بالله الحق أقول كلم: إنَّ من قال لهذا الجبل: انتقل وأسقط في البحر، ولا يشك في قلبه، بل يصدق أن الذي يقوله يكون فيكون له " [١]، كل ذلك دليل علي أن يبسها إنما كان من باب معجزات الأنبياء [**]، لأنه قد أثبت لهم . بالولاية . نقل الجبل وسقوطه في البحر، وذلك أبلغ من يبسها، وقد أتي بمثل ذلك أيضاً في الإنجيل [***] مُصرِّحاً به فقال: الحق أقول لكم: إنَّ من يحفظ وصاياي يعمل الأعمال التي أعمل، وأفضل منها يصنع " [٢] .

ويؤكد ذلك تصريح الإنجيل في هذا النص بالجوع وتصريحه بطلب الثمرة فيها.

---

[*] هذه الجملة استفدتها من نص مرقس " ٢٠: ٢٤، وليست في الأصل ولم يذكرها المحقق .

(١) نصه الحديث: " وفي الصباح إذ كانوا مجتازين رأوا التينة قد يبست من الأصول، فتذكر بطرس وقال له: يا سيدي انظر، التينة التي لعنتها قد يبست، فأجاب يسوع وقال لهم: ليكن لكم إيمان بالله، لأني الحق أقول لكم: إن من قال لهذا الجيل انتقل وانطرح في البحر لا يشك في قلبه بل يؤمن أن ما يقوله يكون فمهما قال يكون له " (مرقس ٢٠: ٢٤).

[**] في الأصل: كرامات .

[***] المقصود إنجيل يوحنا .

(٢) نصه: " الحق أقول لكم من يؤمن بي فالأعمال التي أنا أعملها يعملها هو أيضاً، ويعمل أعظم منها لأني ماض إلي أبي " (يوحنا ١٢: ١٣) .

السادة للفكر والثقافة
www.sadah.net

وهذا أيضاً يبطل قول من يقول: إنما فعل ذلك إعلاماً لهم أنه قادر علي إماتة الأحياء، لأنه يلزم أن يكون واضع هذا النص في الإنجيل كاذباً في قوله: فجاع، وفي قوله: فجاء ليطلب فيها ثمرة، جعل ذلك علة مجيئه إليها !! .

وهل يكون ما ذهبوا إليه إلا كقول القائل: جعت، فنظرت شجرة فجئت إليها لأطلب فيها ثمرة، فلم أجد شيئاً، فدعوت عليها بالجفاف، ليُسْتَدل بذلك علي أني إله قادر علي إماتة الأحياء ؟! وهذا من جنس كلام المغفلين، تعالي الله عن ذلك " [1] أ.هـ .

وقد استدل الإمام القرافي من نص التينة السابق علي عبودية المسيح عليه السلام لله . تعالي . من خمسة وجوه :

الأول: جوعه، وهو ينافي الربوبية ويثبت العبودية .

والثاني: عدم علمه بعدم ثمرة الشجرة، والله بكل شيء عليم، فدل علي أنه بشر لا يعلم إلا ما علمه الله . جل جلاله ..

والثالث: غضبه علي الشجرة، لأنه لما أنخرم عليه أمله قوي غضبه، وهذه خاصية البشرية المنافية للربوبية .

والرابع: تعجب التلاميذ من يبسها بقوله، ولو كانوا يعتقدون إلهيته لم يعجبوا لذلك.

والخامس: قوله لهم: (لو كان إيمانكم بغير شك لطاوعكم الجبل) دلَّ ذلك علي أنه إنما ظهرت كرامته في الشجرة بإيمانه الصادق لا بكونه إله العالم، وإلا كان الجواب: لو كنتم مثل آلهة، وأبناء الله لفعلتم مثل فعلي، ولا كان يحسن ذكر الإيمان ولا علل به، دلَّ ذلك علي انه نبيه، ودل علي إثبات عبوديته وإبطال ألوهيته) [2] .

النص الرابع (عدم علمه عليه السلام بميعاد الساعة) :

ويدلل حجة الإسلام مرة أخري علي بشرية المسيح عليه السلام ورد القول بألوهيته بما ورد عنه من

---

(1) الرد الجميل (أ) ص ١٧ . ١٩ (ب) ص ١٣١ . ١٣٥ (جـ) ص ١١٢ . ١١٤ .

(2) يراجع: الأجوبة الفاخرة، ص ٢١٩، ٢٢٠، تحقيق أستاذي الأستاذ الدكتور: بكر زكي عوض، و ط أخري علي هامش الفارق، ص ٩٧ .

السادة للفكر والثقافة
www.sadah.net

أنه نفي علمه بميعاد يوم القيامة حيث قال : وأما ذلك اليوم وتلك الساعة، فلا يعلم بهما أحد، ولا الملائكة الذين في السماء ولا الابن إلا الآب " (مرقس ١٣: ٣٢)، فلو كان إلهاً لعلم ما يعلمه ربه .تعالي .[*] وهذا يبطل وصفهم إياه بأنه كلي العلم [١] .

يوضح ذلك الإمام الغزالى قائلاً: (النص الرابع . أي من إطلاقه ما يوهم الإلهية علي نفسه) ذكر مرقص في إنجيله في الفصل الرابع والأربعين (فأما ذلك اليوم وتلك الساعة فلا يعرفها أحد، ولا الملائكة الذين في السماء، ولا الابن إلا الأب وحده)، صرح في هذا النص بالإنسانية المحضة نافياً عنه العلم المختص بالإله، وهذا من أوضح الأدلة علي إنسانيته المحضة .

ومن هذيانهم حملهم هذا النص علي أن الملائكة والابن، كل منهما معطوف علي ضمير الساعة، ويكون تقدير الهذيان، أما ذلك اليوم وتلك الساعة، فلا يعرفها ولا الملائكة، ولا الابن أحد إلا الأب وحده !! .

فأعجب من هذه العقول [*]، كيف فاتها أن صفات الإله إذا لم تثبت بالبراهين اليقينية، فلا أقل من كونها ظاهرة الدلالة، وانظركم من بُعد في هذا التأويل الذي ينبو عنه السمع؟! وكم خولف فيه من ظاهر ؟ .

ثمَّ إن قائله لما ضاق عليه المجال وقيل له: أي لفظ في هذا النص يفهم منه السؤال عن الملائكة والابن، فأجابهم دفعة .

ثمَّ إن مؤوله، إنما أوله بما ذكر، فراراً من نفي العلم المختص بالإله إثباته، وذلك بعينه موجود

---

[*] وهذا النص استدل به آريوس قائلاً لأثناسيوس: فإن كان الابن لا يعرف وقت الدينونة فكيف يكون إلهاً. ينظر: ألوهية المسيح من يخفي الشمس، إعداد كنيسة مارمرقس، ص ٦٢، وقصة الحضارة ١١/ ٣٩٥، وتاريخ الأقباط، لزكى شنودة ١/ ١٥٥ .

(١) ثلاث حقائق في الإيمان المسيحي، ص ٦٦ .

[*] وقد أوّل المعاصرون منهم هذا النص بأن المسيح ذو طبيعتين ... فإذا كان يعلم بالساعة من حيث هو إله فهو عالم بها ... ولكنه يمكنه أن ينكر المعرفة عن نفسه " أي الناسوت ". ينظر: أنت المسيح الله ابن الله الحي، ص ١٠٦، وانظر ص ١٠٧، ١٠٨. قلت قوله السابق يثبت انقسام الطبيعتين فيلغى الاتحاد، ثم قال الأنبا غريغوريس، ص ١٠٧ : ومما يلفت النظر حقاً أن كلمة ولا الابن .. لم ترد في غير مرقس ... فربما كان هناك قصد من إيرادها في إنجيل كتب إلي الرومان، قلت: وهذا تشكيك منه في إنجيل مرقس، ويلزم منه التشكيك في الأناجيل كلها

السادة للفكر والثقافة
www.sadah.net

فيما ذكره من التأويل بل الجهالة أعظم، وبيانه أنه: إذا جعل الابن والملائكة معطوفين علي ضمير الساعة، كان معناه: أما معرفة عين الساعة ومعرفة حقيقة الابن وحقيقة الملائكة، فلا يعرف ذلك إلا الأب وحده، وهو عليه السلام إذا أطلق الابن أراد نفسه، وإذا أطلق الأب أراد الإله . جل سامه . فيعود عين ما فروا منه ...، لأنه في ظاهر النص المذكور نفي عن نفسه معرفة عين الساعة فقط .

وفي هذا التأويل يكون قد نفي عن نفسه معرفة عين الساعة، ومعرفة حقيقة نفسهن ومعرفة حقيقة الملائكة " [1] أ. هـ .

ثانيها: شهادته عليه السلام لله . تعالي . بالوحدانية، ولنفسه بالرسالة :

النص الخامس :

وقد استدل حجة الإسلام علي هذا المعني (في النص الخامس) بما جاء في يوحنا في الفصل السابع والثلاثين (.. تكلم يسوع بهذا ثمَّ رفع عينيه إلي السماء وقال يا أبة حضرت الساعة، فمجِّد ابنك، ليمجدك ابنك، كما أعطيته السلطان علي كل جسد، ليعطي كل من أعطيته حياة الأبد، وهذه حياة الأبد أن يعرفوك أنك أنت الإله الحق وحدك، والذي أرسلته يسوع المسيح) [2] .

ثمَّ قال صرح بالرسالة للمسيح، ولا يمكن عود ذلك إلي الناسوت، لأن المسيح اسم عندهم بمجموع حقيقة مركبة من: لاهوت وناسوت، فإن أدعي مدع أن ذلك محمول علي المجاز لم يجز كلامه وكذَّب بامتناع إطلاق مثل ذلك هي العرف إذ قول القائل: رأيت حبراً، وهو يريد الزاج [*] . من حيث هو زاج . منفكاً عن الحبرية ليس من السداد في شيء، هذا كله بعد أن يلجأ إلي بيان أن

---

(1) الرد الجميل (أ) ص ٢٠، ٢١ (ب) ص ١٣٨ . ١٤٠ (جـ) ص ١١٥ . ١١٧ .

(2) نصه في الطبعة الحديثة (بروتستانت) " تكلم يسوع بهذا، ورفع عينيه نحو السماء، وقال أيها الأب قد أتت الساعة " ساعة الموت عندهم " مجد ابنك ليمجدك ابنك أيضاً، إذ أعطيته سلطاناً علي كل جسد، ليعطي حياة أبدية لكل من أعطيته، وهذه هي الحياة الأبدية أن يعرفوك أنت الإله الحقيقي وحدك، ويسوع المسيح الذي أرسلته) " يوحنا ١٧: ١ . ٣ " وقارن بما جاء في طبعة الكاثوليك في الموضع نفسه .

(*) الزاج: دواة الحبر .

السادة للفكر والثقافة
www.sadah.net

لغة الإنجيل من أحكامها إطلاق الكل وإرادة البعض، فإن نهض بذلك فما أشرنا إليه كاف لمساواتها اللغة العربية، وإن لم ينهض بذلك فالاعتراض ساقط ولا حاجة إلي ما ذُكر من الجواب .

ثمَّ أكدَّ ذلك بقوله: " ليعطي كل من أعطيته حياة الأبد "، ثمَّ فسَّر حياة الأبد، فقال: وهذه حياة الأبد أن يعرفوك أنك أنت الإله الحق وحدك، والذي أرسلته يسوع المسيح .

فصرح للإله بالإلهية والوحدانية، وصرح لنفسه بالرسالة .

ويصرح أيضاً بولس الرسول في حقه حين وصف القيامة، فقال: " فحينئذ يخضع الابن للذي أخضع له كل شيء " [1] .

وصفه بالخضوع لله في القيامة، وهذا شأن العبيد الخاضعين لعظمة الله، ووصف الإله بالقدرة علي إخضاع كل شيء لعظمته، وهذا شأن الإله القادر .

وذكر أيضاً في رسالته التي سيرها إلي أَفْسس: (ولست أفتر من الشكر عنكم والذكر لكم في صلواتي أن يكون إله سيدنا يسوع المسيح الأب المجيد أن يعطيكم روح الحكمة والبيان) [2] .

فصرح بطلب الإعطاء من إله يسوع المسيح، ووصف الإله بأنه الأب المجيد، وجعله إلهاً للمسيح .

وصرح أيضاً في كتاب " الرسائل " فقال: (الله الواحد هو، والوسيط بين الله والناس، الإنسان يسوع المسيح) [3] .

وصرح الإنجيل . أيضاً . (لا تدعوا لكم معلماً علي الأرض فإنَّ معلمكم واحد هو المسيح، ولا

---

(1) نصه (بروتستانت) في رسالة بولس الأولي إلي أهل كورنثوس ١٥: ٢٨(فحينئذ الابن نفسه أيضاً سيخضع للذي أخضع له الكل، كي يكون الله الكل في الكل) .

(2) في رسالة بولس إلي أهل أفسس (١: ١٦ . ١٧): " لا أزل شاكراً لأجلكم، وذاكراً إياكم في صلواتي كي يعطيكم إله ربنا يسوع المسيح أبو المجد روح الحكمة والإعلان في معرفته " .

(3) في رسالة بولس الأولي إلي تيموثاوس ٢: ٥: " يوجد إله واحد ووسيط واحد بين الله والناس، الإنسان يسوع المسيح " .

السادة للفكر والثقافة
www.sadah.net

تدعوا لكم أباً علي الأرض، فإن أباكم واحد الذي هو في السماء) [١] دليل علي التغاير، لأنه وصف نفسه بوحدة التعليم في الأرض، ووصف الإله بوحدة الأبُوَّة، وهو إذا أطلق الفلك أراد الإله، فيكون قد وصفه بوحدة الإلهية، ثم أشار إلي جهة العلو " فإن أباكم واحد هو الذي في السماء ... " .

ثمَّ من العجب إنكارهم خضوعه المنافي للإلهية وهو القائل عند قيام عازر [٢] وقد رفع عينيه إلي السماء: (يا أبت أشكرك لأنك تسمع لي، وأنا أعلم أنك تسمع لي في كل حين، لكن لأجل هذا الجمع الحاضر، ليؤمنوا أنك أرسلتني ...) .

والقائل أيضاً ليلة الصلب . علي رأيهم : (إن كان يستطاع فلتعْبُر عني هذا الكأس) [٣] متضرعاً للإله .

وقوله عندما صُلب . علي رأيهم : (الوي الوي ليما صافحتاني، وهذه كلمات عبرانية معناها: إلهي إلهي لمَ تركتني) [٤] .

وأي إله هذا شأنه شك في استطاعة عبور الكأس، ورفع صوته مستفهماً من إلهه: لمّ تركه .، ثمَّ غاير بين إرادته وإرادة إلهه بقوله: وليس كإرادتي ولكن كإرادتك .

ثمَّ غاير أيضاً بينه وبين إلهه بقوله: (تضطرب قلوبكم، آمنوا بالله، وآمنوا بي) هذه الكلمات مصرح بها في إنجيل يوحنا في الفصل الثاني والثلاثين، ثمَّ أوضح المغايرة، فقال في الفصل السابع من هذا الإنجيل: إنَّ من سمع كلامي وآمن بمن أرسلني وجبت له الحياة الدائمة، فصرح بأن له مرسلاً، ومعلوم أن المرسِل غير المرسَل، ثمَّ جعل الحياة الدائمة مشروطة بالإيمان بمرسله، وسماع كلامه المخبر به عن الله، وهذا تصريح بأحوال الأنبياء والمرسلين [٥] أ.هـ .

---

(١) نصه في الطبعة الحديث (لا تدعوا لكم أباً علي الأرض لأن أباكم واحد الذي في السماوات ولا تدعوا معلمين لأن معلمكم واحد يسوع المسيح) " متي ٢٣: ٩ . ١١ " .

(٢) لعازر: حسب الترجمة الحديثة أحياه عيسي عليه السلام من الموت، يوحنا ١١: ١ . ٤١ .

(٣) مرقص ١٤: ٣٦: " يا أبا الآب، كل شيء مستطاع لك، فأجز عني هذه الكأس " .

(٤) نصه الحالي: صرح يسوع بصوت عظيم، إيلي، إيلي لم شبقتني أي إلهي إلهي لم تركتني " متي ٢٧: ٤٦ .

(٥) الرد الجميل (أ) ص ٢١ . ٢٣ (ب) ص ١٤٠ . ١٤٢ (جـ) ص ١١٧ . ١٢١ .

السادة للفكر والثقافة
www.sadah.net

وهذا الشرح الذي ذكره حجة الإسلام يستفاد منه أربعة أمور لإثبات بشرية المسيح:

أحدها: كونه رسول نبي :

فقد اجتمعت كلمة المسيح والمؤمنين به وأحبابه علي أنه نبي من أنبياء الله . تعالي . ورسول من رسله . عليهم السلام ..

ففي إنجيل لوقا ٢٤: ٢٩ (يسوع الناصري الذي كان إنساناً نبياً مقتدراً في الفعل والقول أمام الله وجميع الشعب) .

هذا القول حكاه الإنجيل عن تلميذين من تلاميذ المسيح قالاه أثناء مشيه معهما دون أن يعرفاه وذلك بسمع المسيح ولم ينكر عليهما .

وفي إنجيل يوحنا ٤: ١٩ قول المرأة السامرية: (يا سيد أري أنك نبي) .

وكذا قال جموع المؤمنين الذين دخلوا مع المسيح القدس : (هذا يسوع النبي من ناصرة الجليل) متي ٢١: ١١ .

وكذا . أيضاً . قال الناس الذين رأوا آية من الآيات التي أعطاها الله . تعالي . للمسيح . فآمنوا به : (إن هذا هو بالحقيقة النبي الآتي إلي العالم) " يوحنا ٦: ١٤ " .

وقال المسيح معرضاً بنفسه: (لا يمكن أن يهلك نبي خارجاً من أورشليم) " لوقا ١٣: ٣٣ " .

كما جاءت عن المسيح عليه السلام نصوص قاطعة وكثيرة تثبت أنه رسول من الله . تعالي .، لا يعدو ذلك، ومن هذه النصوص: (لأني لم أتكلم من نفسي، لكن الآب الذي أرسلني، هو أعطاني وصية ماذا أقول وبماذا أتكلم) " يوحنا ١٢: ٤٩ " .

(لم أرسل إلا إلي خراف بني إسرائيل الضالة) ط متي ١٥: ٢٤ " .

(كما أرسلني الآب أرسلكم) " يوحنا ٢٠: ٢١ " .

(أيها الآب البار، إن العالم لم يعرفك أما أنا فعرفتك، وهؤلاء عرفوا أنك أرسلتني) " يوحنا ١٧: ٢٥ " .

(من يسمع كلامي ويؤمن بالذي أرسلني فله حياة أبدية) " يوحنا ٥: ٢٤ " .

السادة للفكر والثقافة
www.sadah.net

(لأن الأعمال التي أعطاني الرب لأكملها هذه الأعمال بعينها، هي تشهد لي أن الأب قد أرسلني) [1] " يوحنا ٥: ٣٦. ٣٧ " .

(وقد قرر يوحنا المعمدان أن المسيح رسول، لأن الذي أرسله الله يتكلم بكلام الله) " يوحنا ٣: ٤٣ " .

وحجة الإسلام يعقب علي قول الإنجيل (وهذه حياة الأبد أن يعرفوك أنك أنت الإله الحق وحدك، والذي أرسلته يسوع المسيح) " يوحنا ١٧: ٣ " قائلاً: (فصرح للإله بالإلهية والوحدانية، وصرح لنفسه بالرسالة) [2] . بل وهو كأي رسول .

والذي يقطع بأنه رسول أنه ابتدأ دعوته بعد أن بلغ الثلاثين من عمره ولم يكن يعلن أنه رسول من عند الله .تعالي ،. قبل هذا ففي إنجيل لوقا ٣: ٢٣ "، ولما ابتدأ يسوع كان له نحو ثلاثين سنة، وهو علي ما كان يُظن ابن يوسف بن هالي، وعند مطالعة النسخة الإنجليزية الحديثة نسبياً والمعروفة بالنسخة القياسية المنقحة (١٩٧١م) يظهر هذا المعني بوضوح، إذ فيها:

(Jesus, When he began his ministry, Was about Thirty years of qge 00) (Lvke 3: 23(R0 S0 V0)

وترجمته: وعندما بدأ عيسي يقوم بمهامه أو واجباته الكهنوتية أو الخدمية كان يبلغ من العمر حوالي الثلاثين سنة " [3] .

ففي هذا النص .الذي غير في نسخة الملك جيمس والطبعات الحديثة .التصريح بأنه عليه السلام بدأ يقوم بواجباته النبوية بعد أن بلغ الثلاثين من عمره ويصحح هذا أنهم ذكروا أن للمسيح عليه السلام

---

(١) للمزيد من النصوص ينظر: لوقا ٤: ٤٣، ١٠: ١٥، ويوحنا ٤: ٣٤، ٥: ٢٣، ٢٤، ٨: ٢٦، ٢٩، ١٠: ١٥، ١١: ٤١ . ٤٣، ١٢: ٤٤ . ٤٥، ١٧: ٣، ١٧: ١٨، متي ١٠: ٤٠، ويراجع بحث: بشرية المسيح عليه السلام في الأناجيل المقدسة لدي النصارى، بحث بحولية كلية الدعوة الإسلامية، ج١ سنة ١٤٢٤هـ . ١٤٢٥هـ، للدكتور/ جمال السيد محمد برس، وينظر: تخجيل من حرف التوراة والإنجيل ١/ ١٧١، ١٧٢ .

(٢) الرد الجميل (أ) ص ٢٢ .

(٣) ينظر: هامش كتاب " أيهما كلام الله "، لأحمد ديدات، ص ٤٣ . ٤٥، والترجمة: لأحمد مختار .

السادة للفكر والثقافة
www.sadah.net

تنقلات السنة الأولي والثانية والثالثة فقط [1]، ومعلوم أن هذه السنوات الثلاث تمثل مدة الدعوة لعيسي عليه السلام منذ البعثة حتى الرفع إلي السماء، كما ذكروا أن بداية خدمته كانت بمعجزات وتبشير عندما بلغ هذا السن (متي ٤: ١٢) (يوحنا ٢) .

والثاني: شهادته لله .تعالي. بالوحدانية، ولنفسه بالعبودية :

وهذه الشهادة يجليها مواقفه وأقواله الكثيرة التي تثبت هذه الحقيقة المعلومة من أحواله كلها .

فعندما جاء الشيطان ليُجرِّبه قال: (اذهب يا شيطان، لأنه مكتوب للرب إلهك تسجد وإياه وحده تعبد) " متي ٤: ١٠ " .

وفي مرقس ١٢: ٢٨ . ٣٢ (فجاء واحد من الكتَبة وسمعهم يتحاورون، فلما رأي أنه أجابهم حسناً سأله أية وصية هي أول الكل، فأجاب يسوع: إن أول كل الوصايا هي: اسمع يا إسرائيل الرب إلهنا رب واحد [*] وتحب الرب إلهك من كل قلبك ومن كل نفسك ومن كل فكرك ومن كل قدرتك، هذه هي الوصية الأولي، وثانية مثلها هي: تحب قريبك كنفسك، وليس وصية أخري أعظم من هاتين، فقال له الكاتب: جيداً يا معلم، بالحق قلت، لأن الله واحد وليس آخر سواه) .

فهنا أثبت الوحدانية الخالصة لله وحده ونفى الإلهية عن غيره، والشاهد غير المشهود له .

ونري أحد السائلين يقدم إليه قائلاً: (أيها المعلم الصالح ماذا أعمل لأرث الحياة الأبدية، فقال له يسوع لماذا تدعوني صالحاً ليس أحد صالحاً إلا واحد وهو الله) " مرقس ١٠: ١٧، ١٨ " " لوقا ١٨: ١٩ " .

ففي هذا إثبات الفردانية لله الواحد الأحد .سبحانه ..

وفي الرسائل نقرأ (أنت تؤمن أن الله واحد،حسناً تفعل) "رسالة يعقوب ٢: ٢٩" .

وتحققه بالعبودية لله ت تعالي . متيقن من قوله السابق: إلهي، إلهي، لمَ تركتني، فحكم بأنه

---

(١) العهد الجديد بالخلفيات، ص ٧٨، ٧٩ (الملحق) .

(*) يظر أيضاً: سفر التثنية (٦: ٤) والتكوين (٦: ٤، ٥) .

السادة للفكر والثقافة
www.sadah.net

عبد، وأن له إلهاً ورباً قريباً مجيباً .

والثالث: وصفه بأنه إنسان وابن إنسان :

وقد قرر هذه الحقيقة عيسي عليه السلام نفسه، فنسب متي إليه قوله: (جاء ابن الإنسان يأكل ويشرب فيقولون: هو ذا إنسان أكول وشريب خمر) " متي ١١: ١٩ " .

وفي لوقا (٨: ١٠): (وأقول لكم كل من أعترف بي قدام الناس يعترف به ابن الإنسان قدام ملائكة الله، ومن أنكرني قدام الناس يُنكر قدام ملائكة الله، وكل من قال كلمة علي ابن الإنسان يغفر له، وأما من جدف علي الروح القدس فلا يغفر له)، وهذا يدل علي أن الروح القدس مغاير لعيسي عليه السلام، لأنه إنسان وبشر .

وفي مرقس ٨: ٣١: (وابتدأ يعلمهم أن ابن الإنسان ينبغي أن يتألم كثيراً ويرفض من الشيوخ ورؤساء الكهنة والكتبة ...) .

وفي يوحنا ٦: ٢٧: (اعملوا لا للطعام البائد، بل للطعام الباقي للحياة الأبدية الذي يعطيكم ابن الإنسان) .

وقد كانوا ينادونه ويعاملونه علي أنه إنسان محض، ففي إنجيل لوقا ٢٣: ١٣ . ١٤: (فدعا بيلاطس رؤساء الكهنة والعظماء والشعب وقال لهم: قد قدمتم إليَّ هذا الإنسان كمن يفسد الشعب، وها أنا قد فحصت قدامكم ولم أجد في هذا الإنسان علة مما تشتكون به عليه) [*] .

ولو كان إلهاً لأنكر وصفهم إياه بأنه إنسان، ولا يجوز له السكوت عن ذلك .

وقد مر بنا أن الله . تعالي . لا يكون إنساناً ولا ابن إنسان، ففي سفر العدد ٩: ٣٢: (ليس الله إنساناً فيكذب، ولا ابن إنسان فيندم)، والبشر لا يستطيعون أن يروا الله . تعالي . ففي سفر الخروج قال الله . تعالي . لموسى عليه السلام (لا تقدر أن تري وجهي لأن الإنسان لا يراني ويعيش)، وقد

---

[*] للمزيد من هذه الفقرات ينظر متي (١٢: ٣٢) (٢٠: ٢٧ . ٢٨) (٢٤: ٢٩ . ٣٠) (٢٥: ١٢، ١٣) (٢٤: ٣٧، ٣٩) (٢٥: ٣١) (٢٦: ٢٤)، ومرقس (٩: ٩) (١٠: ٤٣ . ٤٤) (١٤: ٢١) (١٧: ٢٢ . ٢٤)، ولوقا (٩٨: ٢٦) (٩: ٥٦) (١٢: ٨ . ١٠) (١٨: ٧ . ٨) (٢٣: ٤٧) (٢٣: ٥٦)، ويوحنا (١: ٥١) (٣: ١٣) (٥: ٢٧) (٦: ٢٧) (١٣: ٣١) .

السادة للفكر والثقافة
www.sadah.net

رأي البشر المسيح عليه السلام، فلا يكون إلهاً .

والرابع: نعته بالمعلم :

ومما يثبت بيقين أن عيسي عليه السلام بشر نعته لنفسه بالمُعلِّم ونعت تلاميذه والمؤمنين به وغيرهم له بذلك مع ثنائه عليهم لفعلهم هذا، ففي متي ٢٣: ٨ . ١٠: (وأما أنتم فلا تدعوا سيدي لأن معلمكم واحد المسيح وأنتم جميعاً إخوة، ولا تدعوا لكم أباً لكم علي الأرض لأن أباكم واحد الذي في السماوات،ولا تدعوا معلمين لأن معلمكم واحد المسيح) .

ففي هذا النص يلقب نفسه بالمعلم، لأن وظيفة الرسل .عليهم السلام .التعليم .

كما خاطبه بطرس بهذا اللقب، ففي إنجيل لوقا ٨: ٤٥ (وإذا كان الجميع منكرون، قال بطرس: والذين معه، يا معلم الجموع يضيقون عليك ويزحمونك، تقول: من الذي لمسني) .

وكذا خاطبه عامة الناس مما يدل علي اشتهار هذا اللقب عليه في أرجاء المنطقة، ففي لوقا ٩: ٣٨: (وفي اليوم التالي إذ نزلوا من الجبل استقبله جمع كثير، وإذا رجل من الجمع صرخ قائلاً: يا معلم، أطلب إليك، انظر إلي ابني فإنه وحيد لي) .

وقد أثني المسيح علي من لقبه بالمعلم [*] فقط، فقال: (أنتم تدعونني معلماً وسيداً وحسناً تقولون لأنه أنا كذلك)، ولو كان أكثر من رسول لذم دعاءهم إياه بذلك، وأمرهم بتلقيبه بلقب الله أو إله أو ملك الملوك ورب الأرباب .

ثالثها: تأكيده عليه السلام بأنه إنسان ورسول :

(النص السادس) :

ويؤيد هذا المعني حجة الإسلام (في النص السادس) فيشير إلي أن من النصوص القاطعة في دلالة إثبات كون عيسي عليه السلام إنساناً نبياً وبشراً رسولاً ما ذكره يوحنا في إنجيله في الفصل الحادي والعشرين، قال لهم يسوع: (لو كنتم بني إبراهيم كنتم تعملون أعمال إبراهيم،لكنكم

---

[*] للمزيد من أدلة هذا اللقب ينظر: متي (١٩: ١٦، ١٧)، ولوقا (٥: ٥)، (٨: ٤٥)، (٩: ٣٨)، (١١: ٤٥)، (١٧: ١١ . ١٣)، ومرقس (٩: ٣٨)، (١٠: ٣٥)، ويوحنا (١٣: ١٣) .

السادة للفكر والثقافة
www.sadah.net

الآن تريدون قتلي،وأنا إنسان كلمتكم بالحق الذي سمعته من الله) [١].

وفي الفصل أيضاً: (فإن لي كلاماً كثيراً أقوله فيكم واحكم بهن ولكن الذي أرسلني حق، والذي سمعته منه به أتكلم في العالم) [٢].

وفي الفصل أيضاً: (لأني لم أتكلم بها من نفسي، لأن الأب الذي أرسلني هو أعطاني الوصية بماذا أقول، وبماذا أنطق، وأعلم أن وصيته حياة الأبد، والذي أقوله أنا كما أمرني الآب كذلك أتكلم) [٣].

صرح في هذا النص بالإنسانية بقوله: (إنسان كلمتكم بالحق، أي أنا إنسان) وصرح بالرسالة، وأنه لا يفعل إلا ما أمر به بقوله:(كلمتكم بالحق الذي سمعته من الله)، وبقوله: (كما أمرني الآب، كذلك أتكلم) .

وقد صرح بولس الرسول برسالته المحضة في رسالته التي كتبها للعبرانيين فقال: (انظروا إلي هذا الرسول، عظيم أحبار إيماننا، يسوع المسيح المؤتمن عند مرسله، وهو مثل موسى عليه السلام في جميع بيته) [٤].

صرح بأنه من جملة أحبارهم، وصرح بأن له مرسلاً، وأنه مؤتمن عنده، ثمَّ جعله مثل موسى عليه السلام في جميع بيته، أي الطوائف التي أرسل إليهم، يدل علي ذلك قوله في بقية الكلام في وصفه عليه السلام: (وإنما بيته نحن معاشر المؤمنين) .

---

(١) في الترجمة الحديثة (بروتستانت) قال لهم يسوع: " لو كنتم أولاد إبراهيم لكنتم تعملون أعمال إبراهيم، ولكنكم الآن تطلبون أن تقتلوني، وأنا إنسان قد كلمكم بالحق الذي سمعه من الله " (يوحنا ٨: ٣٩ . ٤٠) وقارن: ط كاثوليك في الموضع نفسه .

(٢) نصه في الترجمة الحديثة " بروتستانت " (يوحنا ٨: ٢٦): " إنَّ لي أشياء كثيرة أتكلم، وأحكم بها من نحوكم، لكن الذي أرسلني هو حق، وأنا ما سمعته منه فهذا أقوله للعالم " .

(٣) نصه في الترجمة الحديثة " بروتستانت " (يوحنا ٨: ٤٩، ٥٠): " لأني لم أتكلم من نفسي، لكن الأب الذي أرسلني هو أعطاني وصية، ماذا أقول وبماذا أتكلم ، وأنا أعلم أن وصيته هي حياة أبدية، فما أتكلم أنا به، فكما قال الأب لي هكذا أتكلم " .

(٤) نصه " بروتستانت " في رسالة بولس إلي العبرانيين ٣: ١، ٢: (هكذا لاحظوا رسول اعترافنا ورئيس كهنة المسيح يسوع، حال كونه أمينا للذي أقامه كما كان موسى أيضاً في كل بيته)، وقارن بطبعة الكاثوليك، ص ٣٥٤، تجد اختلافاً مبيناً .

السادة للفكر والثقافة
www.sadah.net

وإذا ثبت أن المراد بجميع بيته أمته، كان معني الكلام، وهو مثل موسى في أمته، وهذا تصريح بالرسالة المحضة .

وقد صرح في هذه الرسالة بما يوضح ذلك فقال: " فإن لكل بيت إنساناً يبنيه، والذي يبني الكل هو الله " [١] ، يريد بذلك أن كل واحد من هذين الرسولين هديت به أمته، والذي هدي الكل . في الحقيقة . إنما هو الله، وعاضد هذا التأويل مصرح به في الإنجيل وهو: " أنا كرمة الحق، وأبي هو الغار كل غصن فيَّ " [٢] ، صرح بهذا النص يوحنا في فصل الفارقليط [٣] ، وفي اللغة التي

---

(١) الرسالة إلي العبرانيين (٣: ٤) .

(٢) يوحنا (١٥: ١) بلفظ (أنا الكرمة الحقيقية وأبي الكرّام، كل غصْن فيَّ لا يأتي بثمر ينزعه) .

(٣) الفارقليط أو البارقليط: غير موجودة في الطبعات الحديثة للأناجيل، وأبدلت بألفاظ أخري مثل المعزى، والمخلص، والشافع والوكيل والمحامي ... علماً بأن كلمة الفارقليط كانت موجودة في الترجمة العربية للأناجيل المطبوعة في لندن سنة ١٨٢١م، ١٨٣١م، ١٨٤٤م، لكنها حُذفت لكثرة احتجاج المسلمين بها علي ثبوت نبوة النبي ﷺ في كتبهم .

وكلمة فارقليط معربة من كلمة بيركليتوس PeriQlytos وأصبحت في الفرنسية Poraclet، بمعني أحمد، وهي ترمز إلي اسم أو صفة المبشر به من المسيح عليه السلام والذي يأتي بعده، والأدلة علي ذلك كثيرة منها :

١ . شهادة العلامة علي بن ربَّن الطبري . الذي اهتدي للإسلام . في القرن الثالث الهجري في كتابه " الدين والدولة " ص ١٨٤ .

٢ . وهذا اللقب كان سبباً في إسلام القس الأسباني أنسلم تورميدا في القرن التاسع الهجري بعد أن ألح علي أستاذه القسيس (نقلا ومرتيل) علي توضيح معناها، فأخبره أن الفارقليط اسم من أسماء محمد ﷺ فأسلم وغير اسمه إلي عبد الله الترجمان، وألف كتابه " تحفة الأريب في الرد علي أهل الصليب " ص ٦٥ . ٧٥ .

=== ٣ . إقرار القس (دافيد بنجامين كلداني . الذي اهتدي إلي الإسلام وسمَّي نفسه عبد الأحد داود . في كتابه " محمد في الكتاب المقدس " بذلك فقد أبان فيه أن الفارقليط ليس هو الروح القدس، ولا غيره، وإنما هو اسم محمد ﷺ، وعضد ذلك بأدلة من نصوص الأناجيل وقواميس اللغة اليونانية، ص ٢٠٧ . ٢٢٩ من كتابه المذكور .

٤ . شهادة القس إبراهيم خليل فيلبس . الذي اهتدي إلي الإسلام وسمي نفسه إبراهيم خليل أحمد . بذلك في كتابه" محاضرات في مقارنة الأديان "ص ١١٨ . ١٢٠،ط دار المنار، القاهرة،ط٢،سنة ١٤١٢هـ . ١٩٩٢م . وكتابه محمد ﷺ في التوراة والإنجيل والقرآن،ص ٥٠ . ٦٢،نشر مكتبة المنار،القاهرة، سنة ١٤٠٩هـ . ١٩٨٩م .

٥ . إجماع علماء المسلمين المصنفين في مقارنة الأديان وغيرهم قديماً وحديثاً علي ذلك. وانظر: إظهار الحق، ص ٥١١، ودراسة في الكتب المقدسة، لموريس بوكاي، ص ١٢٥ . ١٢٩، الأجوبة الفاخرة، ص ٤٢٦، الجواب الصحيح ٤/ ٦ ت ١٨، هداية الحيارى، ص ١٠٢ . ١٢٧، الجواب الفسيح ١/ ٢٧٨ . ٣٠٨، وتخجيل من حرف التوراة والإنجيل ٢/ ٧٠١ . ٧٠٥ .

السادة للفكر والثقافة
www.sadah.net

ترجمت منها هذه الرسالة: " المؤتمن عبد من خلقه " [1] .

رابعها: إثبات إنسانيته المحضة من خلال قولهم بنسبه :

ونعضد رأينا في إنسانيته المحضة بما ادعاه النصارى [*] من إثبات نسب لعيسي عليه السلام .

وها هي سلسلة نسبه كما أوردها متي ولوقا مرتبة ترتيباً تنازلياً لتظهر الفوارق في طريقة الوحي لكليهما ! :

سلسلة النسب في إنجيل متي ١: ١ ـ ١٧	سلسلة النسب في إنجيل لوقا ٣: ٢٣ ـ ٣٨
١. إبراهيم ١٥. سليمان ٢٩. يكتيا	١. إبراهيم ١٥. ناثان ٢٩. عير ٤٣. مآث
٢. إسحاق ١٦. رحبعام ٣٠. شألتئيل	٢. إسحاق ١٦. متّاثا ٣٠. المودام ٤٤. نجّاى
٣. يعقوب ١٧. أبيا ٣١. زربابل	٣. يعقوب ١٧. مينان ٣١. قصم ٤٥. خسلى
٤. يهوذا ١٨. آسا ٣٢. أبيهود	٤. يهوذا ١٨. مليا ٣٢. أدّى ٤٦. ناحوم
٥. فارص ١٩. يهوشافاط ٣٣. ألياقيم	٥. فارص ١٩. ألياقيم ٣٣. ملكي ٤٧. عاموص
٦. حصرون ٢٠. يورام ٣٤. عازور	٦. حصرون ٢٠. يونان ٣٤. نيرى ٤٨. متاثيا
٧. أرام ٢١. عزيا ٣٥. صادوق	٧. أرام ٢١. يوسف ٣٥. شألتئيل ٤٩. يوسف
٨. عميناداب ٢٢. يوثام ٣٦. أخيم	٨. عميناداب ٢٢. يهوذا ٣٦. زربابل ٥٠. ينا
٩. نحشون ٢٣. آحاز ٣٧. ألود	٩. نحشون ٢٣. شمعون ٣٧. ريسا ٥١. ملكي

---

(1) الرد الجميل (أ) ص ٢٣ ـ ٢٥ (ب) ص ١٤٢ ـ ١٤٥ (جـ) ص ١٢١ ـ ١٢٤ .

(*) نحن كمسلمين ننكر هذا النسب جملة وتفصيلاً،فإن الله ـ سبحانه ـ قد حكم بأن مريم أحصنت فرجها فلم تتزوج علي الإطلاق، قال تعالي: ﴿ ... ﴾ (سورة الأنبياء،الآية:٩١) وقال ـ جل ذكره ـ: ﴿ ... ﴾ (سورة التحريم، الآية : ١٢) .

السادة للفكر والثقافة
www.sadah.net

١٠.سلمون ٢٤.حزقيا ٣٨.أليعازر ١١.بوعز ٢٥.منسى ٣٩.متَّان ١٢.عوبيد ٢٦.أمون ٤٠.يعقوب ١٣.يسى ٢٧.يوشيا ٤١.يوسف ١٤.داود ٢٨.يواقيم ٤٢.يسوع	١٠.سلمون ٢٤.لاوى ٣٨.يوحنا ٥٢.لاوى ١١.بوعز ٢٥.منثات ٣٩.يهوذا ٥٣.متثاث ١٢.عوبيد ٢٦.يوريم ٤٠.يوسف ٥٤.هالى ١٣.يسى ٢٧.اليعازر ٤١.شمعي ٥٥.يوسف ١٤.داود ٢٨.يوسى ٤٢.متاثيا ٥٦.يسوع

هاتان السلسلتان .كما هو جلي .فيهما كثير من الاختلاف [١] .

من حيث اللفظ والمعني والتقديم والتأخير .

ومما يجدر ملاحظته عليهما :

أ .أن متي ولوقا غيَّرا وبدَّلا في أنساب المسيح .في رأيهم .وأحدثا أنواعاً من الاختلاف من حيث اللفظ والمعني والتقديم والتأخير وتغيير الأسماء .

قال ابن ربَّن وكان من أذكيائهم فأسلم: "إن متي أسقط من نسب المسيح ثلاثة آباء غلطاً، وأن لوقا زاد في نسب المسيح أباً "وبيانه:أنه ورد في إنجيل متي (١: ٨) أن يورام ولد عزريا،وليس ذلك صحيحاً،لأن عزريا بن أميصا بن يوآش بن أخزيا بن يورام كما ورد ذلك في سفر أخبار الأيام الأولي ٣: ١٠ .١٢،فمتي أسقط من نسب المسيح ثلاثة أجيال، وهؤلاء الثلاثة كانوا من الملوك المشهورين وأحوالهم مذكورة في سفر الملوك الثاني الإصحاح ٨، ١٢، ١٤، وسفر أخبار الأيام الثاني الإصحاح ٢٢، ٢٤، ٢٥ .

ولوقا ذكر أن شالحاً هو ابن قينان من أرفكشاد (٣: ٣٥، ٣٦)، وهذا خطأ، لأن شالح من أرفكشاد وليس حفيده كما ورد في سفر التكوين ١١: ١٢، ١٣، فلوقا قد زاد أباً للمسيح هو قينان [٢] .

---

(١) لبيان هذا الاختلاف في النسب يراجع: الفصل، لابن حزم ١/ ٢٥٨ . ٢٦٢، إظهار الحق، لرحمت الله الهندي ١/ ١٨٧ . ٢٠١، والفارق بين المخلوق والخالق، لباجه جي زاده، ص ٢٤، ٢٥، أيهما كلام الله، لأحمد ديدات، ص ٤٠ . ٤٦ .

(٢) ينظر: تخجيل من حرف التوراة والإنجيل ١/ ٣١٣ .

السادة للفكر والثقافة
www.sadah.net

ب . كما أنه ورد في متي ١: ١١ " وبوشيا ولد يكنيا وأخوته عند سبى بابل وفي هذه العدد ثلاثة مآخذ أحدها: لم يكن يوشيا أب يكنيا بل كان جده ك ما في أخبار الأيام الأولي ٣: ١٥، ١٦، وأولاد يوشيا هم يوحنان ويهويا قيم وصدقيا وشلوم، وابنا يهويا قيم يكنيا وصدقيا، والثاني: لم يكن ليكنيا أخوة، أو بالحري لم تُذكر له أخوة، والثالث: أن يوشيا مات قبل سبي بابل بعشرين سنة، فلا ي مكن أن يكون يكنيا وأخوته قد وُلدوا عند سبي بابل .

ولا يصح أن يقال إنه نسب يكنيا لجده [1]، لأنه إذا ورد النسب متصلاً بالأباء لا يجوز إسقاط واحد منهم .

ج . وأشنع ما في سلسلة هذا النسب أنها ذكرت في أجداده عليه السلام فارض وزارح ولدى يهوذا من ثامار كنته من زنا !! .

ويكفينا من كل ما سبق أن النصارى كافة مجمعون علي ثبوت نسب المسيح .

وقد كان المعاصرون للمسيح عليه السلام ينادونه بابن داود وابن النجار علي اعتبار أن أمه ينتهي نسبها إلي داود واعتبار أن أمه تزوجت يوسف النجار وأنجبت منه . عندهم . وكان معروفاً عند قومه بذلك فيروي مرقس ١٠: ٤٦، ٤٧: " أنه بينما هو خارج من أريحا مع تلاميذه وجمع غفير كان بارتيماوس الأعمى ابن تيماوس جالساً علي الطريق يستعطي، فلما سمع أنه يسوع الناصري ابتدأ يصرخ ويقول: يسوع ابن داود ارحمني " .

وفيه أيضاً " ولما كان السبت ابتدأ يعلم في المجمع، وكثيرون إذا سمعتوا بهتوا قائلين من أين له هذا، وما هذه الحكمة التي أعطيت له حتى تجري علي يديه قوات مثل هذه، أليس هذا هو النجار ابن مريم وأخو يعقوب ويوسى ويهوذا وسمعان، أو ليست أخواته ها هنا عندنا " (مرقس ٦: ١ . ٣) (متي ١٣: ٥٤ . ٥٦) .

" فالأناجيل القانونية اعتمدت للمسيح نسباً . علي فرض التسليم به جدلاً . رغم إظهار تناقضه وكذبه بنصوصهم ، وهذا إقرار بأن عيسي عليه السلام من ذرية داود النبي عليه السلام من سبط يهوذا بن يعقوب ابن إسحاق بن إبراهيم . عليهم السلام ، وكل من ثبت تناسله عن الآدميين هو

---

(١) كما قال د/ القس منيس عبد النور في كتابه " شبهات وهمية حول الكتاب المقدس "، ص ٢٥٦ .

السادة للفكر والثقافة
www.sadah.net

بلا شك آدمي " [١] .

وهذا إقرار منهم بالإنسانية المحضة للمسيح عليه السلام والعجب أن النصارى مع إقرارهم بنسب المسيح قد صيروا ولادته من غير أب دليلاً قاطعاً وبرهاناً ثابتاً علي ألهيته !! [٢] .

ومما يقطع بإنسانيته المحضة وأن إطلاق الألوهية عليه . علي ما يدعونه محال ما سبق من فقرات تقرر بأن ذات الله . تعالي . لا تُرى، ولا يقدر أحد أن يراها، ومنها ما ورد في يوحنا (١:١٩) الله لم يره أحد قط " .

وظهر عيسي عليه السلام للناس بشراً سوياً، لا يراه البشر فقط بل وتراه الدواب والطيور .... !! .

وكذلك ما ذكر خلو نصوص الكتاب المقدس . عندهم . من عدد واحد أو جملة واحدة يقول فيها: "أنا الله أو إنني أنا الله لا إله إلا أنا، أو اعبدوني ما لكم من إله غيري" .

ويزيد هذا الشأن تأكيداً وتوثيقاً أن بعض علمائهم المنصفين وباحثيهم المحققين صرحوا بأن حواريي المسيح وتلاميذه وأتباعه في الجيل الأول للكنيسة كانوا يعتقدون بأنه عليه السلام بشر رسول من أفضل رسل الله . تعالي .، وما كان إلهاً أو ابناً للإله أو أقنوماً ثانياً في الثالوث .

تقول دائرة المعارف الفرنسية [٣]: (وكان الشأن في تلك العصور أن عقيدة إنسانية عيسي كانت غالبة طيلة مدة تكون الكنيسة الأولي من اليهود المتنصرين، فإن الناصريين سكان مدينة الناصرة وجميع الفرق النصرانية التي تكونت من اليهودية، اعتقدت بأن عيسي إنسان بحت، مؤيد بالروح القدس، وما كان أحدهم يتهمهم إذ ذاك بأنهم مبتدعون وملحدون، وكان في القرن الثاني في الكنيسة مؤمنون يعتقدون أن عيسي هو المسيح، ويعتبرونه إنساناً بحتاً، وإن كان أرقي من غيره من الناس، وحدث بعد ذلك أنه كلما نما عدد من تنصر من الوثنيين ظهرت عقائد جديدة لم تكن من قبل) .

---

(١) إظهار الحق، لرحمت الله الهندي ١/ ١٣١ .

(٢) تحفة الأريب في الرد علي أهل الصليب، للمهتدي عبد الله الترجمان (القس إنسلم تورميدا قبل إسلامه) ص ١٠١، تحقيق: د/ محمود حماية، نشر دار المعارف، القاهرة، ط٢، سنة ١٩٨٤م .

(٣) ينظر: دائرة معارف القرن العشرين، ج ١٠ ص ٢٠٢، نقلاً عن : دائرة المعارف لاروس الفرنسية .

السادة للفكر والثقافة
www.sadah.net

ويشير الباحث القبطي: عوض سمعان إلي المعني السابق فيقول: (إن المتفحص لعلاقة الرسل والحواريين بالمسيح، يجد أنهم لم ينظروا إليه إلا علي انه إنسان، ولم يتصوروا علي الإطلاق أنه إله، ولكن لماذا ؟؟ :

أ. لأنهم. أي الرسل والحواريين. كيهود كانوا يعلمون تمام العلم أن الاعتراف بأن إنساناً هو الله يعتبر تجديفاً يستحق الرجم في الحال .

ب . ولأنهم كيهود أيضاً كانوا يستبعدون أن يظهر الله في هيئة إنسان، نعم كانوا ينتظرون المسيا [١] لكن المسيا بالنسبة إلي أفكارهم التي توارثوها عن أجدادهم، لم يكن سوي رسول ممتاز، يأتيهم من عند الله وليس هو ذات الله) [٢] .

وذكر الكاتب الأمريكي دان براون في كتابه " شفرة دافنشي ": (أن الكنيسة الأولي لم تكن تؤمن بلاهوت المسيح، بل كانت تؤمن أنه مجرد نبي عظيم ورسول بشري أرسله الله لبني إسرائيل، مثله مثل بقية الأنبياء الذين سبقوا وتنبؤا لبني إسرائيل، وأن العقيدة المسيحية الصحيحة التي جاءت بها المسيحية هي التي نادي بها أريوس القس الإسكندري، وأن من جعل المسيح إلهاً هو الملك قسطنطين (٢٧٢ . ٣٣٧م)، الذي أمر بعقد مجمع نيقية لهذا الغرض وأمر الأساقفة أن يعلنوا ذلك، وأن هؤلاء الأساقفة الذين جاءوا من الشرق والغرب انصاعوا لأوامره ووافقوا علي هذه العقيدة بالتصويت في مجمع نيقية) [٣]

وما سبق ذكره من التأكيد علي الإنسانية المحضة للمسيح تؤيده البراهين القاطعة من صريح نصوص الأناجيل ومسلمات العقول وبعض العلماء النصرانيين المنصفين .

---

(١) المسيا: هي المسيح بالعبرية، كما في العهد الجديد بالخلفيات، ص ٦٧ .

(٢) كتاب الله .. طرق إعلانه عن ذاته، للأستاذ/ عوض سمعان، نقلاً عن النصرانية في الميزان، لمحمد عزت الطهطاوي، ص ٢٨، ٢٩ .

(٣) نقلاً عن: لاهوت المسيح حقيقة إنجيلية تاريخية أم نتاج مجمع نيقية ؟ للقس عبد المسيح بسيط أبو الخير، ص ٧، ط المصريين، القاهرة، ط أولي، ٢٠٠٧م .

السادة للفكر والثقافة
www.sadah.net

الخاتمة

بعد هذه الرحلة الشاقة والشيقة مع كتاب " الرد الجميل " لحجة الإسلام أبي حامد الغزالي . رحمه الله . أحمد الله . جل وعلا . علي ما مَنَّ عليَّ به من إتمامه وعسي أن أنال حظاً مما ختم به حجة الإسلام كتابه حيث قال: هذا آخر ما أردنا ووعدنا به ... قاصدين بذلك وجه الله،ة جعلنا الله ممَّن اهتدي بنور هدايته، وعُصم عن الخطأ في القول والعمل بتوفيقه وعنايته، وصلواته علي خير خلقه محمد وآله وصحابته .

وفي الختام أود أن أجلي بعض ثمراته وفوائده فأقول :

(١) أبان البحث سبق حجة الإسلام وبروزه في علم مقارنة الأديان .

(٢) أكد البحث علي أن اسم الكتاب "الرد الجميل لإلهية عيسي عليه السلام بصريح الإنجيل" لا القول الجميل في الرد علي من غيَّر التوراة والإنجيل .

(٣) أظهر البحث أهمية كتاب " الرد الجميل " ومنهاجه وفائدته العظمي لدارسي علم مقارنة الأديان والدعوة الإسلامية .

(٤) رأى البحث أن مدعي إلهية المسيح عليه السلام اعتقدوا قبل أن يستدلوا، ومن اعتقد قبل أن يستدل ما أجهده وجود دليل .

(٥) كشف البحث عن القواعد الرئيسية التي استخدمها حجة الإسلام في حجاجه في هذا الكتاب ألا وهي :

١ . الأخذ بنظرية افتراض صحة النصوص وسلامتها من التحريف .

٢ . الأخذ بظاهر النص إذا وافق المعقول وإلا وجب التأويل وعدم اعتقاد حقيقة الظاهر.

٣ . الجمع بين النصوص المتباينة في الأناجيل والرسائل خاصة والكتاب المقدس عامة .

٤ . الاستدلال ثمَّ الاعتقاد .

٥ . التركيز علي دفع العقائد الكبرى كالتجسد والتثليث، إذ إن دفعها دافع لبقية العقائد .

٦ . الاستناد في الإدلاء بالحجج علي إنجيل يوحنا، لأنه يُعرف بإنجيل اللاهوت، وأقوال بولس

السادة للفكر والثقافة
www.sadah.net

لأنه ينعت برسول الإيمان .

(٦) رد البحث رداً علمياً هادئاً علي أهم العقائد النصرانية .

١ . ففي مناقشته لعقيدة إلهية عيسي عليه السلام . عند مدعيها . ذكر فكرهم فيها، وأدلتهم عليها، ورد كتاب "الرد الجميل" عليها، ثم أضاف أخري لم تعرض في الكتاب ودحضها .

٢ . وفي دفع اعتقاد اتحاد اللاهوت بالناسوت أو التجسد عرض مفهومه وغايته وأدلة القائلين به وتوجيهها من خلال كتاب " الرد الجميل " ثمَّ خصم أدلة أخري لم تذكر في كتاب الرد الجميل .

٣ . وفي إبطال مذهب التثليث شرح رأيهم فيها، وذكر وصف كتاب الرد الجميل لها، وردَّ براهينهم عليها، ثمَّ نقدها مستمسكاً بنصوص الأناجيل والرسائل والعهد القديم وصريح المعقول ومؤلفات الباحثين المنصفين منهم .

٤ . وفي موضوع طبيعة المسيح حدد قول الفرق النصرانية الكبرى فيها، وعرض مناقشة كتاب " الرد الجميل " لها، ثمَّ رد قول كل فرقة علي حدة .

(٧) وفي إثبات الإنسانية المحضة للمسيح عليه السلام درس ووصف وحقق النصوص التي اعتمد عليها حجة الإسلام، لتأكيد ذلك، واستنبط من شرحها أبواباً أخرى لتحقيق ذلك نحو نصوص تأييد بشريته وعبادته لربه . تعالي . ونبوته ورسالته وتعليمه لتلاميذه، وثبوت نسبه عندهم، وتقريره من حال الجيل الأول في الكنيسة وأقوال أحبارهم .

(٨) حرص البحث حرصاً شديداً في العرض والمناقشة علي الاستعانة بتصانيف النصارى قديمها وحديثها، ونقل عقائدهم وحججهم من أقوال علمائهم وباحثيهم، لئلا ينسب إليهم غير ما يعتقدون ويحتج عليهم بما .

(٩) كما راعي التأسي بمنهاج حجة الإسلام في المناقشة وأسلوب الإدلاء بالحجج .

(١٠) قام البحث أيضاً بتحقيق نصوص كتاب " الرد الجميل " شرحاً للقضايا والعقائد، وترجمة للأعلام، ورداً لنصوص الكتاب المقدس . عندهم . إلي ترجمتها الحديثة مع ذكر مواضعها وشرح كلماتها الغريبة والمقارنة بين ترجمة البروتستانت والكاثوليك . غالباً .، مع ترتيب مواضع

السادة للفكر والثقافة
www.sadah.net

الكتاب وصياغته في شكل جديد .

(١١) ذكر ملاحظات معدودة علي ما سيق في هذا الكتاب .

وهناك نتائج وثمار أخرى لائحة في ثنايا البحث .

مصطفي مراد صبحي محمد

الأستاذ بكلية الدعوة الإسلامية

قسم الأديان والمذاهب

٧/ ٢/ ٢٠٠٧م

السيادة للفكر والثقافة
www.sadah.net

مراجع البحث

أولاً: المراجع الإسلامية :

(١) إتحاف السادة المتقين بشرح إحياء علوم الدين، لمحمد بن حسين الزبيدى الشهير بمرتضى، ط الحلبي، القاهرة، بدون تاريخ .

(٢) الأجوبة الفاخرة، للإمام/ القرافي، تحقيق: أستاذي الأستاذ الدكتور/ بكر زكي عوض، نشر مكتبة وهبة، القاهرة، ط٢، سنة ١٤٠٧هـ.١٩٨٧م .

(٣) الأسفار المقدسة في الأديان السابقة للإسلام، د/ علي عبد الواحد وافى، نشر دار نهضة مصر، سنة ١٩٨٤م .

(٤) إظهار الحق، لرحمت الله بن خليل الرحمن الكيرواني الهندي، ت ١٣٠٨هـ، تحقيق: د/ محمد ملكاوي، نشر الرئاسة العامة للإفتاء بالسعودية، ط٢، سنة ١٤١٣هـ.١٩٩٢م .

(٥) الإعلام بما في دين النصارى من الفساد والأوهام، للإمام/ القرطبي، نشر دار التراث العربي، القاهرة.

(٦) الأعلام، لخير الدين الزركلى، ط دار العلم للملايين، سنة ١٩٨٤م .

(٧) أيهما كلام الله القرآن الكريم أم الكتاب المقدس، لأحمد ديدات، ترجمة: محمد مختار، نشر المختار الإسلامي، القاهرة، بدون تاريخ .

(٨) ابن حزم ومنهجه في دراسة الأديان، د/ محمود حماية ، ط دار المعارف، القاهرة، بدون تاريخ .

(٩) اختلافات في تراجم الكتاب المقدس، لأحمد عبد الوهاب، نشر مكتبة وهبة، القاهرة، ط أولي، سنة ١٤٠٧هـ.١٩٨٧م .

(١٠) اعتقادات فرق المسلمين والمشركين، للإمام/ الرازى، نشر مكتبة الكليات الأزهرية، سنة ١٣٩٨هـ.

(١١) الانتصارات الإسلامية في كشف شبه النصرانية، للإمام سليمان بن عبد القوى الصرصرى، ت د/ سالم القرني، نشر مكتبة العبيكان، الرياض، ط أولى، سنة ١٤١٩هـ.١٩٩٩م .

(١٢) التجسد والصلب بين الحقيقة والافتراء، د/ محمود حماية، ط٢، بدون دار نشر، بدون تاريخ .

(١٣) تحفة الأريب في الرد علي أهل الصليب، للمهتدى عبد الله الترجمان (انسلم تورميدا سابقاً)، تحقيق: الدكتور / محمود حماية، نشر دار المعارف، القاهرة، ط٢، سنة ١٩٨٤م .

(١٤) تخجيل من حرف التوراة والإنجيل، للإمام صالح بن الحسين الجعفري، ت ٦٦٨هـ، تحقيق: د/ محمود قدح، نشر مكتبة العبيكان، الرياض، ط أولى، سنة ١٤١٩هـ.١٩٨٨م .

السادة للفكر والثقافة
www.sadah.net

(١٥) تهافت الفلاسفة،لحجة الإسلام الغزالى، تحقيق: د/ سليمان دنيا، د دار المعارف، القاهرة، ط٧، سنة ١٣٩٢هـ.١٩٧٢م .

(١٦) الجواب الصحيح لمن بدل دين المسيح، لشيخ الإسلام ابن تيميه، ط مطابع المجد، القاهرة، بدون تاريخ .

(١٧) الجواب الفسيح لما لفقه عبد المسيح، لنعمان آلوسي زاده ابن الآلوسي المفسر، نشر دار البيان العربي، القاهرة، سنة ١٤٠٨هـ.١٩٨٧م .

(١٨) حقيقة التبشير بين الماضي والحاضر، لأحمد عبد الوهاب، نشر مكتبة وهبة، القاهرة، ط أولي،سنة ١٤٠١هـ.١٩٨١م .

(١٩) دائرة معارف القرن العشرين، لمحمد فريد وجدي، ط دار المعرفة، بيروت، ط٣، سنة ١٩٧١م .

(٢٠) دراسات في النصرانية، لأستاذي الأستاذ الدكتور/ محمد إبراهيم الجيوشى، نشر دار الهدي، القاهرة، سنة ١٩٨٨م .

(٢١) ذيل الفارق، لعبد الرحمن الباجة جي زاده، ط الإمارات، بدون تاريخ .

(٢٢) الرد الجميل لإلهية عيسي بصريح الإنجيل، لحجة الإسلام الغزالى، ط تركيا، سنة ١٩٩١م، و ط مجمع البحوث الإسلامية، سنة ١٣٩٣هـ، و ط دار أمية، الرياض، تحقيق: د/ محمد عبد الله الشرقاوي، سنة ١٤٠٣هـ، ط أولي، وط دار الجيل، بيروت، ط٢، سنة ١٤١٠هـ. ١٩٩٠م، تحقيق: د/ محمد عبد الله الشرقاوى .

(٢٣) رسالة الحسن بن أيوب إلي أخيه يذكر له سبب إسلامه ضمن الجواب الصحيح، لابن تيميه .

(٢٤) سير أعلام النبلاء، للإمام الذهبي، ط الرسالة، بيروت، تحقيق: الأرنؤوط .

(٢٥) طبقات الشافعية الكبرى، للإمام تاج الدين السبكى، ط الحلبي، القاهرة، ط أولي، بدون تاريخ .العقائد الوثنية في الديانة النصرانية، لمحمد بن طاهر التنير البيروتي، تحقيق: د/ محمد عبد الله الشرقاوى، نشر دار الصحوة، القاهرة، ط أولي، سنة ١٤١٠هـ.١٩٨٩م .

(٢٦) الغفران بين الإسلام والمسيحية، للمهتدي إبراهيم خليل أحمد (إبراهيم خليل فيلبس سابقاً)، نشر دار المنار، القاهرة، ط أولي، سنة ١٤٠٩هـ.١٩٨٩م .

(٢٧) الفارق بين المخلوق والخالق، لعبد الرحمن الباجه جي زاده، ط الإمارات، بدون تاريخ .

(٢٨) الفصل في الملل والأهواء والنحل، لابن حزم، نشر مكتبة التوفيقية، القاهرة، سنة ٢٠٠٣م .

السادة للفكر والثقافة
www.sadah.net

(٢٩) في مقارنة الأديان، د/ محمد عبد الله الشرقاوى، نشر دار الجيل، ط٢، سنة ١٤١٠هـ.١٩٩٠م .

(٣٠) لسان العرب، لابن منظور، ط الشعب، القاهرة .

(٣١) محاضرات في النصرانية،للشيخ/ محمد أبو زهرة، نشر دار الفكر العربي، ط٣، بدون تاريخ .

(٣٢) محاضرات في مقارنة الأديان، للمهتدى إبراهيم خليل أحمد، نشر دار المنار، القاهرة، ط سنة ١٤١٢هـ.١٩٩٢م .

(٣٣) محمد ﷺ في التوراة والإنجيل والقرآن، للمهتدى إبراهيم خليل أحمد، نشر دار المنار، القاهرة، سنة ١٤٠٩هـ.١٩٨٩م .

(٣٤) المختار في الرد علي النصارى، للجاحظ، تحقيق: د/ محمد عبد الله الشرقاوى، نشر دار الجيل، ط أولي، سنة ١٤١١هـ.١٩٩١م .

(٣٥) المسيح في مصادر العقائد المسيحية، لأحمد عبد الوهاب، نشر مكتبة وهبة، القاهرة، ط ٢، سنة ١٤٠٨هـ.١٩٨٨م .

(٣٦) المسيح والتثليث، د/ محمد وصفي، نشر دار الفضيلة، القاهرة، بدون تاريخ .

(٣٧) المسيحية، د/ أحمد شلبى، ط النهضة المصرية، ط ١٠، سنة ١٩٩٣م .

(٣٨) المعجم الوجيز، عمل مجمع اللغة العربية، القاهرة .

(٣٩) مقارنات الأديان (الديانات القديمة) للشيخ/ محمد أبو زهرة، ط دار الفكر العربي، بدون تاريخ .

(٤٠) مقامع هامات الصلبان ومراتع روضات الإيمان في الرد علي عبدة الأوثان، المسمي (بين الإسلام والمسيحية)، لأبي عبيدة الخزرجي ت ٥٨٢هـ.تحقيق: د/ محمد شامة، نشر مكتبة وهبة، القاهرة، ط أولي، سنة ١٩٧٢م .

(٤١) المقصد الأسني في شرح أسماء الله الحسنى، لحجة الإسلام الغزالى، تحقيق: محمد الخشت، ط مكتبة القرآن، القاهرة، بدون تاريخ .

(٤٢) الملل والنحل، للإمام/ الشهرستانى، تحقيق: محمد سيد كيلاني، ط صبيح، سنة ١٩٧٦م .

(٤٣) المناظرة الكبرى، لأحمد ديدات، تحقيق: د/ محمود حماية، ط٢، بدون دار نشر، بدون تاريخ .

(٤٤) المنقذ من الضلال، لحجة الإسلام الغزالى، تحقيق: د/ عبد الحليم محمود، نشر دار الكتب

السادة للفكر والثقافة
www.sadah.net

الحديثة، القاهرة، ط٤ سنة ١٩٧٢م .

(٤٥) موسوعة الأديان والمذاهب المعاصرة، عمل الندوة العالمية للشباب الإسلامي، نشر دار الندوة العالمية .

(٤٦) الموسوعة العربية الميسرة، لمحمد شفيق غربال، ورفاقه، ط دار الجيل، سنة ١٩٩٥م .

(٤٧) النبوة والأنبياء في اليهودية والمسيحية والإسلام، لأحمد عبد الوهاب، نشر مكتبة وهبة، القاهرة، ط٢، سنة ١٩٩٢م .

(٤٨) النصرانية في الميزان، لمحمد عزت الطهطاوى، ط مكتبة القلم، دمشق، ط أولي، سنة ١٤١٦هـ . ١٩٩٥م .

(٤٩) النصرانية من التوحيد إلي التثليث، د/ محمد أحمد الحاج، نشر دار القلم، دمشق، ط أولي، سنة ١٤١٣هـ.١٩٩٢م .

(٥٠) النصيحة الإيمانية، للمهتدى نصر بن يحيي، نشر مكتبة الكليات الأزهرية، بدون تاريخ .

(٥١) هداية الحيارى في أجوبة اليهود والنصارى، للإمام/ ابن قيم الجوزية، نشر دار القرآن الكريم، بيروت، ط٤، سنة ١٩٨١م .

(٥٢) يا أهل الكتاب تعالوا إلي كلمة سواء، د/رؤوف شلبى، نشر دار الاعتصام، ط٢، سنة ١٤٠٠هـ. ١٩٨٠م .

ثانياً : المراجع النصرانية :

(٥٣) آدم أم المسيح، ك . ا. كوتس، نشر مكتبة الإخوة، القاهرة، سنة ١٩٩٨م .

(٥٤) إذا كان المسيح إلهاً فكيف حُبل به وولد ؟، للقس عبد المسيح بسيط أبو الخير، ط المصريين، القاهرة، ط٣، سنة ٢٠٠٤م .

(٥٥) أزلية الثالوث، لملاك حنا، نشر مكتبة المحبة، القاهرة، سنة ١٩٩٠م .

(٥٦) أسرار الكنيسة السبعة، الأرشيد ياكون حبيب جرجس، ط مكتبة المحبة، القاهرة، ط ٦، بدون تاريخ .

(٥٧) أسطورة تجسد الإله في السيد المسيح، لدون كوبيت ورفاقه، نشر دار القلم، ط أولي، سنة ١٤٠٥هـ.١٩٨٥م .

(٥٨) ألوهية المسيح، من يخفى الشمس، إعداد ونشر: كهنة كنيسة مارمرقس، القاهرة، سنة

السادة للفكر والثقافة
www.sadah.net

١٩٩٦م .

(٥٩) الأنبياء والنبوة والتنبؤ،للقس/عبد المسيح أبو الخير،ط المصريين، سنة ١٩٩٧م .

(٦٠) أنت المسيح الله ابن الله الحي، للأنبا غريغوريوس، لجنة الثقافة القبطية والأرثوذكسية، القاهرة، ط٢، سنة ١٩٩٠م .

(٦١) إياه مصلوباً (مناظر الصليب)، عمل: كنيسة مارمرقس بشبرا، ط مكتبة المحبة، القاهرة، سنة ١٩٥٨م .

(٦٢) إيماننا المسيحي صادق وأكيد، د/ الشماس سامح حلمي، ط أولي، سنة ١٩٩٩م .

(٦٣) ابن الله، بشائر البشارة العشرة، للقمص سيد رواس عبد المسيح، نشر مكتبة مارجرجس، القاهرة، ط أولي، سنة ٢٠٠٤م .

(٦٤) الاثنا عشر رسولاً، لهربرت لوكير، تعريب: صبحي مقار، نشر لجنة خلاص النفوس للنشر، شبرا مصر، سنة ١٩٨٥م .

(٦٥) استحالة تحريف الكتاب المقدس، للقمص مرقس عزيز خليل، ط كنيسة مريم العذراء، القاهرة، ط ١٣، سنة ٢٠٠٤م .

(٦٦) تاريخ الكنيسة، لجون لوريمر، ترجمة: عزرا مرجان، نشر دار الثقافة، القاهرة، ط أولي، سنة ١٩٩٠م

(٦٧) التثليث والتوحيد، لفوزي جرجس، نشر مكتبة المحبة، القاهرة، سنة ١٩٤٨م .

(٦٨) التثليث والوحيد، هل ضد العقل، إعداد ونشر كنيسة مارمرقس بالقاهرة، ط٦، سنة ١٩٩٦م .

(٦٩) التجسد الإلهي في تعاليم كيرلس الكبير، ت ٤٤٤م، للأب متى المسكين، ط دير القديس أنبا مقار بوادي النطرون، مصر، ط٢، سنة ١٩٩٢م .

(٧٠) تجسد الكلمة، للقديس اثناسيوس الرسولي، ت ٣٧٣م، ترجمة: القمص مرقس داود، نشر دار النشر الأسقفية، ط٩، سنة ١٩٧٨م .

(٧١) تدبير الخلاص، للقس إنجليوس جرجس، نشر سيليكون برس، القاهرة، سنة ١٩٩٦م .

(٧٢) التربية الدينية المسيحية للمرحلة الإعدادية، د/ القس لبيب مشرقي ورفاقه، نشر الهيئة المصرية العام للمطابع الأميرية، سنة ١٩٨٦م .

السادة للفكر والثقافة
www.sadah.net

(٧٣) تفسير العهد الجديد، لوليم باركلى، ترجمة: جاد المنفلوطي، نشر دار الثقافة، القاهرة، سنة ١٩٨٣م.

(٧٤) التوراة السامرية، ترجمة: الكاهن أبى إسحاق الصوري، نشر دار الأنصار، القاهرة، ط أولي، سنة ١٩٧٨م.

(٧٥) الثالوث (الحياة، الحب، النور)، د/ الأنبا يوحنا قتله، نشر دار الثقافة، القاهرة، سنة ١٩٩٧م.

(٧٦) ثلاث حقائق أساسية في الإيمان المسيحي، ليوسف رياض، ط٧، سنة ١٩٩م، بدون تاريخ.

(٧٧) حوار حول الثالوث، لكيرلس الكبير، ترجمة ونشر المركز الأرثوذكسي للدراسات الآبائية، القاهرة، سنة ١٩٩٩م.

(٧٨) الخريدة النفيسة في تاريخ الكنيسة، للأسقف إيسوذوس، ط مكتبة المحبة، القاهرة، سنة ٢٠٠٢م.

(٧٩) الخلاص في المفهوم الأرثوذكسى، للأنبا شنودة الثالث، ط الكلية الإكليريكية، القاهرة، سنة ١٩٦٧م.

(٨٠) الخلاص من الألف إلي الياء، لجيمس جراى، تعريب: د/ مراد عزيز، لجنة خلاص النفوس للنشر، شبرا، مصر، ط٢، سنة ١٩٨٣م.

(٨١) دائرة المعارف الإسلامية لأئمة المستشرقين، ط دار الشعب، القاهرة، بدون تاريخ.

(٨٢) دائرة المعارف الكتابية، د/ القس صموئيل حبيب، د/ منيس عبد النور ورفاقهما، ط دار الثقافة، القاهرة، ط أولى، بدون تاريخ.

(٨٣) دائرة معارف البستاني، للمعلم بطرس البستاني، نشر دار المعرفة، بيروت، بدون تاريخ.

(٨٤) الدسقولية، نشر مكتبة المحبة، القاهرة، سنة ١٩٩٧م.

(٨٥) الدين المسيحي (ثانوي التجاري)، للأنبا يوأنس، والأب روبير شدياق ورفاقهما، ط الهيئة المصرية العامة لشئون المطابع الأميرية، سنة ١٣٨٢هـ.١٩٦٢م.

(٨٦) رسائل اثناسيوس الرسولى عن الروح القدس، تعريب القمص مرقس داود، نشر مكتبة المحبة، القاهرة، بدون تاريخ.

(٨٧) الروح القدس، للأب متى المسكين، نشر دير القديس أنبا مقار، وادي النطرون، ط٣، سنة

السادة للفكر والثقافة
www.sadah.net

٢٠٠٦م.

(٨٨) سر التجسد ومجد الميلاد، للأنبا يوكوبوس، نشر كنيسة العذراء بالزقازيق، ط أولي، سنة ١٩٦٩م.

(٨٩) شبهات وهمية حول الكتاب المقدس، د/ القس منيس عبد النور، نشر كنيسة قصر الدوبارة الإنجيلية، جاردن سيتي، مصر ، ط ٣، سنة ١٩٩٨م.

(٩٠) شخصية المسيح في الإنجيل والقرآن، للقس إسكندر جديد، ط٢، سنة ١٩٩٥م، بدون تاريخ.

(٩١) شهادة الكتاب المقدس عن ألوهية المسيح، للقمص يوحنا فوزي بشاي، نشر كنيسة العذراء، سنة ٢٠٠٣م.

(٩٢) طبيعة المسيح، للأنبا شنودة الثالث،نشر الكلية الإكليريكية بالقاهرة،سنة ١٩٩١م.

(٩٣) طريق الصليب، د/ القس صموئيل حبيب، نشر دار الثقافة، القاهرة، ط٤، سنة ١٩٩٠م.

(٩٤) الظهورات الإلهية في كتب العهد القديم، د/ الشماس أميل ماهر إسحاق، ط الأنبا رويس، القاهرة، ط أولي، سنة ١٩٩٦م.

(٩٥) العهد الجديد بالخلفيات التوضيحية، ط دار الكتاب المقدس، ط٤، سنة ٢٠٠٧م.

(٩٦) العهد الجديد، ط دار الكتاب المقدس، القاهرة، ط٧، سنة ١٩٩٤م.

(٩٧) فهرس الكتاب المقدس، د/ جورج بوست، نشر دار الثقافة، القاهرة، ط ٨، سنة ١٩٩٤م.

(٩٨) القديس بطرس، للقس ناجي فرنسيس، نشر دار الثقافة، القاهرة، ط٣، سنة ١٩٨٥م.

(٩٩) القرآن الكريم والتوراة والإنجيل والعلم (دراسة الكتب المقدسة في ضوء المعارف الحديثة)، لموريس بوكاى، نشر دار المعارف، القاهرة، بدون تاريخ.

(١٠٠) قصة الحضارة، لول ديورانت، ترجمة: محمد بدران، ط جامعة الدول العربية، ط٣ سنة ١٩٧٣م.

(١٠١) الكتاب المقدس (بروتستانت)، ط دار الكتاب المقدس في الشرق الأوسط، بدون تاريخ.

(١٠٢) الكتاب المقدس (كاثوليك)، نشر جمعية الكتاب المقدس (الترجمة السبعينية)، ط أولي، سنة ١٩٩٣م.

(١٠٣) الكنيسة المسيحية في عصر الرسل، للأنبا يوأنس، نشر الأنبا رويس، القاهرة، ط٦، سنة ٢٠٠٦م.

السادة للفكر والثقافة
www.sadah.net

(١٠٤) لاهوت المسيح حقيقة إنجيلية تاريخية أم نتاج مجمع نيقية، للقس عبد المسيح بسيط أبو الخير، ط المصريين، القاهرة، ط أولي، سنة ٢٠٠٧م .

(١٠٥) لاهوت المسيح، للأنبا شنودة، ط الكلية الإكليريكية،القاهرة، سنة ١٩٩١م .

(١٠٦) الله نور، للقس كينيث بيكى، ترجمة: القس أميل زكى، نشر دار الثقافة، القاهرة، سنة ١٩٨٩م .

(١٠٧) ما معني المسيح ابن الله،لنخبة من خدام الإنجيل،سنة ١٩٨٤م،بدون تاريخ.

(١٠٨) المسيح ابن الله، للأب متى المسكين، نشر دير القديس أنبا مقار، وادي النطرون، ط٤، سنة ٢٠٠٦م .

(١٠٩) المسيح في رسائل القديس اثناسيوس، ترجمة: د/ نصحي عبد الشهيد، وصموئيل كامل، نشر مؤسسة القديس أنطونيوس، القاهرة، ط٢، سنة ٢٠٠٠م .

(١١٠) المسيحية نشأتها وتطورها،لشارل جني بير،ترجمة: د/ عبد الحليم محمود، ط دار المعارف، القاهرة .

(١١١) ميلاد يسوع المسيح ابن الله، للأب متى المسكين، نشر دير القديس أنبا مقار، سنة ١٩٩٦م .

(١١٢) واحد أم ثلاثة، للفريد صموئيل، نشر نادي الصداقة والفكر المسيحي، القاهرة، ط٢، سنة ١٩٩٩م .

(١١٣) يهوه أم يسوع، تأليف: اسبيروجبّور، نشر المنشورات الأرثوذكسية، لبنان، ط٢، سنة ١٩٩٧م .

السادة للفكر والثقافة
www.sadah.net

الفهـرس

الموضـــــوع	رقم الصفحة
مقدمة	٢
لتمهيـد	٨
ولاً: نبذة عن حياة حجة الإسلام الغزالى	٨
ثانياً: التعريف بكتاب الرد الجميل لإلهية عيسي عليه السلام بصريح الإنجيل	١٠
(أ) اسم الكتاب	١٠
(ب) الدافع لتأليف الكتاب	١١
(جـ) مناهج حجة الإسلام في كتاب الرد الجميل	١٢
(د) أسلوب حجة الإسلام في كتاب الرد الجميل	١٣
(هـ) قيمة كتاب الرد الجميل	١٤
(و) مضمون الكتاب	١٥
(ز) ملاحظات علي كتاب الرد الجميل	١٧
ثالثاً: نظرات سريعة في مقدمة كتاب الرد الجميل	١٩
أصول الاستدلال عند حجة الإسلام	٢٥
لمبحث الأول: دفع كتاب الرد الجميل أدلة النصارى في إلهية عيسي عليه السلام واتح لاهوت به	٢٩

السادة للفكر والثقافة
www.sadah.net

الموضـــــوع	رقم الصفحة
لمطلب الأول: وصف كتاب الرد الجميل لعقيدة التثليث	٢٩
ولاً: مفهوم ونشأة عقيدة التثليث والرد عليها	٢٩
ثانياً: مفهوم عقيدة التجسد أو اتحاد اللاهوت بالنا سوت وغايتها.....	٣٥
ثالثاً: وصف حجة الإسلام لعقيدة التثليث عند النصارى.....	٣٧
رابعاً: دفع أدلتهم في عقيدة التثليث	٣٩
لمطلب الثاني: مناقشة كتاب الرد الجميل لآراء الفرق النصرانية الكبرى في اتحـ لاهوت بالنا سوت.....	٥٩
ولاً: مناقشة رأى اليعقوبية في اتحاد اللاهوت بالنا سوت	٥٩
عرض حجة الإسلام لفكر اليعقوبية في الاتحاد	٦٠
ثانياً: مناقشة رأى الملكية في اتحاد اللاهوت بالنا سوت	٦٩
عرض حجة الإسلام للفكر الملكي في اتحاد اللاهوت بالناسوت	٧٠
ثالثاً: مناقشة رأى النسطورية في اتحاد اللاهوت بالناسوت	٧٦
عرض حجة الإسلام للفكر النسطورى في الاتحاد	٧٧
لمطلب الثالث: توجيه كتاب الرد الجميل للأدلة الموهمة لإلهية عيسي عليه السلام.....	٨١
ولاً: توجيه كتاب الرد الجميل للنصوص الموهمة لإلهية عيسي عليه السلام.....	٨٣
لنص الأول.....	٨٣

السادة للفكر والثقافة
www.sadah.net

الموضـــــوع	رقم الصفحة
لنص الثاني	٨٦
لنص الثالث	٨٩
لمعضلة الأولي (معضلة الكلمة)	٩٣
لشبهة الأولي : في معضلة الكلمة	٩٦
لشبهة الثانية: في معضلة الكلمة	٩٨
لمعضلة الثانية (قوله: قبل أن يكون إبراهيم أنا كائن)	١٠٤
لشبهة الثالثة (قوله: إني أنا في الآب والآب فيَّ)	١٠٧
نصوص أخرى استُدِل بها على إلهية عيسي عليه السلام.....	١١٠
شبهة لفظية (قوله .تعالى .): (وكلمته ألقاها إلي مريم وروح منه).....	١٢٢
ثانياً: مناقشة كتاب الرد الجميل لأدلتهم على إلهيته عليه السلام من إطلاق الأسماء الإلهية.....	١٢٦
دفع كتاب الرد الجميل لقولهم: المسيح ابن الله	١٣١
ستدلالهم على إلهيته عليه السلام بصفاته الإلهية .في قولهم	١٣٩
ثالثاً: مناقشة كتاب الرد الجميل لاستدلالهم على إلهيته عليه السلام بوقوع الخوارق عليه	١٤٠
رابعاً: مناقشة كتاب الرد الجميل لاستدلالهم على إلهيته عليه السلام بالميلاد العذراوى	١٤٨

السادة للفكر والثقافة
www.sadah.net

الموضـــــوع	رقم الصفحة
لمبحث الثاني: إثبات الإنسانية المحضة لعيسي عليه السلام من خلال كتاب الرد الجميل	١٥١
حدها: أحواله البشرية وقيامه بأحوال الإنسان وخضوعه للسنن الكونية.....	١٥١
لنص الرابع: عدم علمه عليه السلام بميعاد الساعة.....	١٥٤
انيها: شهادته عليه السلام لله .تعالى .بالوحدانية، ولنفسه بالرسالة (النص الخامس)	١٥٦
كونه رسول نبي	١٥٨
شهادته لله .تعالى .بالوحدانية ولنفسه بالعبودية.....	١٦٠
وصفه بأنه إنسان وابن إنسان.....	١٦١
نعته بالمعلم	١٦٢
الثها: تأكيده عليه السلام بأنه إنسان ورسوله (النص السادس)	١٦٣
رابعها: إثبات إنسانيته المحضة من خلال قولهم بنسبه	١٦٥
لخاتمة (أهم النتائج).....	١٧٠
مراجع البحث.....	١٧٣
لفهرس	١٨٣

السادة للفكر والثقافة
www.sadah.net